المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الإدارة العامة للثقافة والنشر



من ينابيع الثقافة
- ٣٥ -

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ودوره في بلاد الشرق

(٥٣ - ١٠٢هـ) (٦٧٢ - ٧٢٠م)

دراسة تاريخية تحليلية

أ . د / محمد بن ناصر بن أحمد الملحم

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ح **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ.**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الملحم، محمد بن ناصر

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ودوره في الشرق.

محمد بن ناصر الملحم - الرياض، ١٤٢٤هـ.

٢٣٤ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٢-٤٦٠-٠٤-٩٩٦٠

١- الدولة الأموية - تاريخ ٢- يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ت ١٠٢هـ أ- العنوان

ديوي: ٩٥٣,٠٣ ٤٩١٤ / ١٤٢٤

رقم الإيداع: ٤٩١٤/ ١٤٢٤

ردمك: ردمك: ٢-٤٦٠-٠٤-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

تقديم

الحمد لله فالق الحب والنوى، والصلاة والسلام على نبي الحق والهدى، وعلى صحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

احتفاء بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم فإنه يشرفني أن أقدم للقارئ الكريم سلسلة من الكتب القيمة التي كتبها عدد من الأساتذة المتميزين في جامعات المملكة الثمان عن فترة مهمة من تاريخ بلادنا الكريمة.

ومناسبة عزيزة مثل هذه المناسبة تتطلب جهداً علمياً وتاريخياً لإنجازات متميزة وأعمال خالدة قام بها خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة. وقد اشتملت هذه الأعمال على بناء وتوسعة الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى خدمة أبناء المسلمين، والحرص على تنمية الموارد البشرية في المملكة في مجالات التعليم المختلفة، خاصة مجال التعليم العالي، الذي أتشرف بالانتماء إليه، وأنشئ خلالها عدد من الجامعات والكليات الجديدة التي خرجت أجيالاً عدة من المختصين في مجالات الطب والهندسة والعلوم المختلفة.

وهذه الجامعات وما تزخر به من إمكانيات مادية وبشرية ما هي إلا ثمرة من ثمار غرس خادم الحرمين الشريفين حفظه الله.

إننا نقدم بهذه السلسلة كتباً عديدة تبرز بعض هذه الإنجازات العلمية والثقافية التي تحققت في عهده حفظه الله.

ونأمل في أن توفر هذه الكتب مصادر علمية ووثائق تاريخية تربط جيل اليوم بأجيال المستقبل، وتذكر الأبناء بما أسسه وقام به الآباء، منذ أن وضع أسس هذه المملكة الراسخة مؤسسها المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله، وحتى واصل البناء راعي حضارتها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، أعزه الله وأيده.

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لكل خير، وأن يعز ديننا، ويرفع من شأن أمتنا، ويسدد خطا حامي هذه البلاد، وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني وحكومتهم الرشيدة، لكل تقدم وتطور وعزة وسؤدد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وزير التعليم العالي

د. خالد محمد العنقري

المقدمة

الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من الأسر التي نالت شهرة واسعة في العصر الأموي أسرة ((آل المهلب))، التي شهد لها التاريخ بالعظمة والإكبار؛ لدورها البارز في توطيد أركان الدولة والعمل على استتباب الأمن فيها، وفوق هذا: الفتوحات التي قام بها أفراد هذه الأسرة، وخاصة في بلاد الشرق، وفي مقدمتهم يزيد بن المهلب ((القائد، والفاتح، والسياسي المحنّك، والإداري الناجح، بجانب ما أثير حوله من بعض الشبهات))، لذا رأيت في هذا البحث المتواضع أن أقدم للقارئ دراسة تاريخية تحليلية لشخصية هذا القائد من فجر ولادته حتى وفاته، مروراً بالجهود الحربية التي سطّرها في أرض المشرق الإسلامي.

وقسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة، مباحث، رئيسة، وخاتمة.

- في المبحث الأول تناولت دور يزيد بن المهلب في حياة والده وخلافة عبدالملك بن مروان.

وبدأت بالتعريف بالأزد (قبيلة يزيد بن المهلب) ثم التعريف بيزيد ونشأته، ومشاركته والده في حرب الأزارقة (الخوارج)، وإلقاء الضوء على بعض فتوحاته الأولية (كالختّل سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م)، ثم ولايته مرو سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م، وموقفه من الترك، وتأمير والده له سنة ٨٢هـ ٧٠١م.

ثم عَرَّجْتُ على بيان موقف يزيد من قوة عبد الرحمن الهاشمي سنة ٨٣ هـ /٧٠٢م، ومحاولته غزو قلعة باذغيس سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م،

وختمت هذا المبحث بالحديث عن عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م.

- المبحث الثاني (يزيد بن المهلب في عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان).

وفيه تناولت الفقرات التالية:

ما أثير حول يزيد، وتعرضه للحبس سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥م، وموقف قتيبة بن مسلم من يزيد بن المهلب سنة ٩٦هـ / ٧١٤ م، وولايته - يزيد - الثانية لخراسان سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م، وغزو يزيد الترك، وفتح جرجان الأول سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م.

ثم الحديث بالتفصيل عن فتوحات يزيد سنة ٩٨ هـ / ٧١٦ م، كفتح جرجان وطبرستان، وما تعرض له المسلمون في فاجعة البياسان، وسياسته في فتح هذه البلاد.

ثم فتح جرجان الثاني وأهميته.

- المبحث الثالث (يزيد بن المهلب في عهد عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبدالملك).

وفيه تناولت الفقرات التالية:

موقف عديّ بن أبي أرطاة من يزيد سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م، وكذلك موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز منه، ثم خروج يزيد من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وموقف والي البصرة من يزيد بن المهلب سنة ١٠١ هـ / ٧١٩م. ثم الحديث بالتفصيل عن وقعة العَقْر سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠م، وختمت هذا

المبحث ببيان نهاية يزيد بن المهلب، ومحاولة أخيه المفضل إنقاذ آل المهلب، وموقف الدولة الأموية من آل المهلب بعد مقتل يزيد.

ثم أوردت خاتمة بينت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وخلال هذا البحث رجعت إلى المصادر الأولية من أمهات الكتب، التي يعتمد الباحثون عليها، والتي من أبرزها: تاريخ الأمم والملوك للطبري، وفتوح البلدان للبلاذري، والكامل في التاريخ لابن الأثير.....

وفي نهاية هذه المقدمة أسأل الله العلي القدير أن يرينا الحق حقّاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

(دور يزيد بن المهلب في حياة والده وخلافة عبد الملك بن مروان)

ويشتمل على الآتي:

- التعريف بالأزد (قبيلة يزيد بن المهلب).
- حياة يزيد بن المهلب (نسبه).
- نشأته.
- صفاته.
- مشاركته والده في حرب الأزارقة.
- من فتوحات يزيد (الختّل سنة ٨٠هـ / ٦٩٩ م).
- ولايته مرو سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م، وموقفه من الترك.
- وصية المهلب أبناءه، وتأمير يزيد عليهم سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م.
- موقف يزيد من قوة عبد الرحمن الهاشمي سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م.
- غزو يزيد قلعة باذغيس سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م.
- عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م.

التعريف بالأزد (قبيلة يزيد بن المهلب)

قبيلة من أعظم قبائل العرب وأشهرها[١]، تنسب إلى الأزد[٢] بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان[٣] من القحطانية[٤].

تفرع عن هذه القبيلة المتشعبة أربعة بطون هامة:

١ - أزد شنوءة[٥]، ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد[٦]، ويعيشون في السّراة[٧]، ويظهر أن هؤلاء هم في الحقيقة أزد السّراة[٨].

٢ - أزد غسان - وقيل مازن - وكانت منازلهم في شبه جزيرة العرب وفي بلاد الشام[٩]، ويذكر صاحب تاج العروس[١٠]. رواية في هذا الشأن يبدو أنها غير صحيحة، فيقول: إن هناك بلداً على شاطئ البحر بين البصرة وعدن، فمن شرب من تلك البقعة من هؤلاء الأزد سمي أزد غسان - وهم أربع قبائل -

---

(١) عمر كحالة: معجم قبائل العرب ١/١٥.

(٢) وتنطق بالسين أفصح (أسْد) (ابن منظور: لسان العرب ٣/٧١) ويقال أن اسمها الأصلي درّاء (دائرة المعارف الإسلامية: ٢/٣٧).

(٣) السيوطي: لب الألباب في تحرير الأنساب ١/٥٠، الزبيدي: تاج العروس ٢/٣٨٩.

(٤) نسبة إلى قحطان بن عابر بن شالخ، وهو ما عليه جمهرة علماء النسب،وهو أصل عرب اليمن، وإليه تنسب القحطانية(البغدادي:سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص١٦).

(٥) نسبة إلى جهة، باليمن بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً (ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٦٨).

(٦) عمر كحاله: معجم قبائل العرب ١/١٥.

(٧) أودية مستقبلة مطلع الشمس بتثليث، وتربة وبيشة (عمر كحاله: معجم قبائل العرب: ١/١٦.

(٨) دائرة المعارف الاسلامية: ٢/٣٨.

(٩) عمر كحاله (معجم قبائل العرب: ١/١٦، دائرة المعارف الإسلامية:٢/٣٨.

(١٠) الزبيدي: ٢/٣٨٩. مادة (مزن).

ومن لم يشرب منها لم يقل له ذلك، وإليه يشير قول حسان ابن ثابت ﷺ:

أما سألت فإنّا معشر نجب   الأزد نسبتنا والماء غسان

٣ - أزد السراة. ومنازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم والسراة تمتد من شمال الحجاز إلى بلاد اليمن[١]، واشتهروا بحرفة الغزل، وكان الناس يسخرون منهم بسبب ذلك[٢].

٤ - أزد عمان. ومنازلهم بعمان[٣]، وتنكر قريش انتساب أزد عمان إلى العرب، ويعيش هؤلاء في الغالب على الصيد[٤]. ويقول ابن منظور[٥] إنهم لقبوا بمزون "أي الملاحين" لهذا السبب، وكانت العرب تسخر منهم لهذا، وهم بالطبع يكرهون أن يسمّوا بالمزون.

قال جرير في ذلك:

وأطفأت نيران المزون وأهلها   وقد حاولوها فتنة أن تسّعرا

وأزد عمان هم رهط المهلب بن أبي صفرة، ونسب إلى المزوني، وتعرض للهجاء - حين قدم خراسان - بسبب ذلك.

---

(١) عمر كحالة: معجم قبائل العرب ١٦/١.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٣٨/٢.
(٣) عمر كحالة: معجم قبائل العرب: ١٦/١.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية: ٣٧/٢.
(٥) لسان العرب: ٤٠٧/١٣.

قال البعيث بن عمرو اليشكري:

تبدّلت المنابر من قريش مزونيا بفقحته الصليبُ[١]

ويسكن الأزد عدة مواطن منها؛ مأرب[٢]، بارق[٣]، أبيدة[٤]، القفس[٥]، مرآة[٦]، الحال[٧]، تثنيث[٨]، تؤام[٩]، بيش[١٠]، العداف[١١]، ريسوت[١٢]، بحرى منفلوط والجُرف[١٣].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: ١٣/٤٠٧.

(٢) مدينة باليمن في آخر جبال حضرموت، بينها وبين صنعاء أربعة أيام، وفيها السدّ المعروف بسدّ مأرب.. انظر التفاصيل (ياقوت: معجم البلدان: ٥/٣٤).

(٣) ماء بالسرّاة،وقيل لمن نزله أيام سيل العرم بارقيا(ابن عبد الحق:مراصد الاطلاع:١/١٥١).

(٤) منزل من منازل أزد السراة، وهي من ديار اليمانيين بين تهامه واليمن (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ١/٢٢).

(٥) جبل من جبال كرمان مما يلي البحر، وسكانه من اليمانيين، ثم من الأزد بن الغوث، ثم من ولد سليمة بن مالك بن فهم.. التفاصيل في (ياقوت: معجم البلدان: ٤/٣٨٠).

(٦) قرية قرب مأرب كانت ببلاد الأزد التي اخرجهم منها سيل العرم (ياقوت: معجم البلدان: ٥/٩١).

(٧) بلد باليمن من ديار الأزد (ياقوت: معجم البلدان: ٢/٢٠٧).

(٨) موضع بالسراة من مساكن أزد شنوءة قريب من تثليث أحد مواضع الحجاز قرب مكة (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ١/٢٥٥).

(٩) اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وصحار قصبتها مما يلي الجبل (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع:١/٢٧٩).

(١٠) من بلاد اليمن قرب دهلك (ياقوت: معجم البلدان: ١/٥٢٨).

(١١) وادٍ أو جبل في ديار الأزد بالسراة (ياقوت معجم البلدان ٤/٨٨).

(١٢) توجد في منتصف الساحل بين عمان وعدن، وهي قلعة مبنية على جبل، والبحر محيط بها إلاّ من جانب واحد (ياقوت: معجم البلدان: ٣/١١٢).

(١٣) مواضع أخرى باليمن.

تاريخهم وديانتهم:

ظلّ الأزد في أرض اليمن حتى تصدع سدّ مأرب، فكان من أهم العوامل التي دفعتهم إلى الهجرة من سبأ وتفرقوا - كما ذكرنا سلفاً -، فلحقت الأوس والخزرج بيثرب من أرض الحجاز، ولحقت خزاعة بمكة وما جاورها من أرض تهامة، واتجهت وادعة ويحمد وخزام وعتيك صوب عمان، وسارت ماسخة وميدعان ولهب وغامد ويشكر وبارق إلى السَّراة، ولحق مالك بن عثمان بن أوس بالعراق، كما لحقت جفنة وآل محرق بن عمرو بن عامر وقضاعة بالشام[(١)].

وعند نزولهم - الأزد - بجبال السراة اضطروا لمحاربة بني خثعم وتغلبوا عليهم، ويقال أن آردشير الأول سمح للأزد بالنزول في عمان، حيث استقروا فيها تحت حكم الفرس أمداً طويلاً[(٢)].

وقد كان الأزد في الجاهلية من عبّاد الأصنام، ومن أصنامهم مناة - على ساحل البحر الأحمر بين ينبع ورابغ فكانوا يحجون إليها ويعظمونها، فإذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلقوا إلا عندها[(٣)] وكذا ذو الخَلَصَة - بين مكة واليمن على مسير سبع ليالٍ من مكة - وكانت تعظمها وتهدي لها أزد السراة[(٤)].

---

(١) عمر كحاله: معجم قبائل العرب: ١٦/١.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨/٢.
(٣) الأزرقي: أخبار مكة: ١٢٤/١، ١٢٥.
(٤) الأزرقي: أخبار مكة ٣٧٤/١.

فلما كانت سنة ثمانٍ للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا زيد - قيس بن سكن - وعمرو بن العاص إلى كل من عبيد وجيفر ابني الجلندى - وكانوا بصحار على ساحل البحر - بكتاب يدعوهما فيه إلى الإسلام [1]، فأوصلا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليهما، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام، فأجابوا إليه ورغبوا فيه [2]، ولكن رجعوا عن الإسلام مرة ثانية؛ بسبب ما ساد الجزيرة العربية من فوضى واضطراب بعد وفاته - ﷺ-، كالذين أرادوا منع الزكاة والذين ادّعوا النبوة وغير ذلك، فلا يستبعد أن يكون قد وصلهم شيء من هذا القبيل.

ثم رجعوا إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى بفضل الله تعالى، ثم بفضل ثبات الصديق - رضي الله عنه - وصلابته في مواجهة المرتدين [3].

وقاتلت الأزد تحت لواء عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - سنة ٣٦هـ/٦٥٦م فقتل منهم في وقعة الجمل ما يقرب من الألفين كما أشار

---

(١) وكان كتابه إليهما "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى جيفر وعبدٍ ابني الجلندي: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليّتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما (محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص ١٦٢).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٧.

(٣) فقد توجه إليهم عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بالجيش، فلما وصل شنوءة وقد تجمعت بها فرق من الأزد وبجيلة وخثعم وعليهم حميصة بن النعمان، انهزموا وتفرقوا عن صاحبهم، وعاد الأزد مرة أخرى إلى الإسلام الحنيف.. (الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/٣٢٠).

إلى ذلك الطبري[(١)]، وانقسموا إلى قسمين في صفين التي دارت بين علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م[(٢)].

ثم بايعوا عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - وحاربوا مع عماله بخاصة أخيه مصعب بن الزبير واليه على بلاد العراق في كثير من الحروب[(٣)]، ولم يقو شأن الأزد إلاّ بعد أن استقر العدد الكبير منهم في أرض عمان وكانوا في نهاية حكم معاوية بن أبي سفيان وبدء عهد ابنه يزيد قد جمعوا جموعهم، وهاجروا إلى عمان، وتحالفوا مع قبيلة ربيعة على قبيلتي تميم وقيس توطيداً للصلات الودية التي كانت تربط بينهم منذ أيام الجاهلية[(٤)].

وبدأ شأنهم يعلو ويرتفع حينما ولي المهلب بن أبي صفرة خراسان، وذاع صيتهم بعد أن تصدّى المهلب للخوارج الأزارقة[(٥)] التي هددت أمن الدولة الإسلامية ووصلت إلى حدود البصرة[(٦)].

---

(١) تاريخ الأمم ٥٣٩/٤.
(٢) عمر كحاله: معجم قبائل العرب ١٧/١.
(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٩٤/٦.
(٤) عمر كحاله: معجم قبائل العرب ١٧/١.
(٥) أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، المكنى بأبي راشد، كان قائداً شجاعاً قاتل قواد عبد الله بن الزبير وعماله وقواد الأمويين وعمالهم تسع عشرة سنة. ولما قتل نافع بن الأزرق أمرت الخوارج عليهم عبد الله بن ماحوز التميمي واشتد قتالهم، وبعد أن قتل الأخير أمّر الأزارقة عليهم قطري بن الفجاءة الذي حاربه المهلب بن أبي صفرة. وكانوا - الأزارقة - يرون قتل الناس والبراءة من عثمان وعلي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم، ويرون استحلال الأمانة وقتل الأطفال وتكفير القعدة. انظر التفاصيل في (ابن عبد ربه: العقدالفريد: ٢٢٣/١، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٨٢، ٨٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٥/٤، النجار: الخوارج عقيده وفكراً وفلسفة ص ٦٧ - ٦٨، دائرة المعارف الإسلامية ٣٢/٢).
(٦) الطبري: تاريخ الأمم ٦١٥/٥، ٢١١/٦.

حياة يزيد بن المهلب: نسـبه

هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وأبو صفرة: ظالم بن سرّاق[١] بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك[٢] بن الأزد بن عمران بن عمرو مزيقياء[٣] بن عامر ماء السماء[٤] بن حارثة[٥] بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد الأزدي المزوني[٦] العتكي البصري. وكان للمهلب بنت اسمها ((صفرة)) وبها كان يكنى، كما يكنى المهلب بأبي سعيد[٧].

---

(١) وقيل: سارق بن ظالم، وقيل العكس، وقيل طارق بن سارق، وقيل قاطع بن سارق (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٦٥/١).

(٢) بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء، كانوا يقطنون عمان. انظر التفاصيل في (الهمذاني: صفة جزيرة العرب ص ٢١١؛ ابن منظور: لسان العرب ٤٦٤/١٠؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٣١٢/٣).

(٣) كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى مزّقهما وخلعهما، وكان يكره أن يعود فيهما، ويأنف أن يلبسهما أحد غيره، وانتقل من اليمن إلى الشام، والأنصار من ولده (الأوس والخزرج) ويعتبر الأكراد من نسل عمرو مزيقياء، وقد نزلوا إلى أرض العجم فتناسلوا بها وكثرو لديهم فسمّوا الكرد.
(ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٥٧/٥ - ٣٥٨).

(٤) لقب بماء السماء لجوده وكثرة نفعه، فشبه بالغيث (ابن خلكان: المصدر نفسه ٣٥٨/٥).

(٥) السهمي: تاريخ جرجان ص ١٢.

(٦) ابن منظور: لسان العرب ٤٠٧/١٣.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢٩/٧، ابن قتيبة: المعارف ص ٣٩٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٥٠/٥ - ٢٧٨/٦، ابن نباتة المصري: سرح العيون ص ١٩٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦٥/١، المباركفوري: العقد الثمين في فتوح الهند ص ١٠٠.

نشأته

ولد يزيد بن المهلب بالبصرة سنة ٥٣هـ - ٦٧٢م [(١)] وبها نشأ وامتاز بالطول وضخامة المنكبين وجمال الشكل يقول المغيرة بن جبناء فيه:

جميل المحيا بحتري إذا مشى وفي الدرع ضخم المنكبين شناق [(٢)]

ويبدو أن يزيد لم تسلط عليه الأضواء في العشر سنين الأولى من حياته، ففي الوقت الذي نوهت فيه المصادر[(٣)] على مشاركة إخوته: حبيب[(٤)] والمغيرة[(٥)] لأبيهم المهلب بن أبي صفرة في حروبه المتعددة توقفت عن ذكر أيّ دور لأخيهم يزيد، الذي كان يصغرهم سناً في تلك الفترة.

---

(١) ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٢١٩، ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣٠٦/٦.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ١١٢/١٣.

(٣) وأهمها: الطبري: تاريخ الأمم ٦٢١/٥؛ ١٥٣/٦، ١٩٣، ٢١٣، ٣٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٧/٤، ١٣٠، ١٤٩، المبرد: الكامل ٣٧٢/٣، ٣٧٦، ٣٨٤.

(٤) هو حبيب بن المهلب، أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني، كانت له ولاية كرمان، ثم عزله الحجاج عنها سنة ٨٧هـ / ٧٠٦ م. استعمله سليمان بن عبد الملك على السند، فحارب قوماً وظفر بهم، وأعطاه أهل الرور الطاعة، وقاتل قوماً كانوا ناحية مهران، وصحب أخاه يزيد بن المهلب في معظم أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك إذ كان على ميمنة أخيه يزيد في حين كان على ميسرته أخوه المفضل، ومن كلام حبيب لبنيه – وقيل بل كلام المهلب – لا يقعدن أحدكم في السوق، فإن كنتم لابد فاعلين فإلى زرّاد أو سرّاج أو ورّاق. انظر (ابن قتيبة: عيون الأخبار – ١٢٩/١، البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢٨، الطبري: تاريخ الامم ٥٩٥/٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٧٩/١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٠/٤، محمد دروزة: تاريخ الجنس العربي ٢٨٣/٧، المباركفوري: العقد الثمين ص ١٧٨).

(٥) هو أبو فراس: أمير من شجعان العرب المعدودين، كان شجاعاً وجواداً وله مواقف مشهورة، وكان خليفة أبيه بمرو على عمله كله، مات في شهر رجب سنة ٨٢هـ / ٧٠١م وجزع والده على موته. انظر (الطبري: تاريخ الأمم ٣٥٠/٦ – ٣٥١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ٤٦/٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦٣/١).

ولم يكن ينتظر من هذا الغلام الصغير أن يشارك والده في حرب الأزارقة حين كتب أهل البصرة كتاباً [١] على لسان عبد الله بن الزبير[٢]. يكلفونه فيه بمهمة التصدي لهم، وكان ذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م. إذ كان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة، لكن من الممكن أن يكون -عندئذ - قد أخذ يتدرب على الفروسية، ويكتسب الخبرة العسكرية، كما لا يستبعد -والله أعلم - أن يكون قد أقحم نفسه في مشاركة من ردّوا الخطر عن البصرة في العام نفسه، خاصة حين استنفرهم والده المهلب، وقال لأهل البصرة: ((إليّ إليّ عباد الله، وحين اجتمعوا قال لهم: عزمت على كل امرئ منكم لماأخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم - أي الأزارقة - فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم، فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم، ففعلوا))[٣].

وقد يكون بعد سن الثانية عشرة قد بدأت تظهر مواهبه العسكرية، ثم صقلت هذه المواهب، فاستطاع خلال الخامسة عشرة وما بعدها أن يتعلم أموراً كثيرة منها: الفروسية وتنظيم الجيش وأساليب التعبئة،

(١) جاء في هذا الكتاب "بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة، سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الحارث بن عبد الله كتب إليّ أن الأزارقة المارقة أصابوا جنداً للمسلمين كان عددهم كثيراً وأشرافهم كثيراً، وذكر أنهم أقبلوا نحو البصرة، وقد كنت وجهتك إلى خراسان، وكتبت لك عليها عهداً، وقد رأيت ذكر هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتالهم، فقد كنت رجوت أن يكون ميموناً طائرك مباركاً على أهل مصرك، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خراسان، فسر إليهم راشداً، فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله" (الطبري: تاريخ الأمم ٥/٦١٥ - ٦١٦).

(٢) و لم يكن عبد الله بن الزبير - حينئذ الخليفة - بل كان مستولياً على الحجاز والعراق.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩.

ونظام إعداد السلاح، والإمدادات والتموين والتنقل، والقيادة، وكان الفضل الكبير يعود - بعد الله تعالى - إلى احتكاكه والتصاقه بالقادة الآخرين، مما دفع بالعرب إلى أن يوجهوا أنظارهم إليه في تلك المدة، فشرفه الناس - كما يقول أخوه حبيب - وشاع فيهم له الصيت ورمته العرب بأبصارها[١].

ولكن بعد اكتسابه المهارات السابقة لا نستبعد أن يكون له دور في هذه الحرب، خاصة بعد بلوغه سن العشرين، وقد أشارت بعض المصادر[٢] إلى ذلك حينما وجه أبوه إليها من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير بسنة واحدة (أي سنه ٧٤هـ / ٦٩٣م) وهذا ما سنوضحه - إن شاء الله تعالى - بعد ذلك في الصفحات القادمة.

تزوج يزيد بن المهلب امرأة يقال لها عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي[٣] وكان له عدة أبناء منهم: خالد[٤]، مخلد[٥]، معاوية[٦]،

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٤/٦.

(٢) المبرد: الكامل ٣٦٤/٣، الطبري: تاريخ الأمم ١٩٥/٦.

(٣) البغدادي: المحبر ص ٤٤٣.

(٤) من أبطال الأسرة المهلبيه وشجعانها، شارك والده يزيد بن المهلب في فتح طبرستان وجرجان سنة ٩٨هـ/٧١٧ م وبعث به إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ/ ٧١٩ م فبقي هناك في السجن حتى مات (الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٠/٦، ٥٤٣، ٥٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٣٠٦، ٣٠٩، ٣٦٦).

(٥) كان مع أبيه في أكثر وقائعه وولاياته، وبعد ما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عمله ويحضر اليه، فاستخلف يزيد ابنه مخلد، وطلب الافراج عن أبيه حين سجن، قال فيه عمر بن عبد العزيز: إن هذا فتى العرب " . قال فيه حمزة بن بيض الكثير من الشعر، مات في حدود سنة مائة للهجرة (الأصفهاني: الأغاني ٢٣٤/١٦ - ٢٣٧، ابن الأثير الكامل في التاريخ ٣١٩/٤، ٣٢٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٧/٦، الزركلي: الأعلام ١٩٤/٧).

(٦) من قادة الأسرة المهلبية، جعله والده يزيد على سمرقند وكس ونسف وبخارى سنه ٩٨هـ/ ٧١٦ م وذلك حين سار إلى جرجان لحرب صول التركي، كما استخلفه والده على واسط سنة =

عبدالرحمن[١] عمر[٢]، منجاب، المعارك، عبد الله، المغيرة، المفضل، وهؤلاء الخمسة الأخر أسروا بعد قتل أبيهم وقتلوا[٣].

وعاش يزيد بن المهلب بين إخوة عظماء كان لهم دور بارز في الحروب التي دارت بين أهل البصرة وأهل الشام، ومن إخوته: المغيرة، وحبيب، والمفضل[٤]، وعبد الملك[٥]، ومروان[٦]، ومحمد[٧] وزياد[٨]،

= ١٠٢هـ/ ٧٢٠ م حين شخص للقاء مسلمة بن عبد الملك، وكان له دور في قتال أهل الشام، قتل مع جماعة من إخوانه عند قنابيل بالسند (الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٧/٦، ٥٩٠-٥٩١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٨/٤، ٣٣٩، ٣٤٤).

(١) ورد ذكره سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦ م حين غلب عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على بلاد فارس، وبعد أن سيطر سليمان بن حبيب على مدينة سابور وطرد الأكراد منها، كتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة فقال عبد الرحمن بن يزيد: لا يفي لك وإنما أراد أن يدفع عنها ويأكل سابور، فاكتب إليه فيقدم عليك إن كان صادقا، فكتب إليه فقدم... قتل سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م (الطبري: تاريخ الأمم ٣٧٢/٦، ٤٦٠).

(٢) وكان قد فرّ إلى بلاد الترك (السهمي: تاريخ جرجان ص ١٢ هامش ١).

(٣) السهمي: تاريخ جرجان ص ١٢ هامش ١.

(٤) وقيل الفضل، أبو غسان، والٍ من أبطال العرب ووجوههم في عصره، ولاه الحجاج خراسان سنة ٨٥ هـ/٧٠٤ م وقاتل إلى جانب أخيه يزيد بن المهلب ضد فلول ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م وعمل كاتباً لسليمان بن عبد الملك وانتقل إلى قنابيل بالسند، فأدركه هلال بن أحوز التميمي - وكان قد سيره مسلمه بن عبد الملك لقتاله - فقتل هناك. انظر(ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٥/٤، ٢٢٨، مؤلف مجهول،العيون والحدائق ٣٥/٣، الزركلي: الأعلام ٢٨٠/٧).

(٥) من شجعان العرب وأشرافهم، خرج على بني مروان مع أخيه يزيد، وشهد الوقائع في العراق، فقتل أخوه يزيد وتفرقت جموعهما، ثم قتل مع أخيه المفضل على أبواب قنابيل بالسند (الطبري: تاريخ الأمم ٤٤٨/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٤/٤، الزركلي: الأعلام ١٦٥/٤).

(٦) شجاع وخطيب من أشراف العرب، خرج بالعراق مع أخيه يزيد حين خلع طاعة بني مروان، وقتل مع بعض إخوته على أبواب قنابيل بالسند (الأصفهاني: الأغاني ١٩ ص ١٦، الزركلي: الأعلام ٢٠٩/٧).

(٧) من شجعان العرب وأشرافهم، كانت له أدوار عظيمة في الوقوف إلى جانب أخيه يزيد، حينما خلع يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ / ٧١٩م، كما كان له دور بارز أثناء مقتل أخيه يزيد بن المهلب، حيث قتل مع السميدع الكندي سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م (الطبري: تاريخ الأمم ٥٧٩/٦، ٥٩٥، ٥٩٧).

(٨) أحد الأشراف الشجعان من بيت مجد ورياسة، شهد مع أخيه يزيد حروبه في العراق حينما خلع طاعةبني مروان، ولاه أخوه يزيد عمان سنة ٩٩هـ/٧١٧ م وقتل بعد أخيه يزيد بقنابيل بالسند (الطبري: تاريخ الأمم ٥٠٦/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٣/٤، ٣٤٤، ٢٩٣).

ومدرك[1]، ومعاوية[2]، وحمادا[3] وتتفق الروايات[4] على أنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلثمائة ولد.

عمل يزيد بن المهلب كاتباً عند الخليفة سليمان بن عبد الملك، وأسند إليه أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً فقط وهو:

أخبرني أبو أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد الأديب، بعسكر مكرم إجازة مشافهة أو سماعاً على الشك مني حدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن إسماعيل بن ماهان الأيلي، حدثنا محمد بن خالد بن خداش، حدثني أبي عن الهيثم بن عدّي عن يونس بن أبي اسحاق، قال خطبنا يزيد بن المهلب بطبرستان، فقال: حدثنا أنس بن مالك، قال قال رسول الله ﷺ: قلما استلحق قوم رجالاً إلاّ ورثهم، قال الهيثم. فحدثت ابن عيسى بن موسى، فقال رجل في المجلس: لو كان هذا الحديث عن

---

(١) قائد من الشجعان شارك أخاه المفضل ٨٥هـ ٧٠٤م في قتال موسى بن عبد الله، حيث ضيقوا عليه في جزيرة بالترمذ، وسيطروا عليها ودفعوها إلى مدرك، ثم خرج الأزد إليه سنة ١٠١هـ/٧١م لينقذوه من بنى تميم وتم له ذلك (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٤١٠، ٥٨٦، ٤١١).

(٢) كان في السند أيام سليمان بن عبد الملك في ولاية يزيد بن أبي كبشه، فبعث يزيد محمد ابن القاسم مقيداً مع معاوية بن المهلب إلى العراق. له ابن اسمه سفيان، تولى البصرة، وقتل معاوية بقندابيل فيمن قتلوا من آل مهلب سنة ١٠٢هـ ٧٢٠م التفاصيل في (البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢٨، ٤٢٩؛ المباركفوري، العقد الثمين في فتوح الهند ص ١٧٩).

(٣) شارك إخوته الآخرين في لقاءهم بيزيد بن عبد الملك، وقتل معهم، فقال فيهم الشاعر:

سقي الله أجساداً ببابل كسروا ... سيوفهم والاثرى المعضدا
حبيباً وحماداً وذو البأس والندى ... يزيد وأسقى مدركاً ومحمداً

(ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/١٩).

(٤) ابن قتيبه: المعارف ص ٤٠٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/٣٥٤، ابن العماد: شذرات الذهب ١/٩١.

غير يزيد، فقال عيسى: كان يزيد أشرف من أن يكذب في الحديث[1] أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن أنس بلفظه[2].

(١) السهمي: تاريخ جرجان ص ١٢.

(٢) وحديث يزيد هذا لم نجده عند أحد من أصحاب الكتب التي ألفت في الحديث على غزارتها إلاّ عند ابن عساكر في تاريخه. ثبت هذا بالاطلاع على مصادر التخريج مثل: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومفتاح كنوز السنة، وكتاب كنز العمال وهو يحتوي على أكثر من خمس وثلاثين مصدراً للحديث. وترجمة يزيد مذكورة في سير أعلام النبلاء وفي وفيات الأعيان.. وكذلك عند ابن عساكر في تاريخه، ولكن للأسف أن الترجمة وقعت في الجزء المفقود من تاريخ ابن عساكر ما بين يزيد بن معاوية ويزيد بن يزيد (الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٠٦/٤ هامش ٢، ابن حسام الدين الهندي: كنز العمال ١٩٦/٦).

صفاتـه

اشتهرت أسرة المهلب بالشجاعة الفائقة[١]، وأصبحت هذه الصفة ملازمة لهم، فإذا ذكرت الشجاعة وردت أسماء هذه الأسرة إلى جانبها، فكان المهلب مثلاً أعلى لأبنائه، فقد استطاع أن يقارع الخوارج الأزارقة سنوات طوالاً، وسار على هذا المنوال أبناؤه من بعده، إلاّ أنه يوجد تفاوت بينهم، فمثلا يزيد الذي نحن بصدد الحديث عنه - كان يفوق إخوته شجاعة وإقداما وصرامة[٢]، وله فيها مواقف مشهورة سطرتها كتب الأدب والتاريخ.

وقيل: إنه وقعت عليه حيّة فلم يدفعها عن نفسه، فقال له أبوه (ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة)[٣].

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب، فرأى بنيه - وفيهم يزيد - قد ركبوا عن آخرهم فقال: أنس الله الإسلام بتلاحقكم، أما والله لئن لم تكونوا أسباط[٤] نبوّة إنكم لأسباط ملحمة.

والصبر على المكاره وتحمل المشاق من الصفات التي تميز بها يزيد، فحين كان الحجاج بن يوسف الثقفي يسعى إلى إخضاع آل المهلب عرّضَ يزيد للحبس والتعذيب سنة ٨٥ هـ/ ٧٠٤م وقيل - وهذا لا يخلو من

---

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ١/٢٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٧٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢١٥.

(٣) ابن خلكان: وفيات ٦/٢٨٣ - ٢٨٤.

(٤) الأسباط: خاصة الأولاد، وقيل أولاد الأولاد، وقيل أولاد البنات، لكن ما يقصد به هنا هو خاصة الأولاد (ابن منظور: لسان العرب ٧/٣١٠).

المبالغة -: إنه رماه بسهم ثبت نصلها في ساقه، ولا يمسّها شيء إلاّ صاح، فكان يصبر صبراً حسنا في ذلك[1].

ولما اعترض الترك - سنة ٨٢هـ / ٧٠١م - طريق يزيد - وكان عدد المسلمين حينئذ أقل منهم - رأى مجاعة العتكي عدم الحرب بين الطرفين؛ لعدم التكافؤ بينهما، وحتى لا تجتمع مصيبتان على المهلب بن أبي صفرة، الذي توفي ابنه المغيرة ذلك العام (أي سنة ٨٢هـ /٧٠١م).

فكان ردّ يزيد عليه مزيج من عمق الإيمان والصبر والشجاعة، حيث قال لمجاعة العتكي: " إن الإنسان لا يعدو أجله مهما يكن "[2].

والدهاء كان من صفاته أيضاً، فحين تعرض يزيد للحبس من قبل الحجاج، وخرج منه ليستجير بسليمان بن عبد الملك، كره الوليد بن عبد الملك - الخليفة - ذلك، ورفض الأمان الذي أعطاه إياه أخوه سليمان. عندها أشار يزيد بدهائه على سليمان بأن يبعث به إلى الخليفة مقيداً بسلسلة يكون معه فيها أيوب بن سليمان؛ حتى يستعطفه من خلال هذه الحيلة، ثم يحمل معه كتاباً خاصاً بالخليفة يقول فيه ((ياأمير المؤمنين فإني قد وجهت إليك بيزيد، فابدأ بأيوب من قبله، ثم اجعل يزيد ثانيا، واجعلني ثالثاً إن شئت والسلام))[3]. فكانت النتيجة أن قرّب ابن أخيه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٦/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ٨٣/٩.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٣٥١/٦.
(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٤/٧.

إلى جانبه، وأمر بفكّ القيود التي على يزيد، وقال: أشفقنا على سليمان[1].

ومن الأمثلة التي تدل كذلك على دهاء يزيد أنه لما وصل إلى مرو الروذ [2] أتاح لخصمه - عبد الرحمن بن العباس الهاشمي - أن يأخذ ما جباه من الناس - علماً بأنه ليس له حق في ذلك، ثم أجاز له أن ينال من المال ما يشاء زيادة على ذلك [3]، وهذا بلا شك تغرير منه بالخصم، ليشغله بالمال وبما جمع من أجل السيطرة عليه في النهاية [4].

والكرم يعتبر صفة تأصّلت في آل المهلب عامة(٥) حتى أن الشاعر ليقول فيهم:

آل مهلب قوم إن نسبتهم ... كانوا الأكارم آباءاً وأجداداً

كم حاسد لهم يعيا بفضلهم ... وما دنا من مساعيهم ولا كادا

إن العرانين تلقاهم محسّدة ... ولا ترى للئام الناس حسّادا

لو قيل للمجد حِد عنهم وخلهّم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا

إن المكارم أرواح يكون لهـــــا ... آل مهلب دون الناس أجساداً [6]

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨٤/٩.

(٢) مدينة قريبة من مرو الشاهجان (مرو العظمى وقصبة خراسان) بينهما خمسة أيام، وهي على نهر عظيم، فلهذا سميت بذلك (ياقوت: معجم البلدان ١٢/٥، ابن عبد الحق: مراصد الاطـــلاع ١٢٦٢/٣).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦ / ٣٧٢.

(٤) سيأتي الحديث - إن شاء الله - بالتفصيل عن هذه الأمثله في مواضعها من البحث، وُذكرت هنا في إيجاز للدلالة بها فقط.

(٥) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ٢٧٥/١.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٣/٦.

وتأصلت هذه الصفة في يزيد خاصة، وساعده على هذا كثرة أملاكه وخيراته، فعلى سبيل المثال لا الحصر. المزارع المنتشرة في كلٍ من خراسان وما حولها والعراق وما جاورها تدرّ عليه الأرباح الوفيرة كل عام، حتى أنه ليروى أن وكيلاً له باع بطيخاً - فقط - جاءه من مَغلّ بعض أملاكه بأربعين ألف درهم[1].

ولذلك أخذ ينفق في جميع أحواله، فهو كريمٌ وجوادٌ في السرّاء والضّراء، ومع الفقراء والأغنياء[2]، وفي هذا المجال لم ينس كبار السن والضعفاء، ولم يكن يفكر في المال وقيمته، بل كان ينفقه بسخاء وطيب نفس، حتى أنه شبّه في كرمه بالبحر، وأن السفن - أي الناس - لتجري في ذلك البحر كيفما شاءت ومتى شاءت[3].

وقال الذهبي[4]: إن يزيد بن المهلب حَجّ فلما حلق رأسه الحلاق أعطاه ألف درهم، فدهش بها وقال: أمضي أبشّر أمّي، قال: أعطوه ألفاً أخرى.

ومرّ يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية فأهدت له عنزاً فقبلها، وقال لابنه معاوية: ما عندك من نفقة ؟ قال ثمانمائة درهم. فأمره أن يعطيها ذلك، فقال: إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير، قال: إن

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) ولعل الحكمة في انفاقه على الأغنياء مع يسرهم أنه ربما أعطاهم من مزارعه ما لم يتوفر عندهم من أنواع الثمار وغيرها، أو ليكسب حبهم وودّهم.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٧٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/٣٠٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٤.

كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي، وإن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير [١]..

وذكر أن رجلاً - اسمه عكرمة - جاء إلى يزيد بن المهلب فقال له: أصلح الله الأمير أنا نازح الدار كبير السّن كثير العيال، قليل الشره، فأمر له يزيد بأربعة الآف درهم [٢].

وكتب يزيد بن المهلب إلى أحد رجاله: قد بعثت إليك بمائة ألف درهم ولم أذكرها تمنناً، ولم أدع ذكرها تجبراً، ولم أرد بها جزاءً والسلام.

ودخل حمزة بن بيض [٣] على يزيد في السجن فأنشده:

اغلق دون السماح والجود والنجـ ـــدة باب حديــده أشـــب
ابن ثــلاث وأربعـين مضــت لا ضـــرع واهــن ولا نكـب
لا بطـــــر إن تتابعــــت نعـــم وصابر في البلاء محتسب
بـرزت سـبق الجــواد في مهـــل وقصّرت دون سعيك العــرب.

فرمى إليه بخرقة مصرورة، وفيها فصّ ياقوت أحمر كأنه سقط زند، فباعه بخراسان على رجل بثلاثين ألف درهم [٤].

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٦/١.
(٢) السهمي: تاريخ جرجان ص ١٢ - ١٣.
(٣) حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي، من بني بكر بن وائل، شاعر عريق، سائر القول كثير المجون من أهل الكوفة كان منقطعا إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى بلال بن أبي بردة، حصلت له أموال إلى الغاية من ذهب وخيل ورقيق، قيل إنه حصل على ألف ألف درهم (مليون درهم). توفي سنة ١٢٠هـ /٧٣٧م (ابن شاكر: فوات الوفيات ٣٩٥/١ - ٣٩٦).
(٤) الأصفهاني: الأغاني ٢٢٣/١٦.

وقال الأصمعي: قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعه، فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ... طلب إليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ... أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التـي عَوّدتنـا ... أولا فارشدنا إلى من نذهـب

فأعطاه ألف دينار وجاءه مرة أخرى في العام المقبل فقال:

مالي أرى أبوابهم مهجورة ... وكان بابك مجمع الأسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى ... بيديك فاجتمعوا من الآفاق
إني رأيتك للمكارم عاشقـاً ... والمكرمـات قليلة العشّـاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم [1].

ودخل الهذيل بن زفر الكلابي على يزيد بن المهلب في حمالات - أي الدية - لزمته ونوائب نابية، فقال له: أصلحك الله إنه قد عظم شأنك وارتفع قدرك أن يستعان بك أو يستعان عليك، ولست تفعل شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه، وليس العجب من أن تفعل ولكن العجب من ألا تفعل. قال يزيد: حاجتك. فذكرها. فأمر له بها، وكانت مائة ألف، فقال له: أما الحمالات فقد قبلناها، وأما المال فليس هذا موضعه [2].

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٠٥/١ - ٣٠٦، الأصفهاني: الأغاني ٦٢/٢١، أبو علي القالي: الأمالي ٢٨٣/٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٣/٦.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٦٦/٢ - ٦٧.

وقدم حاجب الفيل[1] إلى يزيد، فاستأذنه في أن ينشد أبياتاً، فرفض يزيد ذلك حتى يقول حاجته.فقال: إنه ليس لأحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقّك ولكن المجتهد محسن فلا تهجني بمنعي الإنشاد وتأذن لي فيه، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي، فأذن له بالإنشاد وقال:

كم من كميّ في الهياج تركته   يهوي لفيه مجدلاً مقتولاً
جللت مفرق رأسه ذارونق   عضب المهزّة صارماً مصقولاً
قدت الجيـاد وأنت غـرّ يافع   حتى اكتهلت ولم تزل مأمولاً
كم قد حربت وقد جبرت معاشــراً   وكـم امتننت وكـم شفيت غليلاً

فأعطاه يزيد خمسة تخوت[2] وثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم[3].

الجدير بالذكر أن الكرم في يزيد ليس صفة مفتعلة ! إنما هو أمر قد جبل عليه، ولهذا أحدثت - أي صفة الكرم - أثراً عظيما في حياته، فقّربت منه القاصي، وحببت فيه الناس ورفعت مكانته بين أقرانه، ولا أشك أنها كانت عاملاً من العوامل التي هيأت له الانتصار على أعدائه، وساعدته على كثير من الفتوحات التي استعصت على غيره، إلاّ أنها في المقابل عرّضته للتهم الكثيرة، فاعتبر يزيد مغتصباً للأموال - بعد

(١) هو حاجب بن ذبيان المازني.
(٢) مفرده تَخْت، وهو وعاء تحفظ فيه الثياب (الزبيدي: تاج العروس ٥٣٢/١).
(٣) الأصفهاني: الأغاني ٢٥٨/١٤ - ٢٥٩.

فتوحاته العظيمة -، ثم لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعرض للمسائلة وللسجن أكثر من مرة بسببها، وهذا ما سنوضحه - إن شاء الله تعالى - فيما بعد.

مشاركته والده في حرب الأزارقة

حين تم توجيه المهلب بن أبي صفرة عاملاً على الموصل والجزيرة من قبل عبد الله بن الزبير سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، وجدها الأزارقة فرصة عظيمة، فتقدموا بقيادة الزبير بن الماحوز[١] حتى وصلوا العراق ودخلوا المدائن[٢]، وشنّوا الغارة على الأهالي، فأخذوا يقتلون الأطفال والنساء والرجال ويبقرون الحبالى، فهرب عاملها ـ كردم بن مرثد الفزاري ـ منها، ثم أخذوا يتنقلون من مكان لآخر حتى مات صاحبهم ـ الزبير بن الماحوز ـ فولوا عليهم قطري بن الفجاءة، واتجه هذا ناحية كرمان، فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة، فاستولى على حاصل الأرض واجتبى المال وقوي ثم نزل أصبهان، فوكل مصعب بن الزبير المهلب بن أبي صفرة (على) حربهم، فاتجه إلى البصرة، وانتخب الناس وسار بمن أحبّ، والتقى بهم في سولاف[٣] فاقتتلوا بها ثمانية أشهر قتالاً مريراً[٤].

---

(١) الزبير بن علي السليطي اليربوعي ابن أبي الماحوز، زعيم الأزارقة بعد مقتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م في حرب مع المهلب، تقدم الزبير بالأزارقة إلى أصبهان وأميرها عتاب بن ورقاء الرياحي، فحاصرها سبعة أشهر، ثم سقط الزبير قتيلاً في المعركة.(الزركلي: الأعلام ٣/٤٢ - ٤٣).

(٢) عاصمة الساسانيين،كانت سبع مدائن في العهد الأخير للدولة الساسانيه وهي: طيسفون، رومكان (سلوقية)، اسبانبر، ويه أردشير (وهي بهرسير)، درزينذان، بلاش آباد، ماحوذا، والمدائن هي التسمية التي استعملها العرب قبل الإسلام وبعده.. التفاصيل في (أحمدكمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ص ٣١.- ٣٤).

(٣) قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان، قرب مناذر الكبرى. التفاصيل في (ياقوت: معجم البلدان ٣/٢٨٥).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/١١٩ - ١٢٧.

ثم جدَّ المهلب في المسير إليهم بعد أن ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م) حربهم، وهنا تظهر بوضوح مشاركة يزيد والده المهلب في حرب هذه الفرقة القوية، فتشير بعض المصادر[١] إلىأن الأزارقة حين بلغوا نهر الفرات، وعلموا بدنو المهلب بن أبي صفرة انكشفوا عنه، فتبعهم إلى سوق الأهواز[٢] وأخرجهم عنها، ثم تبعهم إلى رامهرمز[٣]، فهزمهم فيها فدخلوا بلاد فارس. ويؤكد على أن يزيد ابن المهلب أبلى بلاءً شديداً في تلك الوقائع المذكورة، علماً بأن عمره لم يكن يتجاوز إحدى وعشرين سنة.

وحين صار القوم بفارس وجه المهلب إليهم ابنه المغيرة ليقوم بقتالهم باعتباره أكبر سناً من أخيه يزيد، كما أنه أكثر خبرة ودراية حربية، وهذا يعني أن يزيد حتى ذلك الحين لم يتول قيادة أي جيش في الوقت الذي يملك فيه القدرة على مجابهة الخصم والتفنن في أساليب القتال.

وبذل - أي يزيد - كذلك جهوداً جبارة بالتعاون مع إخوته المغيرة وحبيب وغيرهم - سنة(٧٥هـ /٦٩٤م) أثناء قتالهم لقطري بن

(١) المبرد: الكامل ٣/٣٦٤ - ٣٦٥.
(٢) المقصود بذلك سوق الكورة العظيمة (الأهواز) وهي تجمع سبع كور: الأهواز، جنديسابور، السوس، سّرق، نهربين، نهرتيرى، مناذر، وتوجد هذه الكور بين البصرة وفارس.. انظر (البكري: معجم ما استعجم ١/٢٠٦).
(٣) مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، يكثر فيها النخل والجوز والأترنج - (ياقوت: معجم البلدان ٣/١٧)

الفجاءة، الذي كان يعسكر ذلك الوقت بكازرون [1]، فانهزم بسبب ذلك الخوارج،وأصبح الأمر للمهلب وأبنائه [2].

وفي سنة ٧٦هـ / ٦٩٥م وجه الحجاج بن يوسف إلى المهلب رجلين [3] يستحثانه مناجزة القوم، فضم المهلب زياداً إلى ابنه حبيب، وضمّ الآخر إلى ابنه يزيد، وقال لهما: خذا يزيداً وحبيباً بالمناجزة، وأغاروا على الخوارج، فاقتتلوا أشد قتال، فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الآخر [4].

فأرسل الحجاج رجلين - أحدهما من كلب والآخر من سليم - لنفس الغرض فطلب المهلب من ابنه يزيد أن يناجز الخوارج فناجزهم، وذلك في قرية من قرى اصطخر - فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه، ثم حمل يزيد بن المهلب عليهم، ففرق جمعهم إلا أنهم حماهم فارسان، فطلب يزيد من قيس الخشني - مولى العتيك - أن يحمل عليهما، فطعن أحدهما وصرعه وعانقه الآخر فسقطا جميعاً إلى الأرض، فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعاً فحملت خيل كل منهما على الآخر، فحجزوا بينهما [5].

(١) مدينة بفارس بين البحر وشيراز وهي من النوبندجان اكبر مدن كورة سابور، وصفها ابن حوقل في أيامه بأنها أصغر من النوبندجان، حسنة البناء وبيوت أهلها من جصّ وحجارة (ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢٣٨، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٠٢).

(٢) المبرد: الكامل ٣/٣٦٩.

(٣) أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن (من بني عامر بن صعصعة)، والآخر من آل أبي عقيل (جدّ الحجاج).

(٤) المبرد: الكامل: ٣/٣٧٩.

(٥) المبرد: الكامل ٣/٣٨٦.

وهكذا استمرت الجهود الحربية الخاصة بيزيد قائمة في مواجهة الخوارج حتى أنه بعثه والده ذات مرة إلى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري بن الفجاءة، وأنه مقيم على عبد ربّه، ويسأله أن يوجّه في اثر قطري رجلاً جلداً في جيش [1].

وقدم على المهلب عبيدة بن أبي ربيعة الثقفي يحثه على التصدي للخوارج - ومعه أمينان - فلما كان العشي خرج الأزارقة، وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخففوا متاعهم مساعدة لهم على سرعة الانتقال، فطلب المهلب من أصحابه أن يمنعوهم من الذهاب، وقال لعبيدة بن أبي ربيعة: كن مع ابني يزيد فخذه بالمحاربة أشدّ الأخذ، وقال لأحد الأمينين كن مع ابني المغيرة، ولا ترخّص له في الفتور، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى هُزم الخوارج ودخل المهلب جيرفت، ثم سأل ابنه المغيرة عن الأمين الذي كان معه ؟ قال: قُتل، ثم سأل ابنه يزيد عن عبيدة بن أبي ربيعه ؟ قال: لم أره منذ كانت الجولة [2].

ولما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه الكبير - سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م جمع هذا أصحابه وقال: (يامعشر المهاجرين إن قطرياً وعبيدة هربا طلباً للبقاء ولا سبيل إليه، فالقوا عدّوكم، فإن غلبكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت، فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم، وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة) فلما أصبحوا أغاروا

(١) المبرد: الكامل ٣/٣٨٨، ٣٩٥.
(٢) المبرد: الكامل ٣/٣٩٧ - ٣٩٩.

على المهلب، فقاتلوه قتالاً شديداً، فنادى المهلب بأصحابه: الأرض الأرض، وقال لبنيه: تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم، ونادى الخوارج - الأزارقة - ألا إن العيال لمن غلب، فصبر بنو المهلب، وخاصة يزيد الذي قاتل قتالاً شديداً أبلى فيه بلاءاً حسناً فقال له أبوه: (يابني إني أرى موطناً لا ينجو فيه إلا من صبر، وما مرّ بي يوم [١] مثل هذا منذ مارست الحروب) وترتب على هذا القتال الشديد مقتل عبد ربه وهزيمة الخوارج [٢].

وحين بعث المهلب بكعب بن معدان الاشقري [٣] إلى الحجاج سأله عن بني المهلب ؟ فقال: المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد بن المهلب فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مدرك، وعبد الملك سمٌ ناقع وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غالب، وكفاك بالمفضل نجدة، قال الحجاج: فأيهم كان أنجد ؟ قال: كانوا كالحلقةالمفرغة لا يعرف طرفها [٤]، فاستحسن قوله، وكتب إلى المهلب يشكره ويأمره أن يولي على كرمان من يرى فيه الكفاية [٥]

---

(١) قيل إن اسمه يوم شعب بوان وهو اليوم الذي كان للمهلب على الأزارقة (القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٤١٧)

(٢) المبرد: الكامل ٣/٤٠١ -٤٠٢.

(٣) هو كعب بن معدان الاشقري. أبو مالك. فارس، شاعر، خطيب، من شعراء خراسان، كان معدوداً في جلّة أصحاب المهلب بن أبي صفرة المذكورين في حروب الأزارقة، وهو من الأشاقر من قبائل الأزد. انظر التفاصيل عن أخبار وفادته في (أبو علي القالي: الأمالي ١/٢٦٥، الزركلي الأعلام ٥/٢٢٩).

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٨٣.

(٥) وفي كتاب الحجاج إلى المهلب: أما بعد فإن الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيراً وأراحهم من حـد=

فولى المهلب ابنه يزيد عليها، وقال له "يابني إنك اليوم لست كما كنت، إنمالك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج، ولن تحتمل إلاّ على ما احتمل عليه أبوك، فأحسن إلى من معك، وإن أنكرت من أفعاله شيئاً فوجهه إليّ، وتفضل على قومك إن شاء الله" (١).

وبذلك يكون يزيد قد اجتاز المراحل الثلاث التي وضعها والده في المدرسة الخاصة به وبإخوته.

فالمرحلة الأولى: من الخامسة عشرة إلى العشرين، وفيها تدرب على الفروسية والمبارزة وأساليب القتال المختلفة.

والمرحلة الثانية: من العشرين إلى الخامسة والعشرين، وفيها دفع به أبوه إلى خضم حروب من أهمها مشاركته والده قتال الأزارقة وقد قام بدور الفارس الشجاع، بالتعاون مع والده الذي هيأ له الاحتكاك بمجموعة فرسان آخرين كزياد بن عبد الرحمن وعبيدة بن أبي ربيعة وطلب منهم أن يشحذوا من همته كي يتفانى في هذا المجال الصعب، حتى غدا فارساً شجاعاً بالفعل كما أفاد بذلك كعب الأشقري.

أما المرحلة الثالثة: وهي ما بعد الخامسة والعشرين وهي الأخيرة: فقد أصبح فيها قادراً على قيادة الجيوش، كما تأهل للإمارة والولاية وهذا واضح من توليته كرمان من قبل والده.

= الجهاد، وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فاقسم في المجاهدين فيئهم، ونفّل الناس على قدر بلاءهم، وفضّل من رأيت تفضيله، وإن كانت بقيت من القوم بقية فخلّف خيلاً تقوم بإزائهم، واستعمل على كرمان من رأيت، وولّ الخيل شهماً من ولدك، ولا ترخّص لأحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليّ وعجلّ القدوم إن شاء الله (المبرد: الكامل ٣/٤٠٥).

(١) المبرد: الكامل ٣/٤٠٥.

من فتوحات يزيد (الخُتلّ سنة ٨٠هـ/٦٩٩م)

بذل الأمويون جهدهم في مدّ الإسلام إلى جميع بقاع الأرض؛ استكمالاً للرسالة التي جاء بها محمد ﷺ وحملها خلفاؤه الراشدون من بعده، وكان للمشرق النصيب الأوفى من تلك الجهود، إذ لم تبق ناحية إلاّ وقد دوّى الإسلام في جنباتها، وانتهت الجهود بهم إلى بلاد الختل[(١)] فأين هي. وكيف فتحت ؟

كانت البقاع الجبلية العظيمة الواقعة في الزاوية التي يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون تعرف ببلاد الختل، وفي روايه الختن[(٢)].

وكان هذا الاسم يطلق على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خراسان وشمالها، وهي بلاد في غاية الخصب، وبها الخيول ودواب الحمل، وبها جملة مدن كبيرة على ضفاف أنهارها الكثيرة، ويكثر فيها القمح والفاكهة[(٣)].

ولعل ذلك كله كان أحد الأسباب التي دفعت بابن عم ملك هذه البلاد إلى أن يحسد ملكها - المسمى بالسّبل[(٤)] والملقب بختلان شاه -[(٥)] على هذا النعيم الذي أعطاه الله إياه، وربما كانت العلاقة بين الطرفين

---

(١) وقصبة تلك البلاد في المائة الرابعة (العاشرة) مدينة هلبك، إلا أن مدينة: منك، وهلا ورد تعتبران اكبر من هلبك، ومن مدنها الكبيرة أيضاً: انديجاراغ وفرغانة، وهما على نهرين باسميهما - التفاصيل (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨١).

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٤٦.

(٣) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٥، وقيل الشّبْل(ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٢).

(٥) ويلقب كذلك بشير ختّلان (ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٤٠).

قبل ذلك سيئة [(١)]، مما أثار حقده عليه، حيث أخذ يدبر للإيقاع به، ويتحين الفرص التي تتيح له سرعة الانتقام منه.

ولما كان ابن عم الملك [(٢)] لا يملك من القوة والسلطان ما يجعله ينفذ رغبته، وكانت قوة المسلمين بدأت تظهر في هذه المناطق، لذا بادر بالاتجاه إليهم حال سماعه بوصولهم إلى مدينة كش [(٣)] التي تقع إلى الجزء الشمالي منهم، وهذا يفهم منه أنه لم يكن اتصاله بالمسلمين حباً في الإسلام وأهله بقدر ما هو رغبة منه لتحقيق مأربه، ولهذا نراه يدعو المهلب - الذي دوّى صيته في الآفاق لقهره الخوارج - إلى غزو تلك البلاد - الختل - [(٤)] ومن المؤكد أنه نقل له أخباراً مفصّلة عن هذه البلاد وملكها، فضلاً عن أنه رسم له طريق الوصول إليها، إلاّ أنه رفض مصاحبتهم حتى لا يشك ملك هذه البلاد في أمره، ويتهمه بأنه هو الذي دسّ عليه، وهذا واضح في نزوله في معسكر آخر [(٥)].

لم يكن المهلب يعرف - مسبقاً - طبيعة العلاقة بين الطرفين، وبما أنه يهمه إخضاع أكبر قدر ممكن من تلك البلاد وإدخالها في طاعة الدولة الإسلامية، فضلاً عن أنه كان على علم بأن تلك الجهات لم تعلن

---

(١) لمعرفة العداء الذي كان بينهما راجع: الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٥ - ٣٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٢).

(٢) لم تبين المصادر اسمه.

(٣) كانت تسمى بهذا الاسم في العصور الوسطى، أما اسمها الآن فهي شهرسبز (المدينة الخضراء) وهي على نهر يسمى الآن كشكة دريا، وهو نهر موازٍ لنهر السغد في الناحية الجنوبية منه (كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٥١٢).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٢.

بعد خضوعها للمسلمين، لذا فكر في الاستجابة السريعة لطلب ذلك الرجل المجهول.

ولما اطمأن المهلب بأن ابنه يزيد قد وصل تلك المرحلة التي يمكن معها الاعتماد عليه في قيادة الجيوش وفتح البلاد، خاصة وأنه رأى فيه المميزات التي تؤهله لذلك من الفتوة والصلابة وقوة الشكيمة [(١)]. كلفه بأن يقوم بفتح بلاد الختلّ [(٢)].

في تلك الفترة كانت عيون السّبل تراقب الموقف عن كثب، ونقلت إليه أخبار اتصال ابن عمه بالمسلمين، مما دفع به إلى سرعة التحرك إلى معسكر ابن عمه - الذي دسّ عليه عند المسلمين - حيث قام السّبل بالتكبير في معسكره - حيلة منه - فاعتقد أن المسلمين هم الذين تكتلوا ضدّه حين اعتزل معسكرهم، وأنهم هم الذين غدروا به، لكن تبين له خلاف ذلك، فقد كان السّبل (ملك الختل) وراء كل ذلك، فاضطرب أو انهزم، وجئ به إلى السّبل في قلعته هلبك [(٣)] فما كان منه إلاّ أن قتله جزاءً له على اتصاله بالمسلمين وتأليبهم عليه [(٤)].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٧٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٢، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٤٦.

(٣) قصبة تلك البلاد وبها يقيم السلطان، ولعلها كانت بالقرب من موضع خلاب الحالية (كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٤٨١).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٥، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٤٦.

كان على القائد يزيد بن المهلب أن يتجه إلى بلاد الختل بعد أن هيئت له جميع الظروف، كما عليه أن يسرع الخطى إلى ملكها الذي جاءت أخباره بأنه قتل ابن عمه، ثم تحصن في قلعته خوفاً من المسلمين[1].

وبعد أن وصل يزيد قرب هذه البلاد بعث إلى ملكها يعرض عليه أحد الأمور الثلاثة الإسلام أو دفع الجزية أو القتال، فرفض الإسلام والجزية، تحدياً منه، ثم تحصّن في قلعته بهلبك، فتقدم إليه يزيد وحاصره وضيّق الحصار عليه، ويبدو أنه فكرّ في سلطانه الذي ربما يزول بسيطرة المسلمين عليه، كما خشي على الأملاك الكثيرة والخيرات الوفيرة أن تتحول إلى غيره، لذا عاد ورضخ بدفع جزية - لم توضح المصادر قدرها - ثم عاد يزيد أدراجه إلى والده المهلب الذي مازال آنذاك قابعاً في مدينة كش[2].

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٢.

ولايته مرو سنة ٨٢هـ/٧٠١م وموقفه من الترك

لما توفي المغيرة بن المهلب (عامل أبيه على مرو) بدأ المهلب - الذي مازال مقيماً في كشّ لحرب أهلها - يجيل نظره فيمن يقوم مقامه، وعلى الفور استقر رأيه على ولاية ابنه يزيد، فاستدعاه، وطلب منه أن يكون بدلاً من أخيه المتوفى، وأوصاه بما يعمل به في هذه البلاد(١).

وبدأ يزيد يستعد للقيام بما كلف به فاتجه مسرعاً إلى مرو مع عدد من الفرسان فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكيّ(٢)، وعبد الله بن معمر اليشكري(٣)، وأبو محمد الزمّي، فلقيهم في الطريق جماعة من الترك في مفازه نسف(٤).

والجدير بالذكر أن آخر لقاء وقع بين المسلمين والترك قبل أن يتولى يزيد مرو كان في سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م، وذلك حين وجّه الحجاج بن يوسف عبد الرحمن بن محمد الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل(٥) صاحبها،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٣٥١/٦، ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٤/٦.

(٢) شارك هذا الفارس عمر بن عبد الله بن معمر في قتاله لأبي فديك الخارجي، وحينما كشفت ميسرة عُمر بن عبيد الله تفرقوا في الأرض عدا المغيرة بن المهلب وجماعة أخرى فيهم مجاعة العتكي، فقد مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون... (الطبري: تاريخ الأمم ١٩٣/٦).

(٣) خلفّه يزيد بن المهلب مع أربعة آلاف على البياسان ودهستان قبل اتجاهه إلى طبرستان لفتحها، ولكن الإصبهبذ استجاش المرزبان ابن عم فيروز بن قول، فخرج إليهم وقتلهم جميعاً مع هذا الرجل (عبد الله)... (الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٠/٦).

(٤) تقع على بعد مائة ميل ونيف في منحدر النهر (نهر كشكة دريا) أسفل كش من الناحية الغربية لها، وكان يسميها عرب القرون الوسطى نسف، والفرس نخشب، وتسمى اليوم بقرشي.. التفاصيل في (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١٣).

(٥) الصواب في رتبيل - زنبيل **Zunbil** وهو لقب لملوك زابلستان القديمة، في جنوب شرق أفغانستان حالياً، وليس اسماً لعلم، ونجد ذكر زنبيل في فتوحات يعقوب الصفار في=

الذي كتـــب إلى عبدالرحمن يسأله الصلح، ويعرض عليه أن يقبل الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه[1]، وإنما دخل بلاده وسيطر على كثير من الرساتيق[2] والحصون، ومساحة كبيرة من الأرض، وملأ يديه من البقر والغنائم العظيمة[3]... ولعل هذا جعل (الترك) في لهف شديد للقاء المسلمين مرة ثانية وفي أقرب وقت ممكن، ليردّوا اعتبارهم ويستعيدوا ما أخذوه منهم.

وحانت هذه الفرصة سنة (٨٢هـ / ٧٠١م) - حيث التقوا بطائفة منهم لا يتجاوز عددها السبعين على أكثر التقديرات، بينما كان عدد الترك يصل إلى خمسمائة[4] (يعني سبعة أضعاف المسلمين) وكان المتوقع أن يبادر الترك بقتال المسلمين مباشرة دون تردد، ولكن حاولوا أن يخدعوا المسلمين، وأظهروا عدم وجود السلاح معهم، وأنهم لم يخرجوا أصلاً للحرب، ولم يضعوا لقاء المسلمين في الاعتبار، وادّعوا كذباً بأنهم "تجارٌ ينتقلون من مكان لآخر، وأن بضائعهم تقدمتهم"[5]

= منتصف القرن الثالث الهجري، ولقب بحث في لقب زنبيل وبلاده زابلستان المستشرق الألماني ماركفارت في كتابه **Das Reich Zabul (Berlin)** وفضلاً عن ذلك أكدّ هذا المستشرق أن (زنبيل) مقبولة أكثر من غيرها. انظر (بارتولد: تركستان من الفتح = العربي حتى الغزو المغولي. حاشية رقم ٢٥٣. ص ٣٤١، وانظر كتاب **The Chaznavids** لمؤلفه **C.E. BOSWORTH** في مواضع مختلفة.

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٣٢٨/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤.

(٢) مفردها رستاق وهو السواد، وقيل الكور (الزبيدي: تاج العروس ٣٥٧/٦).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٣٢٦/٦، ٣٢٨، ٣٢٩.

(٤ ، ٥) الطبري: تاريخ الأمم ٣٥١/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٥٢/٣.

وزيادة في التمويه وإلقاء الطمأنينة في قلوب المسلمين، طلبوا منهم ما يحمون به أنفسهم، ولما كان يزيد - القائد - يشك في أمرهم امتنع من إعطائهم أيّ شيء يذكر، لكن مجّاعة العتكيّ أراد أن يتخلص من شرّهم خوفاً من عددهم لو أرادوا حربهم، "لذا دفع إليهم ببعض الثياب والكرابيس [١] والقسي [٢]".

وما هي إلاّ ساعات غاب فيها هؤلاء الترك بهدف الحصول على السلاح ثم عادوا ليكشفوا عن وجههم الحقيقي ويعلنوا الحرب الصريحة على هذه الجماعة القليلة من الجيش الإسلامي.

وكان الترك يعتقدون أن نتيجة لقائهم بالمسلمين ستكون نصراً حاسماً لهم في لحظات، لكن غاب عنهم انهم أمام جماعة يقاتلون من أجل عقيدة التوحيد ورفع راية لا إله إلاّ الله محمدٌ رسول الله، ولهذا كان قتالهم أثناء الحرب مستميتاً، حيث برزت قيادات في مقدمتها يزيد ابن المهلب القائد العام، فقد كان دوره واضحاً في تلك الحرب، إذ أجهز على أحد عظماء الترك، وبعد إصابته في ساقه بضربة توقع الترك أن يحدث خلل في صفوف المسلمين، فضاعفوا ضغطهم عليهم [٣].

وهنا ظهرت عبقرية أبو محمد الزمّي، الذي خشي على هذه القوة القليلة أن ينتهي أمرها، فرأى أن الحرب مازالت في أولها، وأن الموقف بالنسبة للمسلمين يكاد يكون سيئاً فالكثرة تغلب الشجاعة كما يقولون،

---

(١) جمع كرباس وهو عبارة عن ثوب من قطن، كلمة فارسية معرّبة (ابن منظور: لسان العرب ١٩٥/٦).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٣٥١/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤.

فهم بحاجة إلى قوات إضافية، كما أنهم بحاجة إلى طعامٍ يتزودون به بعدما نفذ ما معهم، وبناءً على هذا انطلق مسرعاً تاركاً ميدان القتال واتجه إلى أقرب مكان كي يحصل على ذلك كله، " وكان المسلمون قد ظنوا أنه فرّ هارباً "[١].

وتطورت الأمور بين المسلمين والترك حتى أنهم حاجزوهم، وقالوا - الترك - " قد غدرنا - والغدر طبيعة في الترك لا تنفك عنهم - ولكن لا ننصرف حتى نموت أو تموتوا أو تعطونا شيئاً " وطبيعي أن يرفض يزيد إعطاءهم شيئاً هذه المرة خاصة بعد اعترافهم بغدرهم بالمسلمين في المرة الأولى وإصرارهم على القتال حتى الموت[٢].

رأى مجاعة للمرة الثانية أن يبعد خطرهم عن المسلمين، ويفضّ الاشتباك الذي دار بينهم عن طريق الاستجابة إلى مطالبهم وإعطائهم ما يريدون لعدة أمور:

١ - أن الترك أكثر عدد وعدة من المسلمين.

٢ - خشية أن يصاب يزيد فيجتمع على والده مصيبتان في آن واحد.

ووافق يزيد مجاعة على رأيه الذي ارتآه، مع تحفظه على خوفهم عليه من الموت، وهذا واضح من مقولته: إن الإنسان لا يعدو أجله مهما يكن[٣] وهذا ينبئ عن إيمان قوي وصبر على المكاره.

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٥١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٥١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٠٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٠٦.

وبعدها بدأ المسلمون يضمدون جرحاهم ويدفنون قتلاهم، حتى وافاهم أبو محمد الزمي الذي ما إن رأته العيون حتى بدأت تلومه على تركه للصفوف، ولكن الإجابة كانت ممثلة فيما قدم به من مدد وطعام ليشدّ به عزمهم.

وقال الراجز في ذلك:

يزيد ياسـيف أبي سـعيد ... قد علم الأقوام والجنود
والجمع يوم المجمـع المشـهود ... إنك يوم الترك صلب العود

وقال الأشقري:

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم ... أن قد لقوه شهاباً يفرج الظلما
بفتية كأسود الغاب لم يجدوا ... غير التأسي وغير الصبر معتصما
نرى شرائج تغشى القوم من علق ... وما أرى نبوة منهم ولا كزما [1]

هكذا سطر ذلك العدد البسيط صفحات بيضاء من الصبر وقوة الإيمان بالله، حيث ابتلوا بهؤلاء الأعلاج [2] من الترك، الذين كان الغيظ والحقد يملأ صدورهم، وكانت الخيانة والغدر شعاراً لهم فأصبح في الميدان فئتان، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى تقاتل من أجل الشيطان، ولكن الله أذلهم ونجىّ عباده المؤمنين من موت محقق لولا رحمة الله بهم ثم استجابة مجاعة لطلبهم الذي دفعهم إلى التراجع

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٥٢.

(٢) العلج: الرجل من كفار العجم: والقوي الضخم منهم (الزبيدي: تاج العروس ٢/٧٥).

عن مقارعتهم، فكان ذلك نصراً مؤزراً للمسلمين، وإن هذا ليذكرنا بموقف خالد بن الوليد -الانسحاب - في سرية مؤتة، فقد انقذ المسلمين بحمايته لظهر الجيش أثناء الانسحاب، ولما دخلوا المدينة ورماهم الناس بأنهم الفرار، ردّ عليهم رسول الله ﷺ بقوله (بل هم الكرار وأنا فئتهم).

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الترك حرصوا على التخلص من هذه الأسرة التي أصبح ذكرهافي جميع بلاد الشرق، فأخذت تزاحم سلطانهم، وأحدثت قلقاً نفسياً لهم، وحينما سمعوا بوفاة المغيرة رغبوا في إزالة أخيه يزيد بعد أن بلغهم أن والده جعله على كل أعماله. لعلمهم الكامل بما يتمتع به هذا القائد من شخصية فذّة بين أفراد تلك الأسرة، ويخشى بأسه عليهم، فحرصوا على القضاء عليه بالتعرض له في بداية ولايته، حتى تسهل السيطرة على بقية أفراد أسرته، لكن الله عز وجلّ أراد -وأمره لا يرد- أن يظلّ هذا الأمير ماسكا زمام المبادرة ويصل إلى مقرّه الرئيس في بلاد مرو؛ ليتولى مهمته المناطة به.

وصية المهلب أبناءه، وتأمير يزيد عليهم سنة ٨٢هـ/٧٠١م

من الوسائل المعروفة لتحقيق النصر: التربية والإعداد، والمراد هنا تربية الناشئة، تربية إسلامية صحيحة، تغرس فيهم الفضائل، وتنشئهم على الاعتزاز بدينهم وحب وطنهم، وكذلك تدريب الجنود على استخدام السلاح المتوافر فالسلاح الجيد دون الجند المدرب ما هو إلاّ قطع من الحديد الخام، ولكن إذا تناولته سواعد الرجال المدربين أصبح فعالاً، قادراً على قهر العدو وإذلاله.

ولقد خطا المهلب بن أبي صفرة في هذا المجال خطوات جريئة وجبارة، فربىّ أولاده التربية الصالحة ودرّبهم على السلاح... ولمارآهم قادرين على تحمل المسؤولية دفع بهم إلىميادين القتال، فنلحظ أنه بعث بابنه يزيد - وهو مثال حّي على ما ذُكر - إلى بلاد مرو، وتركه يصارع الظروف التي تمرّ به، ثم ظلّ يتابع أخباره أولاً بأول، ووجد أن الأمر يحتم عليه الاتجاه إلى مرو - خاصة بعد ما علم بما حدث له مع الترك - وما إن انتهى من تصديه لأهل كش حتى يمّم نحو مرو، فلما وصل زاغول - من أرض مرو الروذ - أصابته ريح [١] شديدة (اسمتها المصادر الشوّصة) [٢]، أحسّ المهلب بعدها بدنو أجله [٣]، فحرص على

---

(١) وقيل اعتل المهلب من آكلة كانت في رجله (اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٦، كتاب البلدان ص ٦٤).

(٢) ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة ههنا ومرة ههنا، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواقن وهكذا حتى تنهك قواه (ابن منظور: لسان العرب ٧/٥٠).

(٣) وكانت وفاته سنة (٨٢ هـ / ٧٠١م). (ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٨٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٤٥، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٥٣).

أن يترك في أبنائه وصية، تبقى فيهم، وينقلونها بعد ذلك لأبنائهم وأحفادهم، فجمع من كان إلى جواره من الأبناء، وعلى رأسهم حبيب والمفضل، ثم دعا بسهام فحزمت وقال ((أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا: لا. قال: أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا: نعم؛ قال فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ... وعليكم في الحرب بالأناة والمكيدة، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة، واذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه، قيل: أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحُمد، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل: ما فرّط ولا ضيّع، ولكن القضاء غالب... وقد استخلفت عليكم يزيد، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد، فلا تخالفوا يزيد، فقال له المفضل: لو لم تقدمه لقدمناه))[1].

وكانت وصية المهلب لأبنائه شاملة وجامعة لأمري الدين والدنيا، وركزت على ما يتعلق بأمور الحرب، وتأميره ليزيد، وكانت أهم عناصرها:

- عدم الاعتماد على الشجاعة فحسب، ومحاولة الجمع بين الأناة والمكيدة، فإن الحرب خدعة.
- بيّن ما يجب عليهم أن يتبعوه عند اللقاء من سياسة وصبر وحزم، وذكر الله تعالى، كما قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر الوصية كاملة في (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٥٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٠٧، ٢٠٨ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٥٣، أبو تمام: الديوان ١/٢٨٦).

ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾
وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

أن يتولى قيادة آل المهلب من بعده ابنه يزيد: ولم يكن اختياره له لكبر سنّه، فقد كان حبيب والفضل والمغيرة أكبر منه - بل لأسباب وجدها فيه وهي:

١ - أنه شرّفه الناس ورمته العرب بأبصارها منذ صغر سنه[2]، فكان له صيتٌ مُدَوٍّ في الآفاق.

٢ - برزت مواهبه العسكرية قبل أن يصل العشرين من عمره، وهذا ما لم يتوافر في إخوته.

٣ - ظهرت ألمعيته الحربية أمام والده، فقد أبلى بلاءً حسناً في قتاله للأزارقه، وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين[3].

٤ - كان معروفا بالشجاعة والفروسية، وهذا يظهر من وصف كعب الأشقري له عند الحجاج[4]، فقد قال فيه: "وكفى بيزيد فارساً شجاعاً"[5]

(١) سورة الأنفال: آية ٤٥ - ٤٦.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٤/٦.
(٣) المبرد: الكامل ٤٠١/٣، ٤٠٢.
(٤) المبرد: الكامل ١٨٣/٤.
(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٨٣/٤.

٥ - قوة إيمانه وصبره على المكاره ومن أقـواله الدالة على ذلك:
"إن الانسان لايعدو أجله مهما يكن"[(١)].

٦ - منزلته العظيمة بين إخوته الآخرين - وهذا لم يخف على المهلب - فكانوا يقدرونه ويجلونه وهذا يظهر من اعترافهم بفضله وكفايته حين قال أحدهم: " لو لم تقدمه لقدمناه".

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٥١.

موقف يزيد من قوة عبد الرحمن الهاشمي سنة ٨٣ هـ /٧٠٢م

عبد الرحمن بن العباس الهاشمي[١] أحد الشخصيات المعروفة بانتسابها إلى بني هاشم، ولها مكانة كبيرة داخل العراق وخارجها، وكان هذا الرجل ممن يخشاهم الحجاج على سلطانه، وقد كُلف بالانضمام إلى الحملة العسكرية التي أرسلها الحجاج بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث[٢] - لتأديب أحد ملوك الترك - زنبيل - في المنطقة المحاذية لولاية سجستان الشرقية[٣].

وكان الهاشمي وبقية الزعامات الأخرى التي سارت معه، يعلمون بالأبعاد السياسية التي دعت الحجاج إلى أن يتشبث برأيه في إجبار الجيش على مواصلة التقدم إلى الترك، وضرب زنبيل في عقر داره، فهو أصلاً يسعى إلى التخلص من العناصر المعارضة وإبعاد ذوي الطموح السياسي عن بلاد العراق خوفاً من خطرهم. وهذا يؤكده تركيبة الجيش الذي انطلق من العراق، فقد ضمّ أربعين ألفاً جرى اختيارهم مناصفة من البصرة والكوفة[٤] (أي أن زعامات المعارضة والقبائل

(١) عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي... التفاصيل في (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٤٣، ٣٤٦، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٥٠ - ٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥٢ - ٥٤).

(٢) أنظر في ترجمته الأصبهاني: الأغاني ٤/١٧٤، المسعودي: مروج الذهب ٣/١٣٨، ١٣٩، الذهبي: العبر في خبر من غبر ١/٩٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/١٩٠.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٢٧، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٣٤.

والقراء[١] وبقية القوى المؤثرة في العراق كانت مشاركة في هذه الحملة، وما إن هيئت لها فرصة الخروج عن الطاعة حتى سارعت وانكشفت كوامن الغضب المخزون لديها.

والذي حدث أنهم انقسموا إلى قسمين:

قسم: اختار الانضمام إلى عبد الرحمن بن الأشعث، الذي رأى أن يصالح زنبيل منعاً للدخول في حرب جديدة في هذه البلاد.

والآخر: بايع عبد الرحمن بن العباس الهاشمي لمكانته وقدره بينهم، وهؤلاء ساروا إلى خراسان وأنكروا على ابن الأشعث مسيره إلى زنبيل؛ لأنهم جاءوا جميعاً لحربه فكيف الآن ينتظرون ودّه وحمايته لهم. فضلاً عن أنه ملك تركي والغدر - كما تقدم - طبيعة متأصلة فيهم، فلا يستبعد أن ينقلب على من جاء ليستجير به - ولقد صدق ظن الهاشمي، إذ وضع زنبيل يده في يد الحجاج من أجل الإيقاع بابن الأشعث مقابل أن ترفع الجزية عن بلاده سبع سنين[٢].

(١) من المتعارف عليه أن القراء هم: حفظة القرآن ومفسروه، وفي هذه الفترة كانت تعني الفئة المثقفة في الكوفة والبصرة، ولكن ثمة رأياً جديداً لمؤرخ معاصر يميل إلى تفسير هذه الكلمة - القراء - بأنها تمثل أهل القرى الذين تكاثروا في المصرين العراقيين أو على تخومهما، إبان حركة الفتح، بحيث يبدو غير منطقي حسب رأيه بلوغ عدد قراء القرآن ذلك الحدّ الذي كانوا عليه في ثورة ابن الأشعث (محمد شعبان:صدر الاسلام والدولة الإسلامية ص ٦٢). لكن مع تقديرنا للرأي وصاحبه يجب أن نعلم أن هذه العبارة - القراء - جاءت منذ وقت مبكر حاملة مضمونها القرآني، وذلك من خلال القول =المنسوب لمعاذ بن جبل عشية اليرموك مخاطباً هؤلاء بقوله " ياقراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق (الأزدي تاريخ فتوح الشام ص ٢٠٨) ومن الممكن أن يكون المقصود بالقراء المثقفون وهؤلاء غالباً في مقدمة حركات المعارضة في أي عصر.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٩٠.

ونادى هؤلاء الهاشميون بخلع أئمة الضلال - يقصدون بني أمية - وكانوا يعتبرون الحجاج وعماله منهم، وبما أن يزيد بن المهلب أصبح الوالي على هذه البلاد بعد وفاة والده، ويعمل تحت مظلة الحكم الأموي كان لابد أن يصطدم إن عاجلاً أو آجلاً بعبد الرحمن الهاشمي وأتباعه.

وحاول يزيد بحنكته تجنب الاحتكاك بهم، وبعث إلى رئيسهم - عبد الرحمن- يقول له: " قد كان لك في البلاد متسع ومن هو أقلّ منيّ حداً وأهون شوكة، فارتحل إلى بلد ليس فيه سلطان، فإني أكره قتالك، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به، فأجابه: إننا لم ننزل هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام، ولكن أردنا أن نستريح ثم نشخص إن شاء الله، وليست بنا حاجة إلى ما عرضت "[(١)].

ظاهر كلامه يدل على المسالمة وعدم الحاجة للمال، ولكن الباطن غير ذلك؛ لأن يزيد ممن يعملون تحت مظلة الحكم الأموي فلابد من قتاله، إلا أن هذا لم يدخل على يزيد وبات معروفاً حتى للعامة استعداده للحرب خاصة بعد أن أخذ في جباية المال من الناس[(٢)]، فلم يكن أمام يزيد بعد ذلك إلا أن يجهز جيشه، ويضع خطته استعداداً للقاء خصمه. وكانت على النحو التالي:

- قدّم أخاه المفضل في أربعة آلاف ثم اتبعه في أربعة الآف أخرى.
- واستخلف على بلاد مرو خاله جديع بن يزيد.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٥/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ٥٢/٩.

(٢) قال يزيد بن المهلب - لخصمه - حينما بلغه أنه أخذ يجبي الخراج: من أراد أن يريح ثم يجتاز لم يجب الخراج". (الطبري: تاريخ الأمم ٣٧١/٦).

- ثم اتجه نحو مرو الروذ - بعد أن ركب فرسه الكامل -.
- وأعطى - بعد وصوله مرو الروذ - من كان معه مائة درهم مائة درهم تشجيعا لهم على القتال.

لكن بماذا يمكن أن نفسر إجابة يزيد خصمه - بعد وصوله هراة - إلى أن يأخذ ما جباه من الناس، علماً بأنه ليس له حق في ذلك، ثم إجازته له أن ينال من المال ما يشاء زيادة على ما تقدم؟ مقابل عدم القتال؟ [1].

نستبعد أن يكون هذا التصرف من يزيد ضعفاً أو شفقة منه على الخصم، إنماهو تغرير منه بخصمه ليشغله بالمال وجمعه، لعلمه بأن الموقف يتطلب ذلك، إلاّ أن عبد الرحمن لم يكن لتنقصه الفطنة، فقد عرف هدف يزيد من تلك التجاوزات العظيمة، فأعلن الحرب الصريحة عليه في وضح النهار، وأخذ يمنّي جند يزيد ويدعوهم إلى نفسه، فما كان من يزيد إلاّ أن قال:((أتغدّى بالرجل قبل أن يتعشّى بي))[2].

فسار إليه حتى أصبح الجيشان وجها لوجه وتأهبوا للقتال، فأقبل رجل اسمه خليد عينين [3] - وهو من أصحاب عبد الرحمن الهاشمي- ورفع صوته قائلاً:

دعوت يايزيد بن المهلب دعوة   لها جــزع ثم استهلت عيونهــا
ولو يسمع الداعي النداء أجابها   بصمّ القنا والبيض تلقى جفونها

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٣٧١/٦، ٣٧٢.
(٢) هكذا نصاً في: الطبري: تاريخ الأمم ٣٧٢/٦.
(٣) هو شاعر من بني عبد القيس.

وقد فرّ أشراف العراق وغادروا   بها بقراً للحين جمّا قرونها [١]

فقال يزيد لأخيه المفضل: قدّم خيلك، فتقدم بها نحو القوم، فلم يكن بينهم قتالٌ كبير، حتى تفرق الناس عن عبد الرحمن بن العباس، ولكنه ثبت في طائفة من جيشه - من أهل الحفاظ - وكثر عليهم الناس، فانكشفوا فأمر يزيد بالكفّ عن اتباعهم، وأخذ ما كان في معسكرهم [٢].

الظاهر من اللقاء الذي دار بين الجانبين أن يزيد من المهلب لم يجد صعوبة تذكر في إخماد هذه القوة والانتصار عليها، ولعل ذلك يعود إلى أنها - القوة المذكورة - لم تملك من مقومات التنظيم والإعداد العسكري ما يحقق لها التحول من عصيان مسلح إلى ثورة شاملة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واضحة، ولعل هذا هو السرّ الذي دفع يزيد إلى أن يكره - أصلاً - قتال هذه القوة، ثم لا ننسى أنه ربما وضع في الاعتبار أن الخصم ليس عدواً للدين الإسلامي، وإنما يعلم علم اليقين أنه في الأصل خرج ليقاتل أعداء الدين الإسلامي، ولكنه هذه المرة كان ناقماً على نظام سياسي معيّن - الحكم الأموي - وهذا فيما يبدو دفع بيزيد إلى أن يعجّل بإنهاء القتال في أسرع وقت ممكن وبأقل قدر ممكن من الخسائر، ويكتفي بأخذ ما في معسكرهم وأسر ثلاث عشرة امرأة

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٣٧٢/٦.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٣٧٣/٦.

أتوا بهن يزيد، فدفعهن إلى مرّة بن عطاء بن أبي السائب، فحملهن إلى الطبسين [١] ثم حملهن إلى العراق.

بينما كان في الرجال - من الأسرى - محمد بن سعد بن أبي وقاص [٢] الذي طلب من يزيد بن المهلب أن يخلي سبيله حيث قال له: ((أسألك بدعوة أبي لأبيك)) فخلّى سبيله [٣]. وفى رواية أنه قتله[٤]. ولحق عبد الرحمن بن العباس الهاشمي ببلاد السند، وأرسل يزيد بالأسرى مع سبرة بن نجف بن أبي صفرة إلى الحجاج[٥]، فقتل منهم الحجاج خمسة آلاف [٦]، وهذا الرأي لا يخلو- في ظني - من المبالغة العظيمة، إذ كيف يقدم الحجاج على قتلهم دفعة واحدة وفيهم أصحاب الزعامات والشخصيات الكبيرة التي لها أنصارها في كثير من بلاد العراق وبالتالي لن يقرّ لها قرار لو حصل مثل ذلك، ويكون الحجاج قد أخطأ في تأليب أهل العراق عليه، وهو أمر لا يريده!.

---

(١) قصبة قهستان قاين، بين نيسابور وأصبهان: وهما بلدتان كل واحدة منهما يقال له: طبس. إحداهما طبس العناب والأخرى طَبس التمر، ومازالتا في قوهستان.. التفاصيل(ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٠، كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٣٩٩).

(٢) الزهري القرشي، أبو القاسم، قائد من أشراف الدولة في العصر المرواني، وكان يلقب بظل الشيطان؛ لقصره، عدّه ابن حبيب من فصحاء الإسلام، شهد معارك (دير الجماجم) وهو من الثقات عند رجال الحديث، قتل صبراً سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢م. (ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٦، الزركلي: الأعلام ٦/١٣٦).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٧٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ٤/٢١٧، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٥١.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٧٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥٣.

غزو يزيد قلعة باذغيس سنة ٨٤ هـ /٧٠٣م

تنسب قلعة باذغيس[١] إلى كورة باذغيس الكبيرة[٢]، وهي على حدّ قول الطبري[٣]: مكان عظيم منيع، يقدسه أهله ويسجدون له إذا رأوه، وتحوي بداخلها خزائن جمّة لا يعلم عددها إلاّ اللّه، وهي على حدّ ظني مما كان يقدم إلى القلعة من أصحاب القرابين وغيرهم، فهي على هذا الاعتبار تمارس فيها الطقوس الدينية بجميع أشكالها، وقد سيطر عليها رجل من أصل تركي لقبّ بنيزك[٤] البرقشي[٥] هو وأسرته[٦]، ويتمتعون بكل ما فيها من خيرات ومتاع، ويطيعه سكان هذه البلاد، لما وجدوا فيه من الذكاء والمكر وغيره، وربّما كان يحسن إليهم فرضوا حكمه.

---

(١) يظهر أنها قلعة مور وهي الكائنة في مدينة بغشور وهي من كبريات مدن كنج رستاق (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٥٥).

(٢) تمتد كورة باذغيس بين نهر هراة من الغرب(في شمال فوشنج) ومياه نهر مرغاب الأعلى من الشرق وهي الآتية من جبال غرجستان، وكان القسم الشرقي من باذغيس والذي يمتد حوالي ثلاث عشرة فرسخاً شمال هراة يعرف بكنج رستاق، وله ثلاث مدن كبيرة هي ببنه وكيف وبغشور، وهذه البلاد اليوم مقفرة لا سكان فيها، فقد خربتها الغزوات المغولية في المائة السابعة (الثالثه عشرة).أما القسم الجنوبي من كورة باذغيس فقصبته كانت دهستان وهي تقع في شمال شرقي هراة، وذكرت المصادر. أن من مدن باذغيس: جبل الفضة، وكوه، وكوغناباذ، وبست، وجاذوا، وكابرون، وكالوون ودهستان، وأعمرها وأكبرها دهستان... انظر التفاصيل في (ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٦٨، ٣٦٩، ياقوت: معجم البلدان ٣١٨/١، كي لسترنج. بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٥٥، ٤٥٦).

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣٨٦/٦، ٣٨٧.

(٤) أحد الألقاب لملوك الترك الصغار وليس علماً (ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٤١).

(٥) ذكره ابن أعثم في الفتوح ٢٢٥/٧.

(٦) يدل على اقامتهم فيها الصلح الذي عقد مع نيزك على أن يخرج عنها مع أهله سالمين (الطبري: تاريخ الأمم ٣٨٦/٦).

ولقد دفعت يزيد إلى غزوها أسباب كثيرة لعل من أبرزها:

- محاولة نشر الإسلام بين سكانها الذين مازالوا إلى ذلك الحين يتخبطون في الجهل والظلام.
- تأديب الناكثين لعهدهم أكثر من مرة، حتى لا يفكروا في نقضها مرة أخرى.
- القضاء على خطر الترك الذي ظلّ يتهدد المسلمين أينما ذهبوا.
- السيطرة على ذلك السجن العظيم الذي أقامه السكان داخل القلعة وخصصّوه لسجن المسلمين فقط[١].

بدأ يزيد بإرسال عيونه إليها لتوافيه بكل أخبارها، وبعد أن وصلت أنباء وصول المسلمين إلى مسامع نيزك وأتباعه أسقط في أيديهم، فعزموا على الخروج، وقيل خرجوا لقتال المسلمين، وكان عددهم أقل من المسلمين، فلاحقوهم في الجبال والأودية وقتلوا بعضهم، وطلب بعضهم الباقي النجاة بأنفسهم، خاصة بعد ما رأوا جماعة منهم وقعوا في الأسر، يقول يزيد في كتابه للحجاج ((إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة، وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة بعراعر[٢] الأودية وأهضام الغيطان[٣]، وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه))[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٤٢٩.

(٢) جمع عرعرة، وعراعر الأودية رأس الأودية وأعلاها (ابن منظور: لسان العرب ٤/٥٥٩).

(٣) أسافل الأودية من الهضم (ابن منظور: لسان العرب ١٢/٦١٥).

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٧٠، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٢٥، ٢٦.

إلا أن نيزك كان ذكيا حيث تدارك الموقف قبل أن يفوت الأوان، فرأى ضرورة البقاء في القلعة، لأن في ذلك محافظة على مكانته وملكه بين أتباعه الذين يسيرون إلى جانبه، كما رغب في حماية أسرته التي تقيم في قلعة هذه المدينة، في الوقت الذي تحاشى فيه الاحتكاك شخصياً بالقوة الإسلامية لعلمه الكامل بعدم قدرته على مواجهتها؛ لأن المسلمين غالباً ما يسجلون النصر على أعدائهم، لهذا وجد أن الصلح مع المسلمين أنفع له: لاسيما وأنه أضمر الغدر في أقرب فرصة قبل أن يقدم على عقده، فرضي بتوقيع صلح كتبه على نفسه للمسلمين يتضمن أمرين:

أحدهما: أن يدفع نيزك ليزيد بن المهلب ما في تلك القلعة المذكورة من خزائن وخيرات ومتاع.

الآخر: أن يسلم نيزك قلعة هذه المدينة، ويرحل عنها وأولاده[1].

وبعد توقيع الصلح بدأ نيزك يخرج مع أهله من القلعة وهو يكنّ الغدر ويحمل في صدره الحقد على المسلمين، وحوى يزيد كل ما في القلعة دون أن يهدمها أو حتى يحدث فيها تخريباً لاستبعاده رجوع نيزك وجماعته إليها مرة ثانية، مما دفع نيزك وشجعه على العودة إليها حال مغادرة يزيد لها، ويبدو أن عزله عن خراسان هو الذي منعه من الرجوع لتأديب أهلها.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٨٦.

قال كعب بن معدان الأشقري يصف هذا الفتح:

وباذغيس التي من حلّ ذروتها ... عزّ الملوك فإن شاجار أو ظلما
منيعــة لم يكـد قبلـه ملك ... إلاّ اذا واجهـت جيشاً له وجما
تخال نيرانها من بُعد منظرها ... بعض النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت صدورهم ... حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
فذلّ ساكنهـا من بعـد عزته ... يعطي الجزى عازفاً بالذل مهتضما
وبعـد ذلك أيامـاً نعددهـا ... وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
أعطاك ذاك وليّ الرزق يقسمه ... بين الخلائق والمحروم من حرما
يداك إحداهما تسقي العدو بها ... سُماّ وأخرى نداها لم يزل ديما..[1]

(١) انظر البقيـة في الطـبري: تاريـخ الأمم ٦/٣٨٦، ٣٨٧، ابن الأثيـر: الكـامل في التاريـخ ٤/ ٢٢٤،٢٢٥.

عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥ هـ/ ٧٠٤م

استمر يزيد بن المهلب في ولاية خراسان من سنة ٨٢ هـ / ٧٠١م إلى سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤م (أي حوالي أربع سنوات)[(١)].أحكم خلالها إدارة تلك البلاد تحت مظلة الحكم الأموي، وفجأة أخذ يلوِّح الحجاج بن يوسف والي العراق برغبته في عدم استمراره على تلك الولاية، فما الأسباب التي دفعته إلى ذلك ؟

وردت عدة روايات في هذا الشأن أرى ضرورة ذكرها ثم التعرض لها بشيء من التحليل، فنقول إحداها:

أن الحجاج بن يوسف مرّ بدير[(٢)] - أثناء اتجاهه إلى الخليفة عبد الملك - فسأل شيخاًعالماً بالكتب عما مضى وما سيأتي؟ فأجابه عن صفة أمير المؤمنين بأنه ملك أقرع، من يقم لسبيله يصرع، وذكر بأن اسمه الوليد، ثم يليه رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس، وسأله عن نفسه، فأجابه بأنه يسمع به فقط وأخبره بأنه يلي الأمر بعده في الولاية رجل اسمه يزيد وصفته أنه يغدر غدرة[(٣)]، فوقع في نفسه يزيد ابن المهلب وآخرين باسمه[(٤)].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٢٦١/٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٦٨/١.

(٢) الدير: خان النصارى. جمعه أديار، وساكنه ديّار وديراني (ابن منظور: لسان العرب ٣٠١/٤).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٢٧/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٥٤/٣.

(٤) كان الحجاج بن يوسف قد دعا بعبيد بن وهب، فدخل وهو ينكت الأرض، فرفع رأسه فقال: ويحك ياعبيد إن أهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له يزيد، وقد تذكرت يزيد ابن أبي كبشه، ويزيد بن حصين بن نمير، ويزيد بن دينار، فليسوا هناك، وما هو إن كان إلاّ يزيد ابن المهلب، فقال عبيد: لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم، وإن لهم لعدداً وجلداً وطاعة وحظاً=

وقيل في رواية ثانية: إن الحجاج طلب من يزيد بن المهلب - في كتاب بعث به إليه - أن يقوم بغزو خوارزم، فردّ عليه يزيد بأنها قليلة السلب شديدة المراس، فطلب الحجاج منه القدوم عليه فخشي ذلك يزيد وامتنع، وعدل عن رأيه وقرّر غزوها، إلا أن الحجاج رفض غزوها هذه المرة، فخالف يزيد أمره وأقدم على غزوها فصالحه أهل خوارزم وأصاب سبياً وقفل في الشتاء، فاشتد البرد عليهم، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها فمات ذلك السبي من البرد، فغضب الحجاج بسبب ذلك وفكرّ في عزله[1].

وفي رواية ثالثة: أن الحجاج كان يسعى منذ أن انتهى من عبد الرحمن بن الأشعث إلى التخلص من يزيد وآل المهلب لخوفه على العراق منهم، فأخذ في محاولة إخراجه عن خراسان ليأتيه، فرفض وتعلل بالعدو وحرب خراسان[2].

أما الرواية الرابعة فانفرد بها ابن أعثم الكوفي[3]، ومضمونها: أن أهل خراسان كانوا يحبون يزيد بن المهلب حبّاً شديداً، فسمعوا له

= فأخلق بهم، فأجمع على عزل يزيد، فلم يجدله شيئاً حتى قدم الخيار بنِ أبي سبرة بن ذويب بن عرفجة بن محمد بن أبي سفيان بن مجاشع - وكان من فرسان المهلب - وكان مع يزيد، فقال له الحجاج أخبرني عن يزيد ؟ قال: حسن الطاعة ليّن السيرة، قال: كذبت. أصدقني عنه، قال: الله أجلّ وأعظم وقد أسرج ولم يلجم. - قال: صدقت. واستعمل الخيار بعد ذلك على عمان. (الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٣٩٤) وذكرها مختصرة (ابن نباته المصري: سرح العيون ص ١٨٨).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٢٨، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣ / ٥٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٣٩٧.

(٣) الفتوح: ٧/١٩٦ - ١٩٩.

وأطاعوا حتى أنهم كانوا يحلفون بحياته، فانقلب يزيد عليهم وكرههم، فبادلوه نفس الكراهية وأبغضوه وعصوه، حتى أن رجلاً منهم كان يقول في ذلك:

وما كنا نؤمل من أمير ... كما كنا نؤمل من يزيد
فأخلف ظننا فيه وقد ... زهدنا في معاشرة الزهيد[1]

ثم أقبل عليه ثابت بن كعب الأزدي (ابن عمه) فقال له: إني أرى قومي من الأزد وغيرهم من أجناد خراسان قد خشنت صدورهم عليك لما يرون من جفائك لهم، وكانوا قبل اليوم متشوقين إلى ولايتك عليهم، فلا يكونن جزاؤهم منك الجفاء والعقوق، فإن الأيام عوج رواجع وأنا لك ناصح ثم أنشأ يقول:

أبا خالد إن الأمور التي ترى ... عوار فلا يبقي لشئ خلودها
ألم ترها تمضي بقوم أعزة ... ذوي أسرة لم تغن عنها جنودها
وأسورة كانوا ملوكاً فأصبحت ... أحاديث شيء قد أرقت حدودها
وإنك في أمر العشيرة كلها ... للابس أثواب العقوق جديدها
تهين ذوي الأحساب منهم وتصطفي ... لئامهم إذ كان ذاك بعيدها
رأيت ذوي الأحساب عاصت حدودهم ... لذاك وفاءت للئام حدودها

---

(١) إذا لم يعطنا نصفا أمير ... مشينا نحوه مثل الأسود
ولا يرضى الدناءة غير نكسٍ ... قضيب الباع يرهب للوعيد
نجي فلا نرى إلا صدوداً ... على أنّا نسلّم من بعيد
فنرجع خائبين بلا نوال ... فما بال التجهّم والصدود
انظر الأبيات (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٩٧/٧ - ١٩٨).

فرد يزيد بن المهلب عليه رداً لطيفاً، ووعده بأن يسير سيرته الأولى فيهم[1]، ولابد أن الوشاة والحاقدين نقلوا تلك الأخبار مفصلة عن يزيد وسلوكه معهم إلى مسامع الحجاج، ففكر في عزله حتى لا تنتقض عليه هذه البلاد.

إن المستقرئ لتلك الروايات يجد أن الرواية الأولى بعيدة الاحتمال ! إذ لا يمكن لرجل مسلم مثل الحجاج أن يجلس إلى راهب نصراني ويسأله عن أشياء تتعلق بالمستقبل فيخبره بها ويصدقه، وهو يعلم علم اليقين أن علم الغيب لله وحده عز وجل، وليس لأحد أن يطلع عليه، ثم أن ما نعرفه عن الحجاج أنه كان داهية من الدهاة [2]، فليس من المعقول أن يقبل بهذه الأمور الغيبية أو يتخذها سبباً مباشراً لعزل يزيد ابن المهلب.

أما عن الرواية الثانية فاحتمال وقوعها ضعيف، فيزيد بن المهلب والٍ على خراسان من قبل الحجاج وعليه السمع والطاعة لكل الأوامر الصادرة منه، ولم يُعرف عنه غير ذلك، فقد دعته الخلافة الأموية - أكثر من مرة - ممثلة في الحجاج مرّة ثم عمر بن عبد العزيز تارة أخرى للنزول إلى بلاد العراق، فلم يتردد في الاستجابة، فكيف يرفض غزو خوارزم هذه المرة ! إنه لا يمكن أن يحدث ذلك حتى مع الأسباب المذكورة.

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٩٨/٧ - ١٩٩.
(٢) الزركلي: الأعلام ١٦٨/٢.

وإذا افترضنا وقوع الغزو لتلك البلاد فهل يمكن تصديق ما حدث من سلب المسلمين لثياب الأسرى وتركهم بدون ثياب، حتى عرضوهم للهلاك من شدة البرد. فلم يعرف التاريخ عن المسلمين أنهم أساءوا إلى أسراهم قط، فالأسير عند المسلمين له مكانة عظيمة يأكل مما يأكله المسلم ويشرب مما يشرب ويلبس مما يلبس، دون امتهان أو اعتداء على كرامته كآدمي..

أما رواية ابنِ أعثم فهي وإن كانت محتملة، فاحتمال وقوعها ضعيف، فمن المعقول أن يحب أهل خراسان يزيد وأهل بيته من آل المهلب ويسمعوا له ويطيعوا، لكن من غير المعقول أن تنقلب تلك المحبة كراهية مرة واحدة وبدون مبرر إلاّ أنه كما تقول الرواية بغضهم. ومن الممكن أن يكون حدث أمر ما في خراسان جعله يأخذ منهم موقفاً حازماً، فبادله بعضهم - وليس الجميع - ذلك الموقف، فبلغ ذلك التطور مسامع الحجاج، ففكر في عزله حتى لا تنتقض عليه هذه البلاد.

لكن الرواية الثالثة - في تصوري - أقرب إلى الصحة من غيرها، فالحجاج منذ أن انتهت ثورة ابن الأشعث وهو يسعى إلى التخلص من يزيد وآل المهلب لخوفه على نفسه وسلطانه منهم، ولعل شدة سيطرته على خراسان وضبطه لأمورها وطاعة أهلها له هو الذي زاد من خوفه حتى أنه بدأ يفكر في عزله عن ولايته.

ويحتمل أن تكون ثورة ابن الأشعث أحدثت شرخاً عظيما في نفسية الحجاج، فجعلته يخشى تلك الزعامات القوية، ولما كان المهلب بن أبي

صفرة أحدث في الخوارج ما لم يحدثه غيره وعلا صيته في المشرق ثم تبعه أبناؤه على السير في الطريق ذاته لذا خشي الحجاج بعد وفاة المهلب أن يكون لأبنائه رغبة في احتواء المشرق والسيطرة عليه بما في ذلك أرض العراق " فرغب في إخضاعهم كما أخضع أهل العراق "[١]، وهذا بالتاكيد لن يتحقق وهم بعيدون عنه، إذ لابد أن يعمل على استقدامهم واحداً تلو الآخر.

ولقد رأى الحجاج بثاقب نظره أن الرغبة في عزل يزيد وحدها لا تكفي، إذ لابد أن تكون مقرونة بموافقة الخليفة - عبد الملك بن مروان - فالحجاج ما هو إلاّ والٍ مِن قبله على العراق ويعمل تحت مظلته، ويظهر أنه كان يعي - مسبقاً - أن آل المهلب بن أبي صفرة وأهل بيته من صنائع الخليفة الأموي لذا نجده يتهّم آل المهلب بالزبيريين في أول كتاب له إلى الخليفة، لكن لم ييأس الحجاج بعدما علم بموقف الخليفة منهم والمتمثل في قوله: ((إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير، بل أراه وفاءً منهم لهم، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي))[٢].

وكرر إرسال الكتب إليه، وكلها تحذر من يزيد بن المهلب وأهله، مما اضطر الخليفة أن يبعث إليه بكتاب يقول فيه: "لقد أكثرت في يزيد وآل مهلب، فسمّ لي رجلاً يصلح لخراسان فسّمى له مجاعة بن سعر

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٥٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٣٩٥، ابن نباته المصري: سرح العيون ص ١٨٨.

السعدي، ويظهر أن الخليفة عبد الملك كان لديه علم كامل بأن هذا الرجل لا يصلح لهذه المهمة الصعبة فهو غير صارم على حدّ قوله، فاختار رجلاً آخر أكثر دراية وخبرة بأمور خراسان، ومن المقربين إلى الحجاج وهو قتيبة بن مسلم الباهلي[1]، فأذن له في عزل يزيد وتولية قتيبة.

وربّما كان لموقف الخليفة عبد الملك من آل المهلب صلة - ولو من بعيد - بثورة ابن الأشعث التي استُنفرت فيها الطاقات البشرية وأنفقت عليها الأموال الطائلة[2]، مما كان له أعظم الأثر في نفس الخليفة عبد الملك، فاستجابته لرأي الحجاج في إبعاد يزيد عن الولاية يعني عدم ظهور ثورة جديدة شبيهة بثورة ابن الأشعث[3]، ولا نستبعد أن يكون الحجاج قد لوّح بذلك التصور في بعض كتبه التي بعث بها إلى الخليفة عبد الملك مما جعله يستحسن رأيه وإن كان ذلك بغير اقتناع ذاتي منه.

وكره الحجاج أن يكاشف يزيد بأمر العزل، إذ بينه وبين المعزول آلاف الكيلو مترات وقد لا يستجيب لذلك، فرأى أن يستدرجه فبعث إليه

(١) أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو.. امير خراسان زمن الوليد بن عبد الملك، نشأ في الدولة المروانية، وترقّى وتولى الإمارة، ولم يكن يعاب إلاّ بأنه باهلي، افتتح فرغانة وبلاد الترك سنة ٩٥هـ/٧١٣م وولي خراسان عشر سنين، وكان من الشجاعة والحزم والرأي بمكان... انظر في تفاصيل سيرته وترجمته (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٨٦/٤، ٨٧، الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٤٥/٥، ابن نباته المصري: سرح العيون ١٨٦، ١٨٧.

(٢) وكان الخليفة قد دفع بالامدادات إلى الحجاج من بلاد الشام والجزيرة وغيرها (الطبري: تاريخ الأمم ٣٤٧/٦)

(٣) يقول الحجاج ليزيد بن المهلب حين خرج من سجنه سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م: إني لأظنه يحدّث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث (الطبري: تاريخ الأمم ٤٤٩/٦).

بكتاب يخبره فيه أنه ولىّ أخاه المفضل ولاية خراسان وعليه أن يسلمّها له ثم يقدم عليه[1] لكن يزيد كان أكثر فطنة فقد أيقن أنه لم يكن هو المعني بالأمر فحسب، بل أسرة آل المهلب كلها: وأكدّ هذا ذوو الألباب ممن استشارهم يزيد بن المهلب في أمر التوجه من عدمه إلى الحجاج: وعلى رأسهم: الحضين بن المنذر، فقد نصحه هذا بعدم التفكير في الذهاب إلى الحجاج وقال له: إنه أحد أمرين: إما أن تتعرض للحبس والغرم[2] أو القتل، ثم طلب منه أن يتباطأ في الاستجابة لذلك، حتى يبعث أمير المؤمنين للحجاج بالإبقاء عليه ونصحه أيضا بأن يعتذر عن عدم القدوم عليه، وأمره بأن يكون جاداً في كل ذلك ولا يقبل بغير خراسان بديلاً، وإن لم يكف عنه فله أن يعلن الحرب ضدّه، وأخبره بأن الناس سينضمون إلى جانبه[3].

وبعد أن وجد الحجاج أن يزيد تأخر في الاستجابة لأمره بعث بكتاب إلى أخيه المفضل يستحثه في استلام مهمته من أخيه (ولاية خراسان) ليقوم هو بدوره - بعد ذلك - بإقناع أخيه بالتوجه إلى العراق.

(١) اليعقوبي: كتاب البلدان ص ٦٤، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٩٩/٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣٩٥/٦.

(٣) قيل أن يزيد ردّ على الحضين بن المنذر وقال: ويلك ياحضين: أما قولك بأنه يحبسني ويغرمني فإني لا أشك في هذا، وأما أن يقدم عليّ بالقتل فما أظنه يروم ذلك وأمير المؤمنين عبد الملك حيّ لأنه قد علم بأني وأبي وأهل بيتي من صنائع أمير المؤمنين (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠٠/٧).

ويبدو أن المفضّل بن المهلب شعر بالارتياح لهذا المنصب الجديد، وسارع بمجرد وصول كتاب الحجاج إليه - إلى إقناع أخيه يزيد بالمبادرة في تسليم هذه الولاية إليه، لكنه أصيب بخيبة أمل لما رفض يزيد ذلك، مما دفع به إلى أن يتهمه بالحسد [1].

وقيل: إن الحجاج بعد أن يئس من قدوم يزيد إليه لجأ إلى سياسة أخرى وهي الزواج من أخته [2]، ولكن نستبعد أن يكون زواجه - الذى تمّ بالفعل - بغرض إذلال يزيد أو استقدامه إلى العراق، فالمعروف عن هذه المرأة أنها صاحبة مال وشرف وكمال [3]، وهذا في حدّ ذاته كافياً ليجعل الحجاج راغباً في الزواج منها.

وبعد أن نظر يزيد في الأمر وجد أنه لابد أن يمتثل لأوامر الحجاج، فهو بيده الإبقاء عليه أميراً، كما أن بيده عزله، فتجهز يزيد وخرج من بلاد خراسان[4] في غلمانه ومواليه وبني عمه يريد العراق، حتى صار إلى الريّ ونزلها، فقدم أخوه المفضل خراسان، وصدق ظنّ يزيد في أن الحجاج كان يقصد إبعاد آل المهلب بكاملها عن خراسان، فقد عقد عقداً لقتيبة بن مسلم الباهلي بإمرة خراسان، كما أمره أن يقبض على المفضل بن المهلب - بعد أن ظل

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٣٩٥.
(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٦، واسمها هنداً.
(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/١٩٩.
(٤) وكان ذلك في ربيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين للهجرة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٢٨، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٣/٥٤).

يحكمها حوالي تسعة أشهر[1]- ومن يقدر عليه من آل المهلب ويرسلهم جميعاً إليه[2].

وما إن علم المفضل بقدوم قتيبة والياً على خراسان حتى تركها ومعه أهله إلى البصرة، ونزل على أخيه مروان بن المهلب[3].

الجدير بالذكر أن استقدام يزيد والمفضل وآل المهلب بصفة عامة لم يكن لسوء قد التصق بهم أو لمنكر ارتكبوه، فقد كان الخليفة حسن الظن فيهم كما علمنا، وكانوا دائماً سباقين للطاعة، ويكفيهم فخراً شهادة أهل خراسان فيهم حينما رحل يزيد بن المهلب عنهم، فيقول الفرزدق[4]:

أبا خالد بادت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فلا مطر المروان[5] بعدك قطرة ولا ابتلّ بالمروين بعدك عــود

ولما تم عزله عن الإمارة قال له الحضين بن المنذر:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً
فما أنا بالباكي عليك صبابة وما أنا بالداعي لترجع سالماً[6]

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٢٨/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٥٤/٣.
(٢) اليعقوبي: البلدان ص ٦٤.
(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠١/٧، ٢٠٥.
(٤) ديوان الفرزدق: ١٣٧/١.
(٥) الواحدة مرو. بلد كبير وقاعدة بخراسان.
(٦) الطبري: تاريخ الأمم ٣٩٦/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٢٨/٤.

وكان أمراً طبيعياً أن يكون الاستقبال الحسن من قبل الحجاج ليزيد ابن المهلب وأهله، فقد أكرمه وبرّه وأنزله وخلع عليه، حتى أن يزيداً كان يغدو على الحجاج ويروح والحجاج لا يسأله عن شيء [1].

وكان هذا من باب التغرير والخديعة فقط، إذ لو كان راضيًا عنه وصادقًا في تصرفاته تلك فلِمَ أقدم على عزله عن خراسان؟ فلم يكن - الحجاج - يرى أن يُظْهِر أمامه تخوفه وخشيته منه على سلطانه، لكن كان يبطن ذلك ولا يريد أن يطلع عليه أحد، سواءُ يزيد أو أهله.

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٠٥.



المبحث الثاني

(يزيد بن المهلب في عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان)

ويشتمل على الآتي:

- تعرض يزيد بن المهلب للحبس سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م.
- موقف قتيبة بن مسلم من يزيد بن المهلب سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م.
- ولاية يزيد خراسان سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م.
- غزو يزيد الترك، وفتح جرجان الأول سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م.
- دوافع الفتح.
- بين يزيد بن المهلب وصول التركي.
- فتوحات يزيد سنة ٩٨ هـ / ٧١٦ م.

أولاً: فتح جرجان الأول.

ثانيا: فتح طبرستان.

- تقدم المسلمين إلى طبرستان.
- فاجعة البياسان.
- سياسة الفتح.

ثالثاً: فتح جرجان الثاني:

- يزيد والتمهيد لفتح جرجان.
- المسلمون يتقدمون إلى جرجان.

تعرض يزيد بن المهلب للحبس سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م

في الوقت الذي وصل فيه يزيد بن المهلب - أثناء اتجاهه إلى العراق- مدينة حلوان، وهو النصف من شوال من السنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م توفي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يرحمه الله[(١)]، وكان قد أوصى أبناءه قبل موته بالحجاج بن يوسف، فقال ((أكرموا الحجاج؛ فإنه وطّأ لكم البلاد وأذلّ لكم العباد،....... وكفاكم المؤن وشدة الفتن.....))[(٢)].

وبعد أن تمكن الحجاج من يزيد بن المهلب، رأى أن يحبسه لخشيته على نفسه وسلطانه منه، فبدأ يتلمس عليه أشياء تكون مبرراً لحبسه، فعلم أنه رجع من أرض خراسان ومعه مبلغاً يقدر بسبعة الآف ألف درهم (سبعة ملايين) فأخذ يتشكك في أمره وقرر مساءلته عنها، ثم اتهمه بعد ذلك بها، وأنها مما جباه من تلك البلاد المفتوحة في الشرق، وبما أن يزيد بعيد عن مثل هذه الأمور أنكر ذلك، عندها لم يتورع الحجاج في التشديد والتضييق عليه، حيث نقله وإخوته المفضل وعبد الملك إلى رستقباذ[(٣)].وخندق حوله، وصار قريبا من عسكره، ثم أقام إلى جواره حرساً خاصاً يراقبونه وإخوته مراقبة مستمرة[(٤)].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٤١٨/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠١/٧، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٥٨/٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١ / ٩٧. وقيل في النصف من جمادى الآخر من العام نفسه (المسعودي: مروج الذهب ١٩٢/٣).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠٢/٧.

(٣) مدينة فارسية يقال لها " رستم كواد " ثم صّحفها العرب وقالوا رستقباذ: وهي قريبة من مدينة عسكر مكرم، وهو القائد العربي الذي بعثه الحجاج إلى خوزستان لاخماد أحدى الفتن فيها، وهي تقوم على حافه نهر دجيل(كي لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية ص٢٧١).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٤٤٨/٦، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٢٥٦/٤.

وتروى المصادر أخباراً عما تعرض له يزيد في حبسه، يبدو أنها غير صحيحة فتقول: إن الحجاج أسرف في تعذيب يزيد بن المهلب، وكان الأخير يصبر صبراً حسناً، وكان الحجاج يغيظه ذلك الصبر، حتى أنه رماه بنشابة [1] فثبت نصلها في ساقه، ولا يمسّها شيء إلاّ صاح، فأمر الحجاج أن يعذّب كذلك ويدهق[2] ساقه، فلما فعل ذلك به صاح، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صياح أخيها صاحت وناحت فطلقها [3].

وأشك أن تكون هناك أموال أخفاها يزيد لأمور عديدة:

- أن المذكور ليس بحاجة إلى تلك الأموال ليقوم بإخفائها ! لما عرف من كثرة خيراته، وأنه صاحب أملاك وأموال طائلة، فمن المؤكد أن هذه الأموال جزء من حاصل ضياعه وأملاكه في بلاد الشرق أو بعض الهدايا التي قدمت إليه كأيّ والٍ آخر، مما دفع الحجاج لإساءة الظن بأنها مسروقة.

---

(١) النشابة يعني بها السهم...(ابن منظور: لسان العرب ٧٥٧/١).

(٢) الدهق: خشبتان يغمز بهما الساق، وهو ضرب من العذاب، وبالفارسية (اشكنجة). انظر (ابن منظور: لسان العرب ١٠٦/١٠، ١٠٧).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٦/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ٨٣/٩. وقيل أن هنداً حين سمعت صوت أخيها صاحت ورفعت صوتها بالصراخ، ووثب الحجاج فدخل إليها، فقال: تصيحين ياهند وترفعين صوتك بالصراخ، وأخوك قد كسر أموال خراسان على أمير المؤمنين: أنت طالق إن صحت بعدها، قالت فرفعت صوتها صائحة، فقال الحجاج: وأنت طالق إن صحت بعدها ! فقالت: لا والله أو ثلاث، فطلقها ثلاثاً فبانت منه (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/ ٢٠٨، ٢٠٩).

- كيف يمكنه أن يقوم بذلك وهو - في الأصل - يحبّ إخراج ماله للناس عن طريق كرمه في السّراء والضّراء.
- ثم ما هي علاقة إخوته بهذه الأموال حتى يسجنوا جميعاً معه ؟.

من الواضح أن الحجاج كان يسعى من خلال معاملته لآل المهلب، إلى إخضاعهم لسلطانه مثلما تم إخضاع أهل العراق المحبين للفتن، ولهذا نجده عزل يزيد بن المهلب عن خراسان سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ثم عزل أخاه المفضل عنها (خراسان) بعد تسعة أشهر من ولايته لها[١]، وأتبعه بعزل أخيه حبيب سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م عن كرمان: كما عزل عبد الملك بن المهلب عن شرطته في العام ذاته[٢] فهم يشكلون له جميعا - على حد ظنه - زعامات قوية يخشى جانبهم على ولايته في العراق وخراسان، أما عن هند بنت المهلب؛ فلا أظن إلا أنها أغلظت القول للحجاج بعد ما ضيق على يزيد وبقية إخوته، ومعروف أن رجلاً مثل الحجاج حادّ الطباع، شديد الانفعال، لن يرضى أن يرتفع صوت امرأة عليه، فتلفظ بالطلاق من غير رغبة فيه، والدليل على هذا أنه ندم على فعلته بعد أن خرجت من ذمته[٣].

ويخيل إليّ أنه لو كان الحجاج قد بالغ في تعذيب يزيد وإخوته -كما قيل - لما قرّ قرار للعنصر اليمني وأنصار الأسرة المهلبية في

---

(١) ابن أعثم الكوفي: ٢٠٥/٧، إبراهيم بيضون: من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ص ٢٩٧ - ٢٩٩.
(٢) الطبري: تاريخ الامم ٣٩٧/٦، ٤٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٤١/٤.
(٣) ابن أعثم: الفتوح ٢٠٩/٧.

البصرة، ولاندفع الجميع إلى مقارعة النظام الأموي، وإن تولية يزيد بن المهلب بعد ذلك على أرض العراق سنة ٩٦ هـ / ٧١٤م من قبل سليمان ابن عبد الملك، ثم خراسان سنة ٩٧هـ / ٧١٥م وغزوه لجرجان وطبرستان سنة ٩٨هـ / ٧١٦م [١] لينفي تلك الاتهامات التي رمي بها وخاصة إخفاءه للمال المذكور سلفاً، فالدولة الأموية لا تقبل أصلاً برجل توليه على تلك البلاد وهي تعرف عنه مثل هذه الأمور.

كان على يزيد وإخوته أن يعجلوا بخطة كي يخرجوا بها من حبسهم إلى معترك الحياة، خاصة بعد أن علموا أن ما هم فيه ليس سببه المال فحسب - فقد أعطى من ماله الخاص أربعة الآف ألف (أربعة ملايين) ولم يطلق سراحه [٢] فالحجاج كان يخافهم ويخشى أن يكونوا زعماء لثورات مثل ابن الأشعث، ولهذا أبقاهم تحت الحراسة الشديدة، وكانت خطتهم للهروب أن يقوموا:

أولا: بالكتابة إلى أخيهم مروان بن المهلب وهو في ذلك الحين بالبصرة ليجهز لهم خيلاً أصيلة للهروب عليها إلى بلاد الشام، ثم يعرضها للبيع حتى لا يشك أحد في أمرها، ويرفع من قيمتها أثناء البيع حتى لا يفكر أحد في شرائها، وبالتالي تبقى جاهزة للفرار بها.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٢٤/٦، ٥٣٢، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٦٩/٣، ٧٢.
(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠٩/٧.

ثانيا: أن يطلب يزيد بن المهلب من الحرس الموكل بهم أن يصنعوا له ولإخوته طعاما كثيراً ليأكلوا ويشربوا، فيصبحوا في غير حاجة إلى أن يحملوا معهم شيئاً يتزودون به، لأن مسافة الطريق ليلة واحدة فقط - على أقل تقدير - وليكونوا خفافاً أثناء هروبهم وليأكل الحراس كذلك من هذا الطعام.

ثالثا: أن يكون خروجهم جميعاً في ساعة واحدة، يتقدمهم يزيد في ثياب طبّاخه المعروف بلحيته البيضاء ليخفي معالم وجهه ولا يشك أحد في أمره فيتم القبض عليه، ويتبعه المفضل ثم عبد الملك.

رابعا: أن يتم تجهيز سفن بالبطائح ليتحركوا بواسطتها إلى البصرة - التي بينهم وبينها ثمانية عشر فرسخاً، وهذا سيكون عن طريق بعض الأفراد الموالين للأسرة المهلبية والناقمين على الحجاج وسياسته وخاصة السجّان الذي بذل له يزيد ألف دينار على أن يعمل في خلاصه، فأجابه السجّان إلى ذلك [1].

وتم تنفيذ الخطة بعد ما أتم السجّان مهمته في إسكار الحرس بشراب قوي، فمرّ عليهم يزيد بن المهلب متستراً، فنظروا إليه وهم يضحكون، ويقولون للسجّان ما أشبه هذا بمشية يزيد، فضحك السجّان وقال:إنه طباخ يزيد ألا ترونه بثياب الطباخ، ثم تبعه أخوه المفضل وتلاه عبد الملك [2]، وتبعهم السجّان ليهرب معهم، فركبوا الزورق الذي أعدّ

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٤٨/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠٩/٧، ٢١٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٦/٤، ٢٥٧.

(٢) وكان قد أبطأ عليهم (عبد الملك) وشغل عنهم، فقال يزيد للمفضل: اركب بنا فإنه لاحق، فقال=

لهم وتحركوا وقت المدّ حتى وصلوا بعد مسير ليلة كاملة إلى الساحل الآخر، ثم ركبوا خيلهم التي أعدت لهم، ودليلهم في الطريق عبد الجبار ابن يزيد وقيل: عبد الرحمن بن عاصم [1]، حيث طلبوا منه الذهاب معهم إلى بلاد الشام مقابل عشرة آلاف درهم، ومكثوا في الطريق سبع ليالٍ، يسيرون ليلاً ويكمنون نهاراً، وأخذ بهم على السماوة [2]: حتى إذا قاربوا من أرض الشام وكان بينهم وبينها ثلاثة أميال غلبهم النعاس، ونزل الجميع عند قصر في البرية لا يعلمون لمن هو [3]، وباتوا ليلتهم حتى أنهم لم يشعروا إلا والشمس على ظهورهم، فصلوا ثم رحلوا حتى

=المفضل - وعبد الملك أخوه لأمه (وهي بهلة هندية): لا والله لا أبرح حتى يجئ ولو رجعت إلى السجن، فأقام يزيد حتى جاءهم. (الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٤٩/٦).

(١) وكان هذا الدليل (عبدالرحمن) قد لقيه يزيد بن المهلب في الطريق، فأمره بالوقوف، فقال له: يزيد: ممن الرجل ؟ قال رجل من اليمن، قال حيّاك وقربك: من أين أنت ؟ قال: من أهل هذا البلد، قال: وأين لك الأهل ؟ قال: في حي كذا وكذا، قال: وتخبر الطريق إلى أرض الشام ؟ قال: أنا من أخبر الناس بالطريق، قال: فما اسمك ؟ قال: عبد الرحمن بن عاصم. قال: ياعبد الرحمن: هل لك أن تكون دليلاً إلى أرض الشام، ومنها إلى فلسطين، ولك عشرة الآف درهم وأحملك واخلع عليك ؟ فقال: من أنت ؟ قال: أنا رجل ما شددت إزاري منذ عقلت العقل إلاّ وأنا أمير وأخو أمير، وربما كنت أسيراً؛ قال فقال له الرجل: فأنت إذاً يزيد بن المهلب؛ قال: أنا هو، وإنما هربت من سجن الحجاج أريد ابن عم لي بأرض فلسطين يقال له زهرة بن عبد الرحمن الأزدي، وأحببت أن أكون في ناحيته، ويكون هو الذي يأخذ لي الأمان من القوم، فقال عبد الرحمن بن عاصم : أيها الأمير فأنا أوردك إلى أرض فلسطين من موضعك هذا في سبع ليالٍ أسير بك ليلاً وأنزل بك نهاراً، قال يزيد: الله أكبر فسر بنا.. (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١١/٧، ٢١٢).

(٢) هي أرض مستوية لا حجر بها بين الكوفة والشام (ياقوت: معجم البلدان ٢٤٥/٣).

(٣) ذكر أنهم وجدوا جارية قالت لمولاتها: ما أشبه هذا الرجل بيزيد بن المهلب !فقالت لها مولاتها: أوتعرفين يزيد بن المهلب، فقالت: وكيف لا أعرفه وقد كنت لبعض مواليه، فسألها يزيد عن هذا القصر ؟ قالت: هذا قصر زينب بنت يوسف (أخت الحجاج)، قال يزيد: إنا لله وإنا إليه راجعون ! لا يفارقنا الحجاج حيثما ذهبنا - (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٢/٧).

قدموا أرض فلسطين، ونزلوا على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي[1] وكان له منزلة كبيرة عند سليمان بن عبد الملك، فأخبره وهيب بنزول يزيد بن المهلب وإخوته عنده، وحكى له أنهم جاءوا إليه هرباً من الحجاج، فقال له سليمان بن عبد الملك: جئني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حيّ، فجاء بهم حتى أدخلهم عليه فكانوا في مكان أمين[2]، يقول دليلهم في مسيرهم:

ألا جعـل الله الأخـلاء كلّهـم ... فداءً على ما كان لابن المهلب

لنعم الفتى يامعشر الأزد أسعفـت ... ركابكم بالوهب شرقي منقب[3]

لكن ماذا عن موقف الحجاج من هذا التطور المفاجئ؟

بادر الحجاج إلى السجان ليسأله عنهم، فلم يجده، فذهب ظنه إلى أنهم اتجهوا صوب خراسان لإثارتها عليه، وطرد واليها، ومحاولة الامتناع بها، لذلك بعث بكتبه إلى ثلاث جهات.

الجهة الأولى إلى والي خراسان: قتيبة بن مسلم: يخبره بهروب يزيد وإخوته، ويحذره شرهّم، ويطلب منه الاستعداد لمقاتلتهم[4].

الجهة الثانية إلى أمراء الثغور والكور، يبلغهم بهرب يزيد وإخوته ويأمرهم برصدهم ومتابعتهم.

---

(١) قيل إن اسمه زهرة بن عبد الرحمن الأزدي (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٣/٧).
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٤٩/٦ - ٤٥١، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١١/٧، ٢١٢.
(٣) البقية في (الطبري: تاريخ الأمم ٤٥٠/٦).
(٤) قال له: كن على حذر، فإن يزيد بن المهلب قد هرب من سجني، ولا أدري أين يتوجه، وأخاف أن يفسد عليك خراسان إن دخلها (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١١/٧).

الجهة الثالثه إلى خليفة المسلمين (الوليد بن عبد الملك) ينقل إليه أخبارهم، وما يظنه فيهم من الاتجاه إلى بلاد خراسان[1].

ولكن بعد يومين من هروبهم هدأت نفس الحجاج، فقد أبلغه أمراء الثغور والكور أنهم اتجهوا صوب بلاد الشام، وأنهم قصدوا سليمان بن عبد الملك، عندها بعث بكتاب عاجل[2] إلى الخليفة يخبره فيه بأن يزيد وإخوته خانوا مال الله، ثم هربوا من سجنهم. وبلّغه بظنه فيهم بأنه ربّما يخطر ببالهم الاتجاه إلى بلاد خراسان بعد فترة ليثيروا أهلها، ويحرضوهم ضد الخليفة. كما عمل ابن الأشعث من قبل[3].

وهذا يؤكد لنا أن الحجاج لم يكن حبسه لهؤلاء من أجل المال بقدر ما كان حبسه لهم خوفا وفزعا مما كان يظنه ويعتقده في أمرهم من رغبتهم في السيطرة على العراق والشرق عامة، الأمر الذي دفع الخليفة إلى مكاتبة أخيه سليمان بن عبد الملك في شأنهم، فأقر سليمان بوجودهم عنده، وأنه أجارهم وسيتحمل المال الذي عليهم[4]، وما دفع

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨٣/٩.

(٢) وجاء في الكتاب " أما بعد ياأمير المؤمنين فإن يزيد بن المهلب قد كان تغلب على بلاد خراسان، فجبى أموالها ، وإني بعثت إليه فأشخصته إلى ما قبلي، فطالبته بسبعة الآف =ألف درهم، فانكر ذلك فحبسته، وأنه هرب من سجني وصار إلى أرض الشام، ثم أنه قد اتصل الآن بأخي أمير المؤمنين وولي العهد سليمان بن عبد الملك، وأمير المؤمنين أعلى عيناً والسلام (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٣/٧) وذكره مختصراً (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٧/٤).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٤٤٩/٦ - ٤٥١.

(٤) قال له " إن يزيد بن المهلب عندي، وقد أمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة الآف ألف فأدوا ثلاثة الآف ألف، وبقي مثلها فهي علـي (ابـن الأثير: الكامـل في التاريخ ٢٥٧/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٦٤/٣).

سليمان إلى ذلك إلاّ أنه كان يرغب أن يعمل هذا الرجل تحت إمرته إذا آلت الخلافة إليه، خاصة وهو يعلم تماماً الدور البارز ليزيد في بلاد الشرق، فأراد أن يخلصه من هذه التهمة الباطلة، لكن الخليفة أمام تحريض الحجاج له ومحاولته طمس كل ما يتميز به آل المهلب من صفات حميدة، ودور بارز في فتوحات الشرق كان مجبراً على رفض الأمان الذي أُعطي لهم من قِبَلِ أخيه سليمان، وأصرّ على أن يبعث بهم إليه.

وأدرك يزيد بذكائه وفطنته أنه ربما تصل الأمور - بسببه وإخوته - بين الأخوين الوليد وسليمان إلى مالا تحمد عقباه، فأشار على سليمان بأن يرسله إلى أخيه الوليد ومعه أيوب بن سليمان، ليستعطف عمه في العفو عن يزيد وإخوته، وفي نفس الوقت يحمل معه كتاباً خاصاً من والده إلى عمه الوليد لنفس الغرض، وبالفعل وصل يزيد وأيوب إلى الوليد، فقال له أيوب: "ياأمير المؤمنين نفسي فداؤك ! لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذّل من رجا العزّ في الانقطاع إلينا لعزنا بك"[(١)].

فقرأ الخليفة كتاب أخيه سليمان والذي أوضَح فيه ما يلي:

- أنه على يقين من أن الخليفة لن يذلّ جاراً استجار بأخيه سليمان وهو عدوّ له، فكيف به إذا أجار قائداً مسلماً.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٤٥١.

- أن الذي أجاره عرف عنه السمع والطاعة وأنه حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأسرته كلها.
- وأخبره بأن عدم تجاوزه عن يزيد بن المهلب وعفوه عنه يعتبر قطيعة له وترك للبرّ والوصل الذي أمر الله به عز وجل عباده [1].

وهنا نوضح أن الخليفة كان في البداية ينظر إلى يزيد وأهل بيته على أنهم خائنون للمال يجب أن يلاقوا عقابهم كبقية الناس، وأنهم أصحاب نزعات ثورية كابن الأشعث وغيره يجب أن يُحجر عليهم لئلا تتّقد نارهم، وأنهم هاربون من السجن لابد من معاقبتهم بسبب ذلك، ورأى الخليفة أنه باعتباره المسؤول أولاً وأخيراً عن أمن الأمة الإسلامية وسلامتها، فلابد عليه أن يضرب بيد من حديد على كل من تسّول له نفسه أن يعبث بأمن الدولة أو يحاول الخروج عليها.

ولكن لما ذكّر سليمان أخاه الوليد بصفات آل المهلب، ومنزلتهم عند أبيه، وحسن بلائهم، وأثرهم في الإسلام، وكذلك لعله ذكّره أيضاً بوصية والده عبد الملك بن مروان حين قال "... إياكم والاختلاف والفرقة، فإن بهما هُلكَ الملوكِ الماضين، وذوي العزّ المكين... وكونوا ذوي حلاوة في مرارةولين في شدة...." [2]

وكذلك كان لكلام أيوب بن سليمان أمام عمه بعض الأثر في نفسه وتحريك عاطفته مما جعل الوليد يغير موقفه تجاه يزيد وإخوته.

---

(١) ذكر الكتاب مفصلاً كل من (الطبري: تاريخ الأمم ٤٥١/٦– ٤٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٨٤/٩).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠٢/٧، المسعودي: مروج الذهب ١٧٠/٣.

ويحتمل أن يكون الكتاب الذي بعث به سليمان إلى أخيه الخليفة جاء على نحو ما ذكره ابن أعثم الكوفي إذ يقول ((ياأمير المؤمنين إني وجهت إليك بيزيد بن المهلب فابدأ بأيوب من قبله، ثم اجعل يزيد ثانياً واجعلني ثالثا إن شئت))[1] مما دفع بالخليفة إلى المبادرة -دون تردد- إلى تقديم المساعدة ليزيد تقديرا واحتراماً لأخيه وابن أخيه.

وربما كان أقوى الأسباب في تغيير الوليد موقفه من آل المهلب حضور يزيد إليه مع إخوته، فقد أراحه ذلك إذ لو كانوا أصحاب أطماع أو نزعات ثورية لاتجهوا مباشرة إلى خراسان باعتبار أن فيها أنصاراً أو مؤيدين لهم، ثم لا ننسى أن غضب الخليفة تبدد حين تأكد أن مشكلة الأموال التي أثارها الحجاج قد انتهى أمرها، مما ترتب عليه أن قرَّب ابن أخيه إلى جانبه وأمر بفك القيود التي عليه مع يزيد بن المهلب، وقال: ((شققنا على سليمان)) ثم تكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال ((ياأمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء... وقد كان من بلائنا... في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنّة علينا فيها عظيمة))[2].

جاءت هذه الكلمات على لسان يزيد مطمئنة للخليفة، فعلم منها أنه كان يسعى لخدمة الدولة الإسلامية ومازال، فأزاح ذلك الوجه السيء

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٤/٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٥٢/٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٨٥/٩.

الذي وضع فيه مع إخوته، لهذا بعث إلى واليه على العراق - الحجاج - يأمره بالكفّ عن يزيد وإخوته، وألاّ يكتب إليه في شأنهم [١]، فاستجاب الحجاج لذلك [٢].

رجع بعدها يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك وتوطّدت العلاقة بينهما جداً لأن العفو والصفح جاء بواسطته، وبقي في معيته حوالي تسعة أشهر، صنع له فيها طيّب الطعام، وأهدى إليه الهدايا العظام، وكان سليمان يبادله نفس الشعور والتقدير والمحبة، حتى أنه كان يعطيه نصف ما يأتيه من الهدايا وكان لا يطيع في يزيد أحداً[٣]، ولما توفى الخليفة الوليد بن عبد الملك[٤]، وتولى الخلافة بعده سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم[٥] عن أرض العراق - وكان قد وليها من قبل

---

(١) قال له " أما بعد فإنه لا سبيل لك على يزيد بن المهلب، فانظر لا تعاودني فيه بعد هذا اليوم " (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢١٤/٧).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٥٢/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٧/٤، ٢٥٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٥٨/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ٨٥/٩.

(٤) توفي يوم السبت في النصف من شهر ربيع الأول سنة ٩٦هـ/٧١٤م وكان عمره احدى وخمسين سنة (ابن خياط: تاريخ بن خياط ص ٣٠٩) وقيل في النصف من جمادى الآخرة من العام نفسه (المسعودي: مروج الذهب ٢١٢/٣).

(٥) يزيد بن دينار الثقفي (أبو العلاء) والٍ من الدهاة في العصر الأموي، كان من موالي ثقيف، وجعله الحجاج كاتباً له، فظهرت مزاياه، فلما احتضر الحجاج استخلفه على الخراج بالعراق، وأقره الوليد بن عبد الملك بعد موت الحجاج سنة ٩٥هـ /٧١٣ م، ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان سنة ٩٦هـ/٧١٤ م عزل صاحب الترجمة، وطلبه فجاءه إلى الشام، فأبقاه سليمان عنده، ثم ولاّه إفريقيه سنة ١٠١هـ /٧١٩ م فانتقل إليها، فتآمر عليه بعض أهلها فقتلوه. انظر التفاصيل في: (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٢٥/٢، البغدادي: المحبر ص ٤٩٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٨/٤، الزركلي: الأعلام ١٨٢/٨).

أخيه الوليد، وقيل من قبل الحجاج عند وفاته سنة ٩٥هـ/٧١٣م [١] وأمّر عليها يزيد بن المهلب [٢].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٤٩٣.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٩٣.

موقف قتيبة بن مسلم من يزيد بن المهلب سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م

تولى قتيبة بن مسلم خراسان سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، وكانت له جهودٌ مشكورة في سبيل خدمة الإسلام وأهله، ففتح بلاداً عظيمة وأخضعها لطاعة الدولة الإسلامية، وكان من أهمها: بيكند(١)، بخارى(٢)، الطالقان(٣) وغيرها ولما توفي الوليد بن عبد الملك - وكان قتيبة قد وصل حدود الصين - أخذ يفكر في مصير هذه البلاد المفتوحة التي دانت له وأقرت بحكمه، فأهمه أمرها وخشي أن تخرج عن الطاعة إن ولي خراسان رجلاً غيره. لذا فكر في أمر يزيد بن المهلب الذي نصّبه الخليفة سليمان والياً على أرض العراق سنة ٩٦هـ / ٧١٤م. وكره أن يجتمع معه في أرض خراسان فقال: ((وإني أكره أن أكون في بلد وفيه مثل يزيد بن المهلب)) (٤).

وكان على قتيبة متابعة أخبار يزيد ليستوثق من صحتها، فبعث برجل إلى أرض العراق، وكلفه بنقل كل أخباره إليه، فبلغّه هذا الرسول أن يزيدَ ولّي بلاد العراق ودفع إليه آل أبي عقيل (من أهل بيت

---

(١) هي أدنى مدن بخارى إلى النهر ومنها إلى سور بخارى فرسخان (الحميري: الروض المعطار ص ١٢٣).

(٢) مدينة عظيمة ببلاد ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند سبعة أيام وسبعة وثلاثون فرسخاً، وإليها ينسب الإمام البخاري (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩، ٥١٠، الحميري: الروض المعطار ص ٨٣).

(٣) بلدة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ٨٧٦/٢).

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٥٣/٧.

الحجاج) ليستأديهم الأموال[1]، فخاف قتيبة بن مسلم أن يعزله سليمان ويولي يزيدَ على خراسان بدلاً منه [2].فينتقم لنفسه بالقبض عليه وعلى أهله، ويسومهم سوء العذاب ! ردّاً على ما فعله قتيبة بأهله من قبل، حيث أخذ قتيبة يتتبع بقية آل المهلب حين دخل خراسان، ويبعث بهم إلى الحجاج بالعراق، وبناءً على ذلك قال قتيبة متأثراً بالموقف: ((لئن كان ولاّه العراق فقد ولاّه خراسان، اللهم إني أسألك ميتة كريمة)) [3].

فعزم قتيبة على أن يأتي خوارزم[4] ليتحصن بها، ثم عدل عنها إلى فرغانة[5]، ويقال: إنه علم أن الجند لن يسير معه إلاّ إذا صدرت إليهم الأوامر من الخليفة سليمان بذلك، لذا افتعل كتاباً على لسان الخليفة سليمان مفاده أن رجلاً من خلفاء بني أمية اسمه اسم نبي يفتح الله على يديه القسطنطينية ثم أرض الصين، فيحتوى على أموالها.. ويطلب من قتيبة أن يغزو بالمسلمين أرض فرغانة ثم الصين، وجمع قتيبة

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩٦.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ ٣/٦٨، البغدادي: خزانة الأدب ٩/٨٣، زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية ١/١٦٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٥٦.

(٤) ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة، ولها قصبتان: الجرجانية في غرب جيحون وهي أركنج الحالية، والأخرى كاث في شرق النهر وهذه المدينة مازالت قائمة.. انظر التفاصيل في (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٢٥، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٩، ٤٩٣).

(٥) وقصبتها في أوائل العصور الوسطى مدينة اخسيكث، وسماها ابن خرداذبة مدينة فرغانة، وهي تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية، أما الاقليم نفسه فهو إلى وقت قريب يعرف بخانية خوقند، وقد أعادت إليه الحكومة الروسية رسمياً اسمه القديم (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٢٠).

الناس فأقرأهم الكتاب، وأمرهم بالاستعداد والتأهب والمسير إلى فرغانة، فخرجوا على كره منهم، وبلغ سليمان ذلك، فكتب إلى يزيد بن المهلب " أن قتيبة خاف من ولايتك أرض خراسان خوفاً شديداً لا يكون لنا معه طاقة، فالرأي أن تكتب إليه كتابا تؤيده على ما عزم عليه من المسير إلى فرغانة وتصّوب رأيه، وتأمر الرسول الذي يحمل الكتاب إليه يقول للناس: إن أمير المؤمنين قد زادكم في العطايا مائة مائة، وقد أذن لمن أحبّ منكم القفول أن يقفل إلى منزله، فإن الناس يحبون القفول إلى منازلهم وقتيبة يمنعهم من ذلك فيخالفونه.

فقام يزيد بواجبه خير قيام، ولما ورد الكتاب على قتيبة فرح بذلك واستبشر وقرأه على الناس، ثم قام الرسول وأخبر بما أمر أن يقوله للناس، فعلم قتيبة أن هذا الرسول قد أغرى به الناس، فقام في الناس وقال: إن هذا الرسول يمنيكم الضلال والأباطيل وأنه يريد بكم غير ما تظنون، وإن سليمان يدعوكم إلى أن تبايعوا ابنه أيوب..[١]

ثم أقدم قتيبة على إجراء محاولة أخرى مع الخليفة سليمان حيث بعث إليه بكتب حاول أن يستخدم فيها ما في جعبته من وسائل المداراة واللين، فإن لم تُجْد هدّد وتوعّد لعل الخليفة سليمان يتغاضى عن زلته رغبة أو رهبة، فكتب إليه ثلاثة كتب وأرسلها مع رجل من باهلة، وقال له: ادفع إليه الكتاب الأول، فإن قرأه ولم يدفعه إلى يزيد - وكان يزيد ابن المهلب كاتبه في هذا الوقت - فاحبس الكتابين الآخرين، وإن قرأه

(١) ابن أعثم: الفتوح ٧/٢٥٥ - ٢٥٧.

ودفعه إلى يزيد فادفع إليه الثاني، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه الثالث[1].

وتابع رسول قتيبة سيره حتى دخل على سليمان بن عبد الملك - وكان عنده يزيد - فدفع إليه الكتاب الأول، وفيه: يعزّيه قتيبة في وفاة أخيه الوليد، ويهنئه بالخلافة، ويذكر فيه بلاءه وعناءه، وهيبته في صدور الأعداء، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم على يديه، وأنه له على مثل ما كان عليه لأبيه عبد الملك وأخيه الوليد من الطاعة والنصيحة، إن لم يعزله عن خراسان، فقرأه سليمان وألقاه إلى يزيد.

فسلمه الكتاب الثاني، وفيه: يستعرض قتيبة ما قام به من القتال والفتوحات وهيبته في نفوس الملوك والأعاجم، وصولته فيهم، ويذمّ يزيد ابن المهلب وأهله ويقسم بالله لئن عزله عن خراسان، وولى يزيد ليخلعنه، وقيل ذّم يزيد بقوله ياأمير المؤمنين كيف تأمن ابن رحمة - يزيد - على أسرارك، وأبوه لم يأمنه على أمّهات أولاده ؟![2]، فقرأه سليمان ودفعه أيضا إلى يزيد.

فسلمه الكتاب الثالث. وفيه: لئن لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل، ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً[3].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٠٧/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤، البغدادي: خزانة الأدب ٨٤/٩.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ١٣٤/٢، ١٣٥، ابن نباته: سرح العيون ص ١٢٨.

(٣) انظر هذه الرسائل في الطبري: تاريخ الأمم ٥٠٨/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩٤/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٤/٩، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٦٨/٣، البغدادي: خزانه الأدب ٨٣/٩.

ويلاحظ على هذه الكتب: أنها جمعت بين الإغراء بالوعد الجميل لسليمان، شريطة أن يظل قتيبة عاملا له على خراسان، كما في الكتاب الأول، ثم التهديد بطريق غير مباشر - بالتذكير بفتوحاته وبطولاته في بلاد ما وراء النهر، وهيبته وصولته لدى ملوك هذه البلاد، ولعله يريد - فوق التهديد - أن يبين لسليمان أن حكام هذه البلاد لا يرضون به بديلاً، ثم التهديد الصريح والعنيف بأنه إذا لم يقرّه على ولاية خراسان ليخلعنه ويقاتلنه.

أما عن موقف سليمان بن عبد الملك من هذه الكتب، فهذا يتضح من خلال دفعه للرسالتين الأولى والثانية إلى يزيد بن المهلب، لكن الرسالة الثالثة حين قرأها تغيّر لونه ودعا بطين وختمها به، ثم أمسكها ولم يدفعها إلى يزيد [١].

وأمر بإنزال رسول قتيبة دار الضيافة، ولما حلّ المساء طلبه وأعطاه ذهباً ودنانير وكتابا فيه عهد قتيبة بولاية خراسان، وفي الصباح أرسل معه رسولاً من قبله إلى قتيبة ليقرّه على خراسان، وواصل الرسولان سيرهما حتى بلغا حلوان [٢]، وفيها بلغهما أن قتيبة خلع سليمان بن عبد الملك، فأعطى رسول سليمان الرسالة التي معه إلى رسول قتيبة ورجع [٣]، ويبدو أن ما أشيع في هذا الوقت عن خلع قتيبة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٠٨، البغدادي: خزانة الأدب ٩/٨٤.

(٢) حُلْوان في عدة مواضع، منها حلوان خراسان، وهي بلدة بقوهستان بنيسابور، وهي آخر حدود خراسان (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ١/٤١٨).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٠٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٢٩٤، ابن كثير:البداية والنهاية=

لسليمان كان مجرد ظنون تولدت عند الناس؛ نظراً لما يقوم به قتيبة من تحصينات في فرغانة أو أن ما أشيع مجرد فرية أذاعها أتباع وكيع ابن أبي سود، لعزل قتيبة له عن قيادة جند تميم، وتولية ضرار بن حصين الضبي مكانه [1].

وإن إبقاء سليمان قتيبة على بلاد خراسان - مع أن نفسه تميل إلى جعل يزيد عليها - فيه حسم للاختلاف وعواقبه، فكان يخشى أن تفتح عليه جبهة يصعب عليه التصدى لها في بداية خلافته، فيجدد له العهد الآن، وبعد ذلك يعمل على عزله في الوقت المناسب.

ولا ننكر وصول هذه الكتب، لكن نشك أن يكون قد جاء فيها عبارات نابية كخلع النعل أو تهديد للخليفة، أو ذم للقائد يزيد بن المهلب! فقتيبة لا يقبل أن تُبْطِل أعماله وجهوده في الفتوح تلك الألفاظ المشينة، حتى وإن فكر في الخروج عن الطاعة، فهو لا ينسى أن سليمان خليفة المسلمين عامة، وله مكانته العظيمة بينهم، وليس من حق الوالي أن يهدّدمن يعمل تحت سلطته، كما أنه ليس من حقه أن يفرض رأيه عليه في الولاية أو عدمها.

ومما لا شك فيه أن قتيبة أخطأ حين اعتقد أن هذه البلاد الإسلامية لا يوجد من يقدر على ضبط أمورها من بعده، ويظهر أن غيرته على تلك الجهود المبذولة منه لها ما يبررها فقد قضى - قتيبة -

---

= ٩/١٧٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٦٨.

(١) محمود نصير بك: أبطال الفتح الإسلامي في العرب والترك ص ١٨٣.

في ميدان القتال في خلافة الوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر[1]. كان له فيها انجازات باهرة من الناحية الإدارية والعسكرية، فخشي أن يأتي رجل آخر ويقطف ثمرة هذه الجهود الطويلة ثم تنسب إليه.

وإن تخصيصه ليزيد بن المهلب بالذات دون غيره لعلمه بأن الأضواء مسلطة عليه، فمودة الخليفة له كبيرة، وله علم بخراسان أكثر من غيره، وكان له ولأسرته فيها ذكر عظيم وهذا مما أقلق قتيبة بن مسلم الذي كان له موقف خاص منهم، حين تتبع أفراد تلك الأسرة المهلبية بعد توليه خراسان.

أما موقف قتيبة بن مسلم فحين جاءه رسوله بعهده من الخليفة على خراسان، قال: ((هذا من تدبيره عليّ))[2] ورفض عهد سليمان، وفي رواية أنه بعث إليه بكتاب يوحي فيه بمخالفته، وأن الخليفة ردّ عليه بكتاب آخر يطلب منه ألا يفعل ذلك، مقابل أن يوليه بلاداً أخرى غير خراسان[3]. فرفض قتيبة ذلك وعزم على العصيان.

فقالوا فيه:

أقتيب إنك قد أتيت عظيمة   فانظر قتيبة أين أين المهرب
أصبحت ناكث بيعة أعطيتها   طوعا فجلدك للخلافة أجـــرب[4]

(١) المسعودي: مروج الذهب ١٩٢/٣، عمر أبو النصر: سيوف بني أمية في الحرب والإدارة ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٢.

(٣) ذكر له "... قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وما أضمرت في نفسك.. فلا تفسدن صالح عملك بشق العصا، فإن أمير المؤمنين وإن عزلك عن خراسان ولاّك غيرها... (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٥٣/٧ - ٢٥٤).

(٤) انظر البقية...: ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٥٤/٧ - ٢٥٥.

الجدير بالذكر أن قتيبة شك في أهل خراسان، وقال: إنهم وراء ذلك التدبير كي يبعدوه عن بلادهم، ويمهدوا الطريق لعودة يزيد بن المهلب، وظن أن يزيد هو الذي قام بتحريضهم على ذلك لمصلحته، وأنه بعد أن يمسك بزمام الأمور سينتقم منه ردّاً على ما صنعه مع أهله من آل المهلب، وأنه سيحضره أمام الناس، وينقص من شأنه ومكانته ومع أن الكثير من أهل خراسان[١] أشعره بخطأ ظنه إلاّ أنه لم يسمع لأحد[٢]، واتجه لجمع طوائف الجيش الخراساني، وأخذ يدعوهم إلى خلع سليمان، فخطبهم خطبة بيّن لهم فيها فضله على جميع طوائف جيشه، حتى أنه نقلهم من حياة الشظف والفقر المدقع التي جاءوا منها إلى حياة الفتح والنصر وما يدّرانه من مغانم يأخذونها على الفور دون أدنى تأخير، بعكس من سبقوه من الولاة قبله، ومما ذكره أيضا...... وقد جربتم الولاة قبلي أتاكم أمية[٣]... ثم أتاكم بعده أبو سعيد[٤]... ثم أتاكم بنوه بعده، يزيد.. فحل تبارى إليه النساء.. لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده..[٥].

(١) وعلى رأسهم: البحتري بن عبد الله الأسدي.

(٢) يقول قتيبة بن مسلم للبحتري الأسدي ".... إني لا آمن أن يولى يزيد بن المهلب خراسان، فيدعوني والناس حضور عنده، فيقصّر بي - يذلني - والموت عندي أيسر من ذلك". فرد البحتري " أيها الأمير إن ظني بيزيد بن المهلب وإن ولي خراسان، فإنه لا يفعل بك ما تظن..." (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٥٨ - ٢٥٩).

(٣) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أبي العاص بن أميه القرشي عامل عبد الملك بن مروان على خراسان سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م... التفاصيل في (ابن الأثير: أسد الغابة ١/١١٩، ابن حجر: الإصابة ١/٢١٤، الزركلي: الأعلام ٢/٢٣).

(٤) أبو سعيد: كنية المهلب بن أبي صفره.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٢/١٣٤، ١٣٥، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٣٨٥.

ويظهر أنه لم يكن أحدٌ ليرضى بما جاء في خطبة قتيبة - والتي لا تخلو من المبالغة خاصة فيما يتعلق باتهامه يزيد بن المهلب بالنساء - حين تعرض فيها لآل المهلب ؛ لما يكنّه الجميع لهم من تقدير واحترام، أضف إلى ذلك أن الجند قد طال بقاؤه في تلك البلاد، ويفكر في الرجوع إلى الأهل والوطن، ودخولهم حرباً ضد الخليفة يعني عدم تحقيق هذا الأمل، وقد سبق أن سليمان كتب لقتيبة أن يأذن في القفول لمن أراده منهم.

لذا اشتاط قتيبة غضباً، وأوسع القبائل جميعاً - بلا استثناء - ذماً، فثاروا جميعاً ضدّه فأجمعوا على خلعه (١)، فاضطر أن يخوض حرباً معهم، قتل فيها على يد وكيع بن أبي سود (٢)، كما قتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته (٣).

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥١١/٦.

(٢) هو أبو مطرف، وقيل: أبو خندف: وكيع بن أبي أسود، قتل القائد قتيبة بن مسلم سنة ٩٦هـ / ٧١٤م، وسيطر على خراسان تسعة أشهر أو عشرة، يولي فيها ويجبي ويعزل، وطلب من الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يوليه خراسان، فأبى ذلك وولى عليها يزيد بن المهلب (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩٧/٤، ٣٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٧/٩).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٤/٩، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٦٩/٣.

ولاية يزيد بن المهلب خراسان سنة ٩٧هـ / ٧١٥م

بات من الضروري على سليمان بن عبد الملك - بعد مقتل قتيبة بن مسلم - أن يوليّ على خراسان رجلاً آخر يقوم عليها، وبما أن يزيد بن المهلب مقيم بالبصرة عند أهل بيته وبني عمه، فقد كان يتوقع ويأمل أن يؤمر بالمسير إليها[١]؛ خاصة وأن له مكانة كبيرة عند الخليفة حيث كان يجالسه على سريره الخاص به[٢].

وبالرغم من أن سليمان بن عبد الملك كان لديه ميول قوية في ولاية يزيد خراسان، إلا أنه كان يعتقد أن مقامه في البصرة أفضل من الاتجاه إلى خراسان، لذا لم يشأ أن يكرهه على الانتقال منها[٣]، ومع ذلك أراد أن يجعلها في أحد إخوته، وذلك لشدة محبته لآل المهلب فوقع اختياره على أخيه عبد الملك بن المهلب، فعرضها عليه، فقبلها بالطبع ووافق، عليها[٤]، لكن لم يلبث أن عدل عن ذلك لأسباب لعل من أهمها:

١ - أنه شعر بعدم ارتياح يزيد بن المهلب لولاية العراق، إذ أن أهلها بعد موت الحجاج الثقفي كانوا يأملون أن يتوليَّ أمرهم رجلاً ليناً بعد الشدّة التي كان الحجاج قد أخذهم بها، ورأى أنه لا يصلح أمر العراق - إلاّ بها، فأخذ الخراج منهم وعذبهم عليه وسجن من لم يمتثل لذلك، فكان قد كره يزيد بن المهلب

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٧٨/٧.
(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣٢.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢١/٣.
(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٥٢٥/٦.

أن يأخذهم بنفس السياسة، فاقترح يزيد على سليمان أن يولّى الخراج صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم لمقدرته عليه، فوافق على ذلك وولاه [1].

٢ - علم أن صالحاً - والي الخراج ضيّق على يزيد بن المهلب فلم يمكّنه من شيء في أرض العراق، حتى أن يزيد اتخذ ألف خوان[2] يطعم الناس عليها، فأخذها منه صالح، فقال له يزيد اكتب عليّ ثمنها، واشترى يزيد متاعاً كثيراً أوصّك صكاكاً[3] إلى صالح ليبتاعها منه، فلم يحقق طلبه، فغضب يزيد، وقال: هذا عملي بنفسي، فقال صالح ليزيد: ما هذه الصكاك؟ الخراج لا يقوم لها: قد أنفذت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف، وعجّلت لك أرزاقك، وسألت مالاً فأعطيتك، فهذا لا يقوم بشيء، ولا يرضي أمير المؤمنين به: فقال له يزيد: أجز هذه الصكاك هذه المرة فقط، قال صالح: فإني أجيزها فلا تكثر ن عليّ. قال يزيد: لا[4].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٢٣/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٤، ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ ٦٩/٣، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣٠، مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق ص ٢٠.

(٢) الخِوان والخُوان: الذي يؤكل عليه معرّب، والجمع أخونة في القليل وفي الكثير خونٌ (ابن منظور: لسان العرب ١٤٦/١٣).

(٣) الصكاك هي الأرزاق ! لأنها كانت تُخرج مكتوبة وهي جمع صكّ وهو الكتاب، وكان الأمراء يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه وقد نهوا عن ذلك لأنه بيع ما لم يقبض (الزبيدى: تاج العروس ١٥٣/٧، ١٥٤).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٢٤/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٤، ووردت مختصرة=

وبناءً على ذلك كرهت نفس يزيد البقاء في أرض العراق في الوقت الذي زادت رغبته في بلاد خراسان، واضمر ذلك في نفسه، ولكن لا يستبعد أن يكون سليمان بن عبد الملك شعر بذلك من طريق أو آخر لمكانته الكبيرة في نفسه، فكان ذلك دافعاً - والله أعلم - له على أن يستبعد أخاه عبد الملك بن المهلب، ويفكر في جعله والياً عليها، ولكنه أراد التريث والتأكد من عدم رغبته في أرض العراق.

أمّا عن يزيد بن المهلب فقد بادر لحينه في عرض ما أضمره في نفسه على رجل خبير في مثل هذه الأمور - وهو عبد الله بن الأهتم[1] - وبعد استشارته له أفاده بأنه يصلح لولاية خراسان وهو أحق بها من غيره، واتفقا على أن يكون الخبر سرّا لا يعلم به أحد[2]، وسلمّ يزيد كتابين يذهب بهما للخليفة: إحداهما: يذكر فيه أمر العراق ويثني على ابن الأهتم، ويذكر له علمه بها، وأرسله مع البريد وأعطاه ثلاثين ألف درهم: فسار سبعة أيام وقدم على الخليفة وسلم له الكتابين، فقرأ

=في: العيون والحدائق ٣/ ٢٠.

(١) عبد الله بن الأهتم، ولد ونشأ في خراسان، فأصبح لديه علم بطبائع أهلها، وله فضل وعقل ومشورة، ولذلك استشاره الخليفة سليمان بن عبد الملك فيمن يصلح لولاية خراسان، فأشار عليه يزيد بن المهلب فولاه عليها سنة ٩٧هـ / ٧١٥م (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/ ٦٩ - ٧٠، وذكر أنه دعا ابن الأهتم فقال له إني أريدك لأمر قد أهمني فأحبّ أن تكفنيه قال: مرني بما أحببت، قال: أنا فيما ترى من الضيق فأضجرني ذلك وخراسان شاغرة برجلها، وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب: فهل من حيلة؟ قال: نعم سرّحني إلى أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها. قال: فاكتم ما أخبرتك به (الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٢٥).

الكتاب الأول الذي يحمل أمر العراق والثناء على ابن الأهتم وعلمه بخراسان[1].

وفي نفس الوقت كان قد وصل الخليفة كتاباً من وكيع من أبي سود- الذي احتوى على بلاد خراسان بعد مقتل قتيبة بن مسلم - يطلب فيه ولاية خراسان لنفسه[2].

أصبح الخليفة أمام أمرين أحلاهما مرّ، فهو إمّا أن يوافق على جعل وكيع ابن أبي سود والياً على خراسان، وهو رجل مجهول الصفات بالنسبة له، وكل ما يعرفه عنه أنه له دور كبير في القضاء على قتيبة بن مسلم وله سلطة قوية في خراسان. أو ينتظر حتى يأذن الله له في اختيار رجل آخر وهذا أمر صعب كذلك فالانتظار ليس في صالحه؛ لأن سكان هذه البلاد اعتادوا نقض العهد والخروج على المسلمين.

إذاً عليه أن يحسم الأمر وبسرعة متناهية، فطلب ابن الأهتم - الذي ذكر عنه ما ذكر في معرفته بتلك الأرض وأهلها - وقال له: كيف علمك بخراسان ؟ قال: أنا أعلم الناس بها، فيها ولدت ونشأت، ولي بأهلها خبر وعلم، فأخبره أنه بحاجة إلى رجل مثله كي يسأله عن رجل يصلح لها.

وكان ابن الأهتم من الحكمة مما جعله يحذر الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه وكيع بن أبي سود وهو المطالبة بالولاية لرجل بعينه. حتى لا

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٤.

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٧٩/٧.

يؤول إلى نفس المصير وهو الابعاد تماماً عن الولاية لذلك الشخص، فقال له: أيها الأمير أنت أعلم بمن تريد أن توليه عليها، ولكن إذا ذكرت أحداً أخبرتك برأيي فيه: فسّمى له رجلاً من قريش، قال: ياأمير المؤمنين ليس من رجال خراسان، قال: فعبد الملك بن المهلب، قال: لا، ثم عدد رجالاً كان آخرهم وكيع بن أبي سود. قال: وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدام، ولكن ليس صاحبها[1]. وقيل: إنه رجل فيه كبريحتقر أعداءه ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم، فيجد عدوّه غرّة منه[2]، وقيل: إنه لم تجتمع له قط ثلاثمائة عنان إلاّ حدّث نفسه بغدرة، خامل في الجماعة نبيه في الفتن[3].

هذا وإن عدم ذكر سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب من بين الرجال الذين عددهم فيه إشارة إلى أن الأخير لم يذكر في خطابه الذي بعثه مع ابن الأهتم بما يفيد أنه راغب لتلك الولاية، مما جعل سليمان يتأكد بأنه مازال محباً للبقاء في أرض العراق.

ولما انتهى سليمان من ذكر الرجال الذين سطّرهم في جدول ذاكرته، طلب من ابن الأهتم - أن يطرح له اسم رجل يصلح لها، فاشترط عليه أن لا يبوح باسمه حتى يضمن له أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يجيره

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٢٥/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٧٩/٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠١/٤، ٣٠٢.

(٢) ابن عبد ربّه: العقد الفريد ٩٨/١.

(٣) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٠/٣ - ٢١.

منه إن علم بذلك، قال له: لك ذلك فسمّه. قال: يزيد بن المهلب، قال: ذاك بالعراق، والمقام بها أحبّ إليه من المقام بخراسان [1].

وكان المتوقع أن يعجّل ابن الأهتم بتصحيح معلومات الخليفة، ويبين له عكس ذلك ويخبره بتضجر يزيد من بلاد العراق، ولكنه وافقه على ما كان يراه، واقترح عليه أن يكره يزيدَ على ولاية خراسان، وذلك حتى لا يشعر سليمان من قريب أو بعيد بأنه جاء ليطلب الإمارة على خراسان ليزيد بن المهلب، فكانت النتيجة أن وافق الخليفة على ذلك، ثم كتب عهد يزيد على خراسان في الحال، كما كتب كتاباً آخر إلى يزيد يثني فيه على ابن الأهتم وفضله وعقله ومشورته [2].

وبعد أن وصل إليه - إلى يزيد - دفع إليه الكتابين، فلما قرأهما أمر بالجهاز للمسير من ساعته ثم دعا ابنه مخلداً، فقدمه إلى خراسان، فسار من يومه، واستخلف الجراح بن عبد الله الحكمي [3] على مدينة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٠/٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢١/٣.

(٢) قال فيه: " أما بعد فإن عبد الله ابن الأهتم كما نحب وتحب في فضله وعقله ورأيه ودينه، وقد شاورته في أمر خراسان فوقعت خيرته عليك، وقد وليتك إياها حربها وخراجها، فإذا أتاك كتابي هذا فاجمع إليك الناس وسر على بركة الله، فأمير المؤمنين رافعك ومبلغك أملك ومنيتك إن شاء الله والسلام" (ابن أعثم: الفتوح ٢٨٠/٧).

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة، وهو دمشقي الأصل والمولد، تولى إمارة خراسان سنة ٩٩ هـ /٧١٧ م في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وعزل عنها سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م. التفاصيل في:(مقال بعنوان: الجراح الحكمي. لمحمود شيت خطاب. مجلة اللغة العربية بدمشق. مجلد ٥٥ - ص ٧٣٢).

واسط، وعبد الله بن هلال الكلابي[1] على البصرة وجعل مروان بن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة، وفي مروان يقول أبو البهاء الإيادي:

رأيت أبا قبيصة كلّ يوم ... على العَلّات أكرمهم طباعاً
إذا ما هم أبوا أن يستطيعوا ... جسيم الأمر يحمل ما استطاعا
وإن ضاقت صدورهم بأمرٍ ... فضلتهم بذاك ندىً وباعاً[2]

كان الخليفة سليمان يعلم القليل عن وكيع بن أبي سود، ولكن مطالبته بولاية خراسان أظهرت له أشياء كثيرة كانت خافية عليه، فقد علم أنه بعد أن أعان على قتل قيبة بن مسلم أحكم سيطرته على أرض خراسان تسعة أشهر أو عشرة [3] يولي فيها ويجبي ويعزل، كما بلغه أيضاً أنه كان يعاقر الخمر بشراهة، حتى أنه خطب ذات يوم فلم يدر ما يقول فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

شربت خميرة فسكرت منها ... فمال السرج وانقطع اللجام

كما علم أنه رجل أهوج ترفعه الفتنة وتضعه الجماعة، وفيه من الجفوة الشيء الكثير، ثم إن شجاعته تطغى على عقله[4]، وتبين له عنه أنه يحب الغدر والخديعة وإثارة الفتن[5].لذا أعرض عن ولايته. ثم إن تفضيل سليمان بن عبد الملك وعبد الله بن الأهتم ليزيد بن المهلب لم

(١) نسبة إلى كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .. (السيوطي: لبّ الألباب في تحرير الأنساب ٢/ ٢١٨).
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٢٦.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٧٧.
(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٧٤ - ٢٧٩.
(٥) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٣/٢٠ - ٢١.

يكن من فراغ ! فقد كان له ما يبرره، فيزيد عاش في خراسان مع أبيه وأخوته، وعرف مسالكها وطبائع أهلها[1]، وإن عودة يزيد لولاية خراسان مرة أخرى في عهد سليمان بن عبد الملك فيه إشارة واضحة إلى نزاهته مما رمي به من احتوائه بعض الأموال.

لكن ماذا عن موقف وكيع بن أبي سود من ولاية يزيد على خراسان؟

بات من المعروف أن وكيعاً كان كارهاً لولاية يزيد، فقد كان يريدها لنفسه، وحينما صارت إلى غيره بدأ في إثارة الفتن والقلاقل في وجهه وأمام أسرته.

فحين قدم مخلد بن يزيد بلاد مرو مشى الناس بين يديه إلاّ وكيعاً ورجلين آخرين[2]، فقد كانوا كارهين لاستقباله، مما دفع مخلد بن يزيد إلى القبض على عمال وكيع وحبسهم قبل قدوم أبيه إلى مرو[3].

ولم يقتصر وكيع على هذه الكراهية فحسب، بل تعداها إلى إساءة المعاملة لشخص يزيد بن المهلب، فقد كتب له كتاباً ذكر فيه اسمه قبل اسم يزيد، وهدّده فيه حيث قال: ((أما بعد يايزيد فإن أعطيتني ما أريد وإلا فعلت وفعلت)).

قدم يزيد مرو وخرج الناس لاستقباله، وخرج وكيع معهم، ثم جلس إلى جانبه فأخذ يمّن عليه، ويعدد جهوده التي بذلها في غيابه، ويدعى

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٧٩/٧.

(٢) هما: محمد بن حمران السعدي، وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨١/٧).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٢/٤، ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٧/٩.

أنه قد مهد الطريق له ولأسرته[١]. وحين استعرض يزيد أعمال وكيع ودوره البارز في قتل قتيبة بن مسلم، ورأى زيادة سلطته في خراسان، خشي أن يثير فتنة كبيرة، خاصة وأنه من تميم - التي تملك من القوة عشرة آلاف - وبالتالي ستنضم إليه في تلك الحالة، لذا رأى أنه لابد من حبسه وحبس عماله وحاشيته[٢] حتى لا تتاح لهم فرصة التآمر عليه، وقطع الطريق من بدايته، فقال عبد الله بن همام السلولي:

خذ العفو واصفح يايزيد فإنني ... رأيت ثواب الله خيراً وأفضلاً
ولا تسمعن قول الوشاة فإنهم ... يودّون لو يسقى الزعاف المثملا
خف الله في قومٍ تووا منذ خفتهم ... يرجون عدلاً من لدنك مؤملا
وأنت ثمال يايزيد فلا تكن ... عليهم عذابًا بالبلاء موكلا[٣]

وهكذا تخلصّ يزيد من أول العقبات التي كان يخشاها في تلك البلاد. يذكر أحد المستشرقين[٤] أن يزيد بن المهلب بعد رجوعه إلى ولاية خراسان مرة أخرى حرص على التخلص أولاً من عمال قتيبة بن مسلم، فأبعدهم عن مناصبهم، وصادر أملاكهم، وزّج بهم في السجون، وظلم أهل خراسان، حتى أنه لم يجرؤ أحد طوال مدة حكم سليمان بن عبد الملك على التعرض لما يرتكبه من مظالم.

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨١/٧ - ٢٨٢.
(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢٩٦/٢.
(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨٢/٧.
(٤) آرمينوس فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور ص ٧٤، ٧٥.

وما يمكن أن نوضحه في هذا الخصوص أن يزيد بن المهلب حين قدم خراسان وجد بعض عمال قتيبة بن مسلم غير راضين عن ولايته لاعتقادهم أنه وراء قتل قتيبة، فأظهروا له العصيان وعدم الطاعة، فأبعد هؤلاء عن مناصبهم حتى لا تحدث فتنة هو في غنى عنها.

أما ما ذكر عن ظلمه لأهل خراسان، فليس له دليل من الصحة، فالمعروف أنهم استبشروا جميعاً بعودته إلى الولاية مرة أخرى، وعبّروا عن هذا بكثير من القصائد [(١)] ومنها قول الفرزدق:

فلأمدحن بني المهلب مدحة ... غــرّاء قاهــرة على الأشعــار
مثل النجوم أمامها قمراؤها ... تجلو العمى وتضيء ليل الساري
وإذا الرجال رأوا يزيد رأتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار
أيزيد إنك للمهلــب أدركــت ... كفاّك خير خلائـق الأخيــار[(٢)]

ثم إن الظلم الذي ذكره فامبري يتعارض مع حركة الفتح التي وقعت في بلاد جرجان وطبرستان عقب ولايته بعام، فلو كان ما قيل صحيح لما لبّى أهل خراسان نداء يزيد. وساروا معه عشرات الآلاف، وحققوا معه هذه الفتوحات الباهرة.

وهل يعقل أن يعرف الخليفة سليمان بهذا الظلم ويتغاضى عنه، وحتى لو افترضنا أنه كانت له منزلة خاصة في نفس سليمان، فهذا لا يعني أن يعطي نفسه الحق في السكوت عن مثل هذه التصرفات.

---

(١) انظر في مدح يزيد بن المهلب: الأصفهاني: الأغاني (٢٥٧/١٤ - ٢٦٠، ٢٢٢/١٦ - ٢٢٦، ٣٤٨/٢١، ٢٦/٢٢).

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٣٤٨/٢١.

كذلك لم نسمع عن القبائل التي كانت تقطن في تلك البقعة من تميم وغيرها[1] أنها ضاقت ذرعاً بولاية يزيد، وهذا يدل على أنه كان مقبولاً لديهم ويسمعون له ويطيعونه.

(١) سكنت تلك البلاد عدة قبائل منها: بكر، تميم، عبد القيس، الأزد (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥١١).

غزو يزيد الترك وفتح جرجان الأول سنة ٩٨ هـ / ٧١٦م

دوافع الفتح:

كان يزيد بن المهلب كغيره من القادة المسلمين يهمة جداً أن يقدم خدمات عظيمة للإسلام والمسلمين، فقد وضع هذا القائد نصب عينيه فتح بلاد جرجان[١] لأسباب لعل من أهمها:

أنها لم تكن يومئذ مدينة بل كانت مجموعة جبال تحيط بها أبواب يقوم عليها رجال[٢]، وتحول بين الناس وبين الطريق الرئيسي إلى خراسان[٣].

ولقد أعيت هذه المنطقة ملوك الأعاجم وفي مقدمتهم سابور ذو الأكتاف[٤]، وخسرو، وهرمز بن أنوشروان[٥] وقباذ بن فيروز[٦]، ولم

---

(١) سميت بذلك لأنه بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، ويمتد إقليم جرجان صوب بحر قزوين، وقد كان هذا الأقليم في الأزمنة الأولى قائماً بنفسه وإن كان مضافاً إلى خراسان، ولكن ما أحدثه الفتح المغولي من تغيير أدى إلى إلحاقه سياسياً بمازندران. وقد أغارت عليه جحافل المغول وخرّبته في المائة السابعة (الثالثة عشرة) (السهمي: تاريخ جرجان ص ٤، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٧).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٣٢٩/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٠٠/١، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ٢١/٣.

(٣) والواقع أن البلاد الجبلية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بحر الخزر كانت منطقة فاصلة بين الأرض الإسلامية قطعاً يضايق مواصلات الدولة (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٢/٣، فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية ص ٤٢٤).

(٤) سمي بذلك لأنه عم سائر العرب في منازلهم ومهاربهم بالوقائع المبيدة، وأكثر القتل فيهم، ونزع أكتاف خمسين ألفاً منهم (الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٥٢٠، فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب ص ٢٤٨).

(٥) ملك اثنتي عشرة سنة، أمه فاقم بنت خاقان ملك الترك. التفاصيل في: (المسعودي: مروج الذهب ٢٨٠/١ وما بعدها).

(٦) ملك قباذ بن فيروز إلى أن هلك ثلاثاً وأربعين سنة، وإليه تضاف المزدكية - لخروج مزدك الزنديق في أيامه ثم قتله أنوشروان في ملكه، التفاصيل في:(المسعودي: مروج الذهب ٢٧٣/١، ابن النديم: الفهرست ص ٤٠٦).

يقدروا عليها لحصانتها وكثرة أهلها.

صولحت هذه البلاد أكثر من مرة (من قبل الدولة الإسلامية) وتنقض العهد في كل مرة، فقد صالحها للمرة الأولى سويد بن مقرن [(١)]. في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ /٦٣٩ م حيث أعطى المسلمون في هذا الصلح[(٢)] أهل جرجان الأمان على أنفسهم وأموالهم، وشرائعهم، وألزمهم ببعض القيود منها: ضيافة المسلمين الذين ينزلون بهم، وإرشاد ابن السبيل ونصحه، وألا يسبّ أحدهم مسلماً ولا يضربه، وأن الجزية مفروضة على كل حالم بقدر استطاعته، وفي حالة قبولهم للإسلام فلهم مثل ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وكعادة الترك نقضوا هذا الصلح إلاّ أن سماحة الدين الإسلامي ويسره أتاحت لهم فرصة طلبه مرة أخرى من سعيد بن العاص[(٣)] -سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠م على مائتي ألف درهم[(٤)]، وهكذا استمر الترك في نقضهم للعهد مرة بعد الأخرى حتى رغب يزيد في تأديبهم! حتى لا ينقضوا عهدهم مع المسلمين مرة أخرى.

---

(١) سويد بن مقرن بن عائذ بن منجا، وينتهي نسبه إلى أدّ المزني، أخو النعمان بن مقرن، يكنى أبا عدي شارك في غزوات عديدة كانت له فيها مواقف حميدة (ابن الأثير: أسدالغابة في معرفة الصحابة ٣٨١/٢).

(٢) أورد النص كاملاً: الطبري: تاريخ الأمم ١٥٢/٤، السهمي: تاريخ جرجان ص ٥ ، محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص ٤٤٤.

(٣) سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص، ولد بالحبشة في هجرة أبيه اليها، كانت له من الجهود في خدمة الإسلام الشيء العظيم، فقد صالح أهل جرجان وغيرها واستشهد بمرج الصُّفَّر (ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦١٤/٢، ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابه ١٨٦/٣).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤ /٢٦٩ .

وكان يزيد بن المهلب متحمساً لغزو جرجان منذ أيام قتيبة بن مسلم - رحمه الله - حيث كان سليمان بن عبد الملك كلما جاءته أخبار جديدة عن فتوح قتيبة يقول لمن حضر من وزرائه "ألا ترون إلى فتوح قتيبة بأرض خراسان"!، فكان يرد عليه يزيد بن المهلب بقوله: "ياأمير المؤمنين ليست هذه بفتوح، أين قتيبة عن فتح جرجان الذي قد أعيت الملوك من قبل..." [1].

ولِمَا كان الترك مجاورين لجرجان، وخالطوهم ونزلوا بينهم، رأى بحكمته أن يبدأ أولاً بالإغارة عليهم بقصد تفريقهم وبث الرعب في نفوسهم، فقدَّمَ ابنه مخلدًا حتى صار إلى أحد حصونهم الحصينة[2] - وفيه خلق عظيم من الترك - فأخذ يورى إلى غيرهم وهو يقصدهم مكيدة منه لهم، حتى إذا بعد عنهم كرّ عليهم في أصحابه فقتل منهم من قتل، وبادر الباقون إلى مدينتهم [3] فدخلوها وتبعهم مخلد بن يزيد في عسكره، وسيطر على تلك المدينة وأخذ ما فيها من خيرات ومتاع، كما سبى من فيها، وكان منهم زوجة طرخان[4] ملك المدينة فأقبل بكل ذلك على أبيه يزيد بن المهلب [5]، الذي كان قد وصل إليها في فترة وجيزة.

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨٧/٧.

(٢) لم توضح المصادر اسمه.

(٣) مدينة للترك بجوار جرجان، لم تبين المصادر إسمها.

(٤) طرخان: اسم للرجل الشريف بلغة أهل خراسان، والجمع الطراخنة (ابن منظور: لسان العرب ٣٨/٣).

(٥) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨٣/٧.

بين يزيد وصول التركي:

وعقد يزيد العزم على التوجه إلى جرجان، إلا أنه بلغه - عن طريق عيونه - أن رجلاً اسمه صول[1] (تركيا) قد سيطر عليها، وجرجان مجاورة جداً للمكان الذي ينزل فيه - دهستان والبحيرة (وهما من جرجان مما يلي خوارزم)، ولابد أن صولاً علم أن مرزبان[2] جرجان (فيروز بن قول) ضعيف الرأي ولا يملك من القوة ما يجعله يدفع الخطر عن بلاده، لذلك أراد صول أن يستفيد من هذه الأرض خاصة وأنها قريبة منه، فليس بينه وبينها سوى خمسة وعشرين فرسخاً، فأخذ يغير على أطرافها ويصيب الكثير من خيراتها ومتاعها ونعمها، ثم يعود إلى مكانه في البحيرة[3] ودهستان[4].

وحين أذن الله تعالى - لهذه البلاد بالفرج حدث بين مرزبانها - فيروز بن قول - وبين ابن عم له يدعى (المرزُبان)[5] خصومة وخلاف شديد، اتجه على إثره الأخير إلى البياسان[6]، فخشي فيروز بن قول أن يكون قد ذهب ابن عمه (المرزُبان) ليحرض الترك عليه، ويظهر أن خوفه على مكانته بين أتباعه، وخشيته على تلك الخيرات التي تحويها

---

(١) للتعرف على شخصية هذا الرجل طالع (ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ٤٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٦/٦).

(٢) هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، معرّب (الزبيدي: تاج العروس ٩ /٣٤٤).

(٣) جزيرة في البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٣/٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٢/٣.

(٤) موضع يوجد على بعد ستة أيام أو خمسين فرسخاً من شمال أبسكون، وعلى أربع مراحل من جرجان وهي بالقرب من بحر قزوين (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢٠).

(٥) هكذا ورد إسمه في المصادر: وليس له من السلطة أي شيء يذكر.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٦/٦.

بلاده كل ذلك دفع به إلى الاستعانة بيزيد بن المهلب الذي كان آنذاك يهيئ نفسه لغزو جرجان.

وما إن ترك فيروز موقعه في جرجان حتى اتجه صول التركي مباشرة إليها، وفي هذه المرة وضع في الحسبان احتواء ما فيها والتنكيل بأهلها، وبعد دخوله إياها وسيطرته على ما فيها وإعاثته فيها فساداً، وقتله لكثير من أهلها، أصبحت بعد أيام من هذا التصرف لا تطاق بسبب الروائح الكريهة التي انبعثت منها نتيجة للجثث المتعفنة الملقاة في شوارعها [1] وكان طبعياً أن يُقدّم فيروز -اللاجيء إلى يزيد - وصفاً كاملا عن بلاده، وأخباره مع ابن عمه فيها، ويسهب في الحديث عن عدّوه صول الذي مازال يشكل خطراً على أرضه، وكان يزيد من الحكمة بمكان مما جعله يختصر المسافة عليه ويسأله عن أفضل طريقة يمكن من خلالها السيطرة على بلاده، فاقترح عليه فيروز مقاتلته في البحيرة.

وتذكر المصادر[2] أن هذه الخطة تكمن في أن يكتب يزيد إلى الإصبهبذ[3] كتاباً يغريه فيه بالأموال والهدايا - باعتباره عدواً له وللمسلمين - مقابل أن يُقنِع صول التركي - صديقه - بالإقامة في جرجان، وبما أن الإصبهبذ يقدّر صولاً ويحبّه سيرفض - بالتأكيد - تلك الإغراءات من يزيد، ويخبر صاحبه صول بمضمون الكتاب فيتحول صول مع أتباعه إلى البحيرة فيتوجه إليها يزيد والمسلمون ويقاتلونه فيها.

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨٧/٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٧/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٧/٤، ٣٠٨.

(٣) هو صاحب طبرستان، وقيل هو لقب أطلق على ملوك بلاد طبرستان، كما يسمى كذلك إصفهبد (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٠).

وبالفعل طبقت هذه الخطة، وأرسل بالكتاب إلى الإصبهبذ، وجاء فيه "إني أريد أن أغزو صولاً وهو بجرجان، فخفت إن بلغه ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها، فإن تحول إليها لم أقدر عليه: وهو يسمع منك، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال، فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان، فإن أقام بها ظفرت"[1].

وحين وصل الكتاب إلى الإصبهبذ سارع بإرساله إلى صديقه صول، ونصحه بأن يتحول إلى البحيرة ! حتى لا يفاجئه المسلمون في جرجان - وهذا يفيد أنه متعاون معه - فاتجه صول مع أتباعه في الحال إلى البحيرة، حاملين الأطعمة والخيرات معهم، إلاّ أنه كان على حذر شديد فقد بثّ عيونه لتراقب تحركات يزيد، يدل على ذلك تعجيله بمغادرة البحيرة والنزول في دهستان باعتبارها أكثر أمناً من غيرها.

وكانت المفاجأة الكبرى حين دخل يزيد وعسكره البحيرة ووجدوها خالية إلا من الجواليق[2]، فبدؤا بإحصاء ما فيها من الجواليق، وسمح يزيد لجنده بالحصول على ما يحتاجون إليه منها، مع تسجيل ما يحصل عليه كل جندي[3].

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٧/٦.

(٢) الجواليق هي الأوعية التي يحفظ فيها أنواع الغذاء والطعام يقول الشاعر:
ياحبذا ما في الجواليق السود من خشكنان وسويق مقنود(الزبيدي: تاج العروس ٣٠٦/٦).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٨/٤.

فتوحات يزيد سنة ٩٨ هـ / ٧١٦م

أولاً: فتح جرجان الأول:

يبدو أن أهل دهستان ومن لجأ إليهم ما إن بلغهم خبر سيطرة المسلمين على البحيرة حتى هجروها وساروا نحو جرجان للتحصن بها.

أصبح صول وعسكره في أرض جرجان بعد أن انتقلوا من مكان لآخر خوفاً على أنفسهم من يزيد وجيشه، وقام المسلمون بحصارهم بقوة قدرتها بعض المصادر بثلاثين ألفاً(١) واستمر حصار جرجان حوالي ستة أشهر(٢) ومع ذلك كان المحاصرون يخرجون من حصنهم، فيقاتلون ثم يعودون مرة أخرى، ومن صور البطولة والإيمان التي ظهرت في هذا اللقاء أن حمل محمد بن أبي سبرة على رجل تركي قد صدّ الناس عنه، فتضاربا حتى ثبّت التركي سيفه في بيضة ابن أبي سبرة، لكن الأخير قتله، فأقبل وسيفه في يده يقطر دماً، وسيف التركي في بيضته، فنظر الناس إلى أحسن منظر رأوه من فارس(٣).

وكلما قاتلهم المسلمون وهزموهم رجعوا إلى أوكارهم، فرغبوا -الترك - في الصلح، وقيل: إن الذي دعاهم إلى ذلك أنه أصابهم داء يسمى السواد - الحمى السوداء -، فوقع فيهم الموت(٤) لكن الذي يظهر

---

(١) تاريخ ابن خياط: ص ٣١٤، وعلى هذا الرأي الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ٣/٣٢٩، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٣/٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٣٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٠٥، ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٨٣.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٣٧.

لنا هو أن هؤلاء الترك أحسّوا بضعفهم لكثرة الهزائم التي لاحقتهم، كما أنهم وجدوا أنهم غير قادرين على مجابهة المسلمين في ميدان مكشوف، وهذا واضح من طول فترة الحصار - ستة شهور -.

ويبدو أن صولاً كان رجلاً حكيماً وأنانيا في نفس الوقت. فقد استقر بعد تفكير طويل على طلب الصلح لنفسه وأهله وماله، مقابل أن يسلم المدينة وما فيها للمسلمين [1]، فقبل يزيد بن المهلب ذلك وصالحه، ثم دخل المدينة، واستولى على ما فيها من أموال وكنوز وسبي عظيم المقدار [2]، ثم أعاد مرزبانها - فيروز بن قول - إلى حكمه مرة أخرى.

وكان من بين ما أصاب المسلمون في جرجان تاجاً فيه جواهر، فأعطاه يزيد بن المهلب محمد بن واسع الأزدي، فرفضه ولكنه أصرّ على أن يأخذه، فأخذه ولقي سائلاً فدفعه إليه، فجاءبه السائل إلى يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج وعوّض السائل مالاً كثيراً [3].

وترتب على فتح جرجان نتائج أهمها:

- انهيار مكانة صول التركي بين أتباعه، حيث أصبح في نظرهم رجلاً أنانياً محباً لنفسه وأهله وماله، وترتب على ذلك مغادرته ذلك المكان إلى جهة غير معروفة لخوفه من قوة المسلمين.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٤/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٩/٥، ابن الجوزي: المنتظم ٢٧/٧، محمد دروزه: تاريخ الجنس العربي ٢٦٣/٧، وهناك رواية قريبة من رواية الطبري: انه صالحه على أن يؤمنه على نفسه وماله وثلثمائة من أهل بيته، ويدفع إليه المدينة بما فيها (البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٦، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٢/٣).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٢٧/٧، محمد دروزه: تاريخ الجنس العربي ٢٦٣/٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٨/٤، ابن الجوزي: المنتظم ٢٨/٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٨٣/٩.

- عودة ولاية جرجان إلى صاحبها فيروز بن قول الذي كان ضعيفاً في شخصيته. والدليل على ذلك لجوؤه إلى يزيد بن المهلب ليخلّص له حقه ومكانه الطبعي.
- انضمام بعض الأتراك في بلاد جرجان إلى صفوف المسلمين بعد أن مّن الله عليهم بالدخول في الإسلام، فزاد عدد المسلمين المقاتلين أمام عدوهم، وبناءً عليه تضاعف حماسهم - أي المسلمين -
- انفتاح الطريق للمسلمين لبلاد طبرستان، إذ كانت جرجان على الطريق المؤدي إليها.
- الخوف والهلع الذي أصاب الإصبهبذ - صاحب طبرستان - الذي ما إن سمع بهذا التقدم والانتصار للمسلمين حتى فكرّ في الهرب عن بلاده.

ثانيا: فتح طبرستان[١]:

كان قد تم فتح طبرستان - أيضا - على يد القائد سويد بن مقّرن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ/٦٣٩م، وكان قد كتب لحاكمها كتاباً جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من سويد بن مقرّن للفرّخان إصبهبذ خراسان على طبرستان، وجبل جيلان من أهل العدو، إنك آمن بأمان الله عزّ وجل على أن تكفّ لصوصك

---

(١) طبر: في لغة تلك البلاد يعني الجبل، فطبرستان تعني بلاد الجبل، وظلت هذه التسمية حتى زمن الفتوحات المغولية وبعدها أصبحت باسم مازندران. التفاصيل في (كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٩).

وأهل حواشي أرضك، ولا تؤدي لنا بغيّة، وتتقّي من ولّي خرج أرضك بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك،فإذا فعلت ذلك، فليس لأحدٍ منا أن يغير عليك، ولا يتطرق أرضك ولا يدخل عليك إلا باذنك، سبيلنا عليكم بالإذن آمنة، وكذلك سبيلكم، ولا تؤون لنا بغيّة، ولا تسلّون لنا إلى عدو، ولا تغلّون، فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم..»[1]

ولكن في العصر الأموي استجدت أمور دفعت يزيد بن المهلب إلى التفكير في فتحها، وفي مقدمتها:

١ - أن أهل طبرستان نقضوا عهدهم، وأهملوا تطبيق ما جاء فيه من بنود.

٢ - الانتصارات التي أحرزها يزيد على أهالي جرجان والتي كانت عاملاً مشجعاً على مواصلة إخضاع بقية البلاد المجاورة لها.

٣ - تشكل طبرستان الجبال الممتدة في حذاء الساحل الجنوبي لبحر قزوين، مما في شرق قومس وشمالها (وتسمى اليوم بجبال البرز). وهذا في حدّ ذاته يشكل خطراً عظيماً على القوات الإسلامية التي تتحرك في معظم أنحاء هذه المنطقة حيث تصبح ملجأً للفارين والناقمين عليهم، فإخضاعها لسلطة الدولة الإسلامية ضرورة أمنية وعسكرية.

٤ - التخلص من الإصبهبذ الذي يسير على طريق صول التركي، فلقد تبين لنا سلفا أنه كان يناصح المذكور في كل شيء ويخبره بأسراره[2].

(١) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص ٤٤٥.

(٢) تقدم أنه بيّن له أخباراً عكس ما ورد له في الخطاب.

هذه هي الدوافع الرئيسة لفتح طبرستان، ونستبعد تماما ما ذكره فلهوزن[1] من تأكيده على أن يزيد رغب في فتحها عنوة ! لأن ذلك يعطيه غنائم أكثر؛ فالمسلمون لم يكونوا لينطلقوا يوماً من الأيام من بلادهم بهدف جمع المال أو عمليات السلب على شاكلة الاستعمار في العصر الحديث، لأنهم أصبحوا خلال هذه الفترة في سعة من العيش، وأصبحت بلادهم مليئة بجميع أنواع المحاصيل الزراعية، التي تعدّ عماد الحياة، فليس هناك ما يدعوهم أصلاً إلى البحث عنها في بلاد أخرى، فالغاية من فتوحاتهم: نشر الدين الإسلامي وإعلانه في جميع بقاع الأرض، وإزالة العقبات التي تعترضه استكمالاً للطريق الذي بدأه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وأعقبه في ذلك خلفاؤه الراشدون وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) تاريخ الدولة العربية: ص ٤٢٥.

تقدم المسلمين إلى طبرستان:

ولما كانت الأرض المؤدية إلى طبرستان مليئة بالشجر المتشابك الأغصان حرص يزيد بن المهلب قبل اتجاهه إليها على أن يصحب معه عمالاً من أجل قطعها وإصلاح الطريق المؤدي إليها، وتمّ هذا فعلاً، حتى أنه لما نزل على صاحبها (الإصبهبذ) أسقط في يده، فطلب مصالحة المسلمين على ما كان يؤديه للمسلمين في السابق (خمسمائة ألف درهم) إلا أن يزيد كان مقتنعاً من أن عدوه غير صادق في طلب الصلح، كما أنه خشي أن يكون طلب الصلح استهلاكاً للوقت حتى تتاح له فرصة الاستعداد بجيش قوي يقاتل به المسلمين، وهو الذي يظهر بعد ذلك من استعانته بأهل جيلان[(١)] وأهل الديلم[(٢)]، وهذا دليل على أنه لا يملك القوة الكافية لمواجهة المسلمين، لذا رفض يزيد الصلح وأصرّ على فتحها[(٣)]، ولما أدرك الإصبهبذ أن المسلمين كشفوا نواياه الخبيثة فكرّ في الهروب إلى بلاد الديلم، فنصحه ابنه بألا يقدم على ذلك، وقال له: "كيف ترضى لنفسك أن تتحول من ملك تهابك الناس وتتّقيك وتنظر إليك بعين الجلالة إلى رجل طريد مطلوب، ثم إن يزيد تصدى له من ليس مثلك ولا فوقك".

---

(١) تمثل سكان البقاع الساحلية لبحر الخزر المواجهة لشرق أذربيجان (كي لسترنج: بلدان الخلافة ص ٢٠٧).

(٢) جيل سموا بأرضهم، وهم في جبال قرب جيلان (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ٢/ ٥٨١).

(٣) ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣١٥، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٢/٣، زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية ١٦٤/١.

كما حذره من الفرار إلى الديلم لئلا يؤخذ أسيراً ويسلم إلى يزيد ابن المهلب[1]، فرجع عن رأيه وبدأالاستعداد الجادّ لمواجهة المسلمين، وكان أن حاول الاستعانة بأطراف أخرى تقف إلى جانبه، لأنه سيقابل المسلمين الذين دوّى صيتهم في الآفاق، وعلم الناس بانتصاراتهم المتكررة، ثم إن قواته قليلة جداً، وبحاجة إلى دعم قويّ لذا لجأ إلى أهل الديلم[2] وقيل إلى أهل جيلان[3]، فأمدوه بعشرة آلاف أو يزيدون.

أما يزيد، فقد أخذ في الاستعداد للدخول في حرب فاصلة، وقسم جيشه إلى ثلاث مجموعات، الأولى: مع أخيه أبي عيينة، والثانية مع ابنه خالد، والثالثة مع أبي الجهم الكلبي[4]، وأوصاهم إذا اجتمعوا أن تكون القيادة لأبي عيينة[5].

فسار أبو عيينة وأقام يزيد معسكراً بالقرب من طبرستان. والتقى الطرفان في سفح الجبل - جبل روبنج - وانهزم أهل طبرستان مع قائدهم سليمان الديلمي هزيمة منكرة، ثم فرّوا إلى رؤوس الجبال، فتبعهم المسلمون على ذلك، فرماهم العدو بالنشاب والحجارة، فرجعت الهزيمة عكسية على المسلمين، حيث ركب بعضهم بعضاً يتساقطون من الجبل، حتى انتهوا إلى عسكر يزيد، وكفّ العدوّ عنهم[6].

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٨٩/٧ - ٢٩٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٤/٦.

(٣) وقيل لجأ إلى الطرفين (أهل جيلان والديلم). (ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣١٥).

(٤) وقيل إنه دعا بخداش بن المغيرة بن المهلب مع رجل آخر، فضمّ إليهما عشرين ألفاً، ووجه بهم إلى أصحابه معونة لهم (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٠/٧).

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٤/٦ - ٥٣٥، زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية ١٦٤/١، وذكر أنه وجه بابنه خالد وأخاه أبا عيينة بن المهلب - فقط - انظر (البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٢).

(٦) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٣/٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٢/٣، محمد دروزة: تاريخ الجنس العربي ٢٦٤/٧.

فاجعة البياسان:

كان المتوقع أن يتابع أهل طبرستان سيرهم خلف جند يزيد، لكن اللّه تعالى قذف في قلوبهم الرعب، فخاف الإصبهبذ من انتقام المسلمين والتفافهم على بلاده، إلاّ أن نشوة الانتصار دفعت به إلى التفكير العاجل في إلحاق الهزائم بالمسلمين، ولما كان الإصبهبذ على درجة من المكر والدهاء أخذ يدبر للايقاع بالمسلمين في أي مكان، فأغواه شيطانه إلى قتل المسلمين المقيمين آنذاك في البياسان[1]، فقد علم أن المرزبان الذي خاصم ابن عمه فيروز بن قول ولجأ إلى البياسان قد نقم على يزيد وأصحابه،لأنهم ناصروا ابن عمه عليه، ثم أعادوا المذكور إلى حكم جرجان، كما بلغه أن أربعة الآف من المسلمين كان قد خلّفهم يزيد بن المهلب في البياسان مع صاحبهم عبد اللّه بن معمر اليشكري لحراستها فأراد الإصبهبذ قتل هؤلاء بيد المرزبان، الذي كان يترقب الفرصة الملائمة للنيل من المسلمين والانتقام منهم للأسباب المذكورة سلفاً.

احتال الإصبهبذ على صاحبه المرزبان، وأرسل إليه كتاباً يقول فيه: ((إننا قتلنا يزيد وأصحابه، فاقتلوا أنتم من عندكم كذلك من المسلمين الذين خلّفهم يزيد بن المهلب مع عبد اللّه بن المعمر اليشكري في البياسان))[2].

---

(١) لم يرد لهذه المدينة ذكرٌ في المعاجم الجغرافية إلاّ أن الطبري حددّ مكانها في أقصى بلاد جرجان (تاريخ الأمم ٥٤٠/٦) ويظهر أنها مدينة مهمة جداً بالنسبة لجرجان، مما دفع بيزيد أن يجعل فيها تلك القوات الإسلامية لحراستها.

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٠/٧ - ٢٩١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٣/٣، محمد دروزه: تاريخ الجنس العربي ٢٦٤/٧.

ولم يكن لهذا المرزبان - المخدوع - أن يتريث في الأمر ويتأكد من صحة الخبر، لعلمه - فعلاً - بهزيمة المسلمين من قبل الإصبهبذ ولثقته الكبيرة فيه، لذا اتجه المرزبان إليهم مباشرة ووكل بهم من أتباعه - من يقومون بقتلهم والتخلص منهم حيث قتلوا من قدروا عليه ممن خلفهم يزيد [1] وقيل: بل قتلوا جميعاً فلم ينج منهم أحد [2]، وكان ممن قتل خمسون رجلاً من أبناء عمّ يزيد بن المهلب[3].

وأرسل المرزُبان إلى الإصبهبذ يبشره بما فعله وجنده كذلك - بالمسلمين وينصحه بإغلاق المضايق والطرق على من بقي من المسلمين حتى لا يعودوا مرة ثانية إلى هذه المناطق [4].

هكذا أصيب المسلمون بفاجعة كبيرة بسبب من قتل منهم، بينما اجتمع بقيتهم ممن في البياسان - وتحصنوا في أحد جهاتها انتظاراً لمقدم يزيد والمسلمين لإنقاذهم[5]، ومن المؤكد أن المرزبان لو كان يعلم بعدم صحة الأخبار المنقولة إليه من صاحبه الإصبهبذ لما فكرّ في الإقدام على ارتكاب هذا العمل مهما كان حجم كراهيته للمسلمين، لأنه يعلم أنهم لن يتركوه.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٣٥.

(٢) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٣/٢٢ ، ٢٣.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٤٠.

(٤) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٧٣.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٣٥.

سياسة الفتح:

بات يزيد بن المهلب في موقف لا يحسد عليه، فقد اجتمعت عليه فاجعة المسلمين بالبياسان، وسيطرة العدو على الطرق والمضايق، فلم يكن أمامه إلاّ أن يفكرّ أولاً في إنقاذ البقية الباقية من جنده في البياسان، وعلم أن ذلك لن يتم بدون مصالحة العدو، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟.

لجأ يزيد إلى رجل له خبرة ودراية بمثل هذه الأمور - وهو عبد الله ابن الحارث العجرمي - وكان هذا كاتباً ليزيد بن المهلب إلاّ أن يزيدَ غضب عليه قبل ذلك، واستعفاه ثم رضي عنه، وعرض عليه أن يذهب إلى المرزُبان ليطلب الصلح منه فرفض[1].

وهنا ضاقت السبل بالمسلمين واشتد الكرب بهم، لكن الله تعالى دائماً رؤوف رحيم بعباده، وجاعل لمن اتقاه من كل ضيق فرجاً، ومن كل عسر يسراً، قال تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾[2] وقال ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[3].

فقد بعث إليهم من يكشف عنهم تلك الغمّة، ويزيح عنهم ذلك الكرب فهيأ لهم رجلاً من الترك اسمه حيان النبطي، وكان قد دخل الإسلام متأخراً، وهو معروف بحكمته وتدبيره إلاّ أنه حدث بينه وبين يزيد قبل

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩١/٧.

(٢) سورة الطلاق: آية ٢.

(٣) سورة الشرح: آية ٥، ٦.

هذا الوقت خلاف دفع بيزيد إلى أن يقوم بتغريمه وأخذ ماله، ثم عفا عنه وجعله من رؤساء الجند، وما إن عرض عليه يزيد المشكلة التي يعيشها المسلمون ذلك الحين حتى أبدى موافقته واستعداده لمساعدتهم [1].

سار حيان النبطي إلى الإصبهبذ الذي كان السبب الأول والأخير في فاجعة المسلمين بالبياسان ورتّب خطّه ينتهي منها إلى أن يقوم الإصبهبذ - وهو المنتصر - بطلب الصلح من يزيد بن المهلب - وهو المهزوم - وجاءت على النحو التالي:

- أظهر للإصبهبذ ودّه ومحبته وذكر له أنه بالنسبة له أحبّ إليه من يزيد بن المهلب، حتى بعد دخوله الإسلام.
- طلب أن يسمع نصيحته، وبين له أنه ما جاء إلا للإصلاح بينه وبين المسلمين.
- نصحه بألا يأخذه الغرور من النصر الأخير الذي أحرزه على المسلمين.
- حذرّه قوة الجيوش الأموية وأن مدداً جديداً قادم للمسلمين في الطريق.
- وأوضح له أن يزيد بن المهلب لديه الاستعداد الكامل لقبول الصلح الآن، لكن إذا قدم المدد من الشام، فلن يقبل حينذاك بالصلح.
- حثّه على التعجيل بطلب الصلح من يزيد حتى ينصرف عن أرضه إلى بلاد جرجان، ليقوم بقتل من غدروا بالمسلمين، فيتخلص هو بالتالي منهم.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٤٠، زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية ١/١٦٥.

• وأخيراً رغّبهُ في المال وقال له: إن كنت بحاجة إلى المال، أعنتك بما تريد منه[1].

وبعد مشاورات ومناقشات بين الإصبهبذ وحيّان اقتنع الإصبهبذ بما عرضه عليه حيّان ووافق على طلب الصلح من يزيد، مع أن العكس هو الوارد في مثل هذه الأحوال، وهكذا هيأ الله تعالى ليزيد من يخرجه من هذا المأزق الخطير الذي تعرض له.

وكان الصلح على أن يدفع الإصبهبذ ليزيد جزية مقدارها سبعمائة ألف درهم[2]، وأربعمائة حمل بغل أو حمار من الزعفران، أو قيمته من العين، وأربعمائه رجل على كل رجل قلنسوة طويلة (البرنس) وكساء فارسي معروف (بالطيلسان) وكسوة كاملة، ومجموعة ثياب منسوجة من الصوف والابريسم (الخز)[3][4].

وقيل[5]: رجع حيان بعد ذلك، وأخبر يزيد بما حدث بينه وبين الإصبهبذ، ثم طلب منه أن يوجه معه من يحمل صلحهم الذي صالحهم عليه، وقيل[6]: وهو الأقرب للصحة أن حيّان لم يفارق الإصبهبذ حتى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٠/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩١/٧- ٢٩٢، واختصره البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٢.

(٢) وتعادل: خمسمائة ألف دينار (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٠٢/١، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٣/٣).

(٣) ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣١٠، الطبري: تاريخ الأمم ٥٤١/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٧/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٣/٣، محمد دروزه: تاريخ الجنس العربي ٢٦٤/٧،

(٤) انظر التعريف في: (ابن منظور: لسان العرب ٢٨٩/٥، ٣٤٥ - ٢٦/٦، ١٢٥ - الزبيدي: تاج العروس ١٠٨/٤ - ٢٣٣/٨.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٥٤١/٦، زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية ١٦٥/١.

(٦) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٣/٧.

قبض ذلك الصلح منه وأتى به إلى يزيد، خاصة وأن حيّان يعلم أن الإصبهبذ رجل غير مؤتمن، ولا يؤخذ بظاهر كلامه، وربمّا حاول الغدر بالمسلمين مرة أخرى.

وهكذا جاءت جميع شروط الصلح في صالح المسلمين، في حين لم نلحظ شرطاً واحداً للإصبهبذ وأهل طبرستان، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الإصبهبذ طالب بالأمان له ولأهل بيته - على الأقل - فقبل يزيد ذلك.

وأكرم الإصبهبذ حيان نظراً لجهوده المثمرة في الإصلاح بين الطرفين بثلاثمائة ألف درهم [1].

الجدير بالذكر أنه ترتب على هذا الصلح الطريق ليزيد لتخليص المسلمين المحتجزين في تلك البلاد، بعدما ظلوا متحصنين مدة تقارب شهراً أو يزيد عن ذلك، وهذا يعني أنه سينضم إلى المسلمين عددٌ آخر يقاتل في صفوفهم.

كما ترتب على ذلك إعطاء يزيد الفرصة للتقدم نحو جرجان وغيرها بعد أن كان همّه الوحيد، الخروج من المأزق الذي اضطر هو والمسلمون إليه.

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٣/٧.

ثالثا: فتح جرجان الثاني:

أ) يزيد والتمهيد لفتح جرجان:

قد لا نعجب كثيراً إذا رأينا هذا القائد وقد اعترضت طريقه - أثناء فتحه الثاني لبلاد جرجان - مشاكل عديدة كادت تذهب بحياته وحياة من معه، ولا ننسى في هذا الصدد أنها أعيت قبل ذلك ملوك الأعاجم؛ لحصانتها وكثرة أهلها.

وبتتبع تحركات يزيد نجده بدأ يسرع الخطى لإعادة تنظيم صفوفه من جديد، ولتلافي الوقوع في مشاكل أعظم من سابقتها، فقد أيقن أنه يجب عليه قبل الوصول إلى جرجان أن يتابع حلّ القضايا التالية:

أولا: الجيش الذي أشرف يزيد على قيادته، وهذا كما علمنا أغلقت عليه المضايق والطرق من قبل الإصبهبذ ولكن انتهى هذا الخطر بتفريق وتشتيت الأعداء الذين أخذوا عليهم تلك الجهات، عن طريق حيّان النبطي الذي كان وراء إقناع الإصبهبذ بالصلح مع المسلمين.

ثانيا: قضية الهمّ الجديد الذي كان جاثماً على صدر يزيد بن المهلب منذ أن بلغه نبأ فاجعة المسلمين بالبياسان، حيث إن المسلمين الذين فرّوا من وجه المرزبان والقتل المحقق وتحصنوا في أحد جهات جرجان، مازالوا محاصرين وينتظرون قدوم يزيد؛ لتخليصهم.

ثالثا: المرزبان الذي ما إن بلغه قدوم يزيد بن المهلب مع أصحابه حتى فرّ هارباً من جرجان وسار مع أتباعه إلى قلعة في أحد الجبال وتحصن بها، ومن المؤكد أن اختياره لذلك المكان لم يأت من فراغ،

فالطريق المؤدي إليها قد امتلأ بالأشجار الكثيفة وهذا يعني أنها حجر عثرة لكل من يريد القلعة، ثم إن المدخل الخاص بالقلعة مدخل واحد فقط وضيّق ومجهول في نفس الوقت، إذ لا يعرفه إلا مَن كان مِن سكان تلك الجهات ويعرفها معرفة كاملة، فضلاً عن أن من يأوي إليها لن يحتاج أبداً إلى طعام أو شراب من الخارج فقد حُفت هذه القلعة بالأشجار المثمرة والأنهار الجارية، وهذا يطيل فترة الحصار.

ومما يجب التأكيد عليه في هذا الخصوص أن يزيد بن المهلب قد جعل جهوده السابقة واللاحقة خالصة لوجه الله تعالى، فلم يكن لينطلق لأجل دنيا يصيبها أو مركز يصل إليه، أو شهرة يبتغيبها أو شجاعة وحمية[1]، وإنما كان قصده رفع راية التوحيد خفاقة في هذه البلاد، ونشر الدين الإسلامي فيها وإخراج سكانها من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى.

لذلك هيأ الله له أسباب التوفيق والنجاح، وسخر له أناساً يقومون بخدمته، وكان حيّان النبطي واحداً من هؤلاء، حيث استطاع أن يخدع الإصبهبذ بسياسته الحكيمة، ويعقد الصلح بينه وبين المسلمين فخرج المسلمون من ذلك المأزق الذي وضعوا فيه، مما جعلهم يتنفسون الصعداء بعده ويباشرون حلّ قضاياهم بأنفسهم.

وكان على يزيد بعد ذلك أن يعدّ العدّة لإنقاذ أصحابه المتحصنين في بعض نواحي البياسان، ففاجعة المسلمين أحدثت شرخاً عظيما في نفوس

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٦.

إخوانهم الآخرين، وخاصة قائدهم يزيد باعتباره المسؤول المباشر عنهم في تلك البلاد النائية، وقد أعطى يزيد هؤلاء الأولوية وقدّمهم على فتح جرجان؛ لأمرين:

أحدهما: حتى لا يكون مصيرهم كبقية إخوانهم الآخرين ممن قتل صبراً. والآخر: بهدف ضمّهم إلى صفوفه والسير معه جنباً إلى جنب في قتال أعدائه.

ولقد كتب الله تعالى التوفيق ليزيد ووصل إلى المسلمين المحاصرين بالبياسان، ففرّ الترك من وجهه حين سمعوا بقدومه وأنقذ المسلمين، وكانت فرحتهم غامرة، فقد استبشروا بقدوم إخوانهم، وشكروا الله على ما أنعم به عليهم جميعاً، وعدّوا ما حصل لهم هو اختبار من الله تبارك وتعالى ليعلم الصابرين الصادقين من غيرهم.

أما بالنسبة للمرزُبان (ابن عم فيروز بن قول)، فقد كان للمسلمين الذين خلّفهم يزيد أثر إيجابي كبير في القضاء على خطره، حيث أمدّوا يزيد بمعلومات هامة عنه وعن أصحابه الفارين من وجه يزيد وبلّغوه بأنهم اتجهوا صوب أحد القلاع الجبلية وتحصنوا فيها.

وعلى ضوء هذه المعلومات تقدم يزيد وجيشه نحو المنطقة التي تقع في وسطها القلعة، وحطّوا رحالهم، وأقاموا حوالي سبعة أشهر محاصرين لها - كما أفادت بذلك المصادر -[1].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٢، الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٢/٦، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٣/٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٢٣/٣.

وبعد أن ملّ المسلمون طول الحصار، ولم ينالوا من عدوهم شيئاً يذكر، سخر الله تعالى أسباب النصر لهم على يد رجل من المسلمين العرب ويدعى الهياج بن عبد الرحمن الأزدي.

وهناك رواية لطيفة تتعلق بهذا الرجل وتُبيّن كيف وقع على الطريق المؤدي إلى القلعة، فتقول: إنه خرج للصيد ومعه كلب فرأى وعلاً أو ظبية يتوغل في الجبل، فتبعه وكان معه جماعة من الجند، فطلب منهم أن ينتظروه حتى يرجع إليهم، ثم سار وراء تلك الظبية حتى وقع على المدخل السّري لتلك القلعة، فعاد مسرعاً إلى يزيد ليخبره بذلك[(١)]، وفي طريق عودته خرّق ما عليه من ثياب وجعلها على الشجر لتكون علامات يستدل بها المسلمون أثناء زحفهم على عدوهم[(٢)]..

هذا ولا نستبعد أيضا أن تكون هناك مجموعة ممن تحصّنت في هذه القلعة، سئمت حياة الأسر مع المرزُبان، وفضلت حياة الحرية مع غيره، فخرجت بغير علمه، والتقت بيزيد، ودّلته على الطريق المؤدي إلى هذه القلعة مقابل أن تعطى الأمان على نفسها.

وعلى ضوء المعلومات التي قدمت ليزيد - وسرّ بها جداً - بدأ الاستعداد لفتح هذه القلعة.

فانتقى من جنده ألفاً وأربعمائة وسيّرهم مع الهيّاج، ولكنه أوضح ليزيد أن الطريق ضيّق وحوله شجر ملتف ولا يسعهم جميعاً، والأولى

---

(١) انظر تفاصيل دخوله على يزيد ومادار بينهما من حديث في (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٠٩.

الاكتفاء بثلاثمائة فقط، فوافق يزيد وتقدم هذا العدد بقيادة خالد بن يزيد بن المهلب، وقال له أبوه: "إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت، وإياك أن أراك عندي منهزماً "[1] وضمّ إليه جهم بن زحر.

وكان يزيد من الذكاء بمكان مما جعله يضع في اعتباره عدة أمور منها:

- كثرة عدد العدو وعدتهم، وأنهم ربما يهاجمون المسلمين عن طريق جماعات متفرقة وربّما يكون ذلك من عدة جهات، فاعتمد وضع الخطّة على النحوالتالي:
- أن يعمل أولاً على بثّ الرعب والخوف في قلوبهم عن طريق نيران يضرمها المسلمون حول القلعة نفسها، حتى إذا رآها العدو أصابه الهلع والفزع، وفي نفس الوقت تنبئ عن كثرة عدد المسلمين..
- ثم يتجه بعدها يزيد على رأس جماعة أخرى من المسلمين خلف هذه القلعة ويقاتل أهلها عند الظهر، فيضطر العدو إلى الاتجاه إلى الجهة الأخرى ليأمن على نفسه.
- وفي نفس الوقت يكون قد وصل ابنه خالد ومن معه إلى المدخل الرئيسي للقلعة فيصبح أهلها بين جيشين مما يوهن من عزيمتهم.
- وطبقت هذه الخطة فعلا، فهال العدو ما رأه من النيران حول القلعة، فقد كانت مرتفعة جداً فقد جمع المسلمون كميات كبيرة

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٢، الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٢/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٩/٤.

من أخشاب الأشجار الموجودة بهذه المنطقة وأشعلوا فيها النار - وبعدها دار قتال شديد بين الفريقين،تمكن المسلمون على أثره من فتحها [1].

وهكذا فتحت هذه القلعة بعد أن استعصت على المسلمين مدة تقارب ثمانية أشهر، لقي الجيش الإسلامي أثناءها العناء الكبير، وجاء فتحها عنوة لا سلماً، وتم مداهمة حصنها وكسرت أبوابه - إذ كانت مقفلة عليهم من الخلف - واحتوى يزيد بن المهلب على ما فيها من الرجال والنساء والذرية والأموال، وأمر بقتل الرجال وفي مقدمتهم المرزبان - صاحب الفاجعة التي حلّت بالمسلمين قصاصاً لأصحابه.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٣، الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٣/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٩/٤.

المسلمون يتقدمون إلى جرجان:

انتهى يزيد بن المهلب من العقبات التي كانت تعترضه، وأصبح الطريق أمام المسلمين - إلى جرجان - مفتوحاً، خاصة وقد ارتفعت معنوياتهم وأصبحوا يتطلعون إلى فتح جرجان، وتأديب أهلها على نقضهم المتكرر للعهد مع المسلمين.

ومن المعقول أن يكون عدد المسلمين في هذا الفتح بلغ مائة ألف كما أشارت المصادر (١) بذلك - وهذا العدد يدل على كثرة من شارك في هذا الفتح - بجانب من انضم إليهم من إخوانهم الذين خلّصوهم من أيدي الترك.

ولما وصل المسلمون جرجان، وجدوا أهلها قد تحصنوا في قلاعهم وحصونهم ودورهم، فاضطروا إلى رميهم بالمجانيق (٢)، والكتل النارية المشتعلة.

واستمروا هكذا مدة لا تتجاوز شهراً - فيما يبدو - استطاع المسلمون بعدها دخول البلاد عنوة، حيث قتلوا عدداً لا يزيد عن الألف رجل لئلا تحدث منهم حركة تمرد أخرى، ولا نشك في بطلان الرواية التي تقول: إن المسلمين قتلوا من أهلها اثني عشر ألفا (٣)، وأن الواحد من المسلمين

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٣٢/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٥/٤.

(٢) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة على العدو، وذلك بأن تشد سوار مرتفعة جداً من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه، ثم يضرب بسارية توصله لمكان بعيد جداً، وهي آلة قديمة قبل وضع النصارى البارود والمدافع (الزبيدي: تاج العروس ٣٠٧/٦).

(٣) ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣١٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٩/٤، الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ٣٣٠/٣ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٤/٣.

يقتل الأربعة والخمسة منهم؛ إذ لا يعقل - مهما كانت الظروف - أن يقتل المسلمون هذا الكمّ؛ لأنهم لم ينطلقوا من بلادهم ويقطعوا تلك الفيافي والصحاري بغرض التشفي من العدو - حتى لو كان العدو قد جار عليهم - في الوقت الذي لا يترددون في إشهار السلاح في وجه من أرادهم بِشّر أو عدوان، ثم إن هذا العمل يحتاج مع هذا العدد وقتاً طويلاً مما يمكّن أهل البلاد المجاورة أن تنفر لحمايتهم من القتل والدفاع عنهم، وهل قتل أهل جرجان من المسلمين مثل ذلك العدد حتى يكون قتلهم قصاصاً منهم ؟

الحقيقة أن هذه الرواية مبالغ فيها جداً، وربما قصد من ذكرها إظهار قوة المسلمين، وانتقامهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم الشرّ، وربما كان الهدف إلقاء الرعب في قلوب أعداء الإسلام.

يقول بعض بني عم يزيد بن المهلب في فتح جرجان:

فتـح الله للأميـر يزيـد	ذي المعال والفضل والإحسان
بلـد الترك والأعاجم طـرّاً	من قرى مروها إلى جرجـان
كمن القوم بالسلاح عليهـم	كل قوم من القروم هجـان
ولقـد وجّـه الجنـود إليهـم	واثقـاً بالمهيمـن الحنّـان
فحبـاه الإلـه بالنصـر لما	أن رماهم بالنفط والنيران(١)

ثم اتجه لجمع الأموال التي تركها أهل جرجان، فأخذ الخمس، وقسّم الباقي من هذه الأموال والخيرات علىجيشه. "فأغناهم بغنائم

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٢٩٥، ٢٩٦.

لم يروا مثلها))[1] مكافأة لهم على ما قدموه للإسلام وأهله من تضحيات جبّارة، وتشجيعاً لهم على مواصلة الفتح وبذل الجهد، لأن الدولة الإسلامية مازالت بحاجة إلى قوتهم وخبرتهم.

وبما أن المسلمين أحدثوا أضراراً كبيرة في جرجان من جرّاء رميها بالمجانيق والنيران كان عليهم أن يقوموا بإصلاح ما خرّبوه فقاموا بترميم سورها[2]، واختطوا بها نحواً من أربعين مسجداً، منها مسجد باسم يزيد، وتلك المساجد معروفة بجرجان بعضها داخل قصبتها وبعضها في المربض. ثم ولّى عليها جهم بن زحر الجعفي[3].

وبعدها أرسل يزيد - كالعادة - ببشارة النصر للخليفة سليمان بن عبد الملك، ومما جاء في رسالته إليه:

((أما بعد فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذي الأكتاف، وكسرى بن قباذ، وكسرى ابن هرمز... حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله، وزيادة في نعمه عليه، وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين، بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٤٣.

(٢) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٣/٢٤.

(٣) السهمي: تاريخ جرجان ص ٩، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٧٤.

الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف - يعني دينار - [1] وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله)) [2].

يعلق فلهوزن على فتح جرجان الثاني، وكتاب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك بقوله: ((فافتخر يزيد بن المهلب للخليفة سليمان بن عبد الملك بهذا الفتح، الذي لم يكن رائعاً، ولم يكن على كل حال إلاّ فتحاً مؤقتاً)) [3].

لا شك أن يزيد أراد أن يبين في فخر أنه تمكن من فتح ما أعجز الأكاسرة، وهذا شيء من الفخر الذي صاحبه الاعتراف بفضل الله تعالى على عبده وعلى المسلمين جميعاً، كما اقترن بحسن النية والصدق الواضح من خلال ذكره لمقدار المال الذي تحصلوا عليه، ويظهر أن يزيد كان يرمي من ذلك إطلاع الناس على عظم النعم التي منحها الله لعباده، وإسعاد المسلمين بهذه الأنباء كما سَعِدوا بها، وهذا يدل على نقاء سريرته وصفاء روحه.

وكيف لا يكون الفتح رائعا وقد أعيا من قبله من الولاة السابقين، وقاسى يزيد من أجله الأمرّين لطول فترة الحصار التي تمت لبعض الجهات، وأنفق بسببه المبالغ الطائلة للاستعدادات وغيرها، ثم ضحّى في سبيله بعدد كبير من أرواح المسلمين، أما أنه كان فتحاً مؤقتاً فهذا

---

(١) وذكره بالدينار كذلك (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣١٠/٤؛ ابن الجوزي: المنتظم ٢٩/٧) وذكره بالدرهم بمقدار خمسة وعشرين ألف الف درهم (البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣٣) بينما أورده آخر بمقدار عشرين ألف ألف درهم (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٧/٧).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٤/٦، محمد دروزه: تاريخ الجنس العربي ٢٦٤/٧ - ٢٦٥.

(٣) تاريخ الدولة العربية ص ٤٢٥.

الأمر وارد لعادة أهل هذه البلاد في نقض العهد مع المسلمين، ونخلص إلى أن هذا المستشرق أراد أن يقلّل من قيمة هذا الفتح العظيم كعادة المستشرقين ومن يسير على دربهم.

ونرفض بشدة الرواية التي تقول أن يزيداً أجرى على دماء القتلى من أهل جرجان الماء ثم خلطه بالطحين واختبز منه وأكل، لأنه أقسم على فعل ذلك قبل أن يغزوهم، خاصة بعد سماعه بفاجعة المسلمين بالبياسان (١).

فهذا العمل ليس من الإسلام في شيء، فما أحله الله من الدماء الكبد والطحال " (٢). وبعدهما لا يجوز - بل حرام قطعا على المسلم - تناول أي شيء من الدماء في طعامه وشرابه، فكيف يأكل قائد جيش مسلم وجيشه خبزاً معجوناً بدمٍ آدمي، وإذا كان هذا التصرف لا يُقْدِم عليه المجوسي ولا الزنديق فكيف يُقْدِم عليه المسلم، ومن يطلع على جهود يزيد في خدمة الاسلام والمسلمين ينكر نسبة هذا التصرف إليه، وأذكرعلى سبيل المثال لا الحصر: بناءه لأربعين مسجداً، وتخصيص مسجد باسمه وهذا بالتأكيد ينفي وقوع الرواية، ولقد ذكر البلاذري (٣) هذا الحدث، ولم يشر إلى ذلك القسم المزعوم عن يزيد بن المهلب أو

---

(١) قال بذلك: ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣١٥، الطبري: تاريخ الأمم ٥٤١/٦ - ٥٤٣، ابن أعثم:: الفتوح ٢٩٣/٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٠٨/٤ - ٣٠٩، ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٨، الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ٣٣٠/٣ ، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣ /٧٤.

(٢) يقول الحديث أحلّ لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال. أخرجه أحمد والدارقطني مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (ابن حجر: سبل السلام ١٠٠/٤).

(٣) فتوح البلدان: ص ٣٣٣.

البّر باليمين، أو التشفي بهؤلاء، إنما كل ما ذكره أنهم نزلوا على حكمه، وجعل يقتلهم حتى سالت الدماء في الوادي وجرت .

ولا ننسى أن يزيد قد نصره الله عليهم، وقتل عدداً منهم، فما الذي يجعله يتشفى منهم بعد ذلك، وإذا كنا نقول أنه أراد أن يبرّ بيمينه.. فهل حدث فعلاً أنه أقسم على ذلك؟ وحتى على فرض أنه تفوّه بذلك اليمين في حال الغضب - بعد سماعه بقتل العدو للمسلمين - فهل يعقل أن يقرّه على ذلك أبناء الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين كانوا يسيرون إلى جانبه. والمعروف شرعاً أنه مَنْ حلف على يمين فرأى أتقى منها فليغير، وما أظن هذا يخفى على قائد مثل يزيد.

ومن المؤكد أن الخليفة لو علم بهذا التصرف فلن يبقي على يزيد في مكانه يوماً واحداً بعد ذلك لأن الدولة الإسلامية تحرص ذلك الحين - وفي كل وقت - على نقل صورة طيبة عن الإسلام وأهله، وإن بقاء يزيد في الولاية لبلاد خراسان دليل على أنه لم يقدم على ذلك الجرم.

وإذا كان قد حصل ذلك فعلاً فأين أهل خراسان وأهل جرجان من ذلك ؟

لا نشك أنهم لو رأوا مثل ذلك لن يلزموا الصمت، بل سيرفعوا شكاواهم إلى خليفة المسلمين، فقد ورد عنهم أنهم حملوا كتاباً إلى الخليفة يتهمون يزيد - زوراً - أنه سيطر على أموال خراسان واحتواها، وأنه قد عزم على الخلع والعصيان كما فعل قتيبة بن مسلم[١]،

---

(١) قيل لما قرأ سليمان بن عبد الملك كتاب أهل خراسان اغتم لذلك وضاق صدره وتحيّر في أمره=

بينما هو قد جمع الأموال وأخذ الخمس ووزّع الباقي في المسلمين. يقول كعب بن معدان الأشقري:

يهب الحصون بأهلها لصديقه وجياد كل مقلص سبّاح [1]

فلو كان أهل جرجان عوملوا بمثل ذلك لأدرجوا تلك التهمة مع ما أدرجوه.

أما عن النتائج التي ترتبت على فتح جرجان فهي:

- تأديب الناكثين من أهل جرجان لنقضهم المتكرر للعهد مع المسلمين، فقد قتلوا - كما أسلفنا- عدداً منهم لئلا تحدث منهم حركة تمرد أخرى.
- حاز المسلمون غنائم كثيرة بعد أن دخلوا هذه البلاد عنوة، ووزعت على الجيش بعد أن أخذ يزيد الخمس له وللقادة الفاتحين، وكانت حافزاً عظيما لهم على متابعة المسيرة للفتح في جهات أخرى.
- نشر الإسلام في معظم جهات جرجان، وهذا هو الهدف الأساسي الذي انطلق المسلمون من أجله، وإن بناء المساجد العديدة - والتي بلغ عددها الأربعين - لشاهد واضح على صدق هذا القول، فقد

= ولم يدر ما يصنع، ثم استشار خاصته وأهل بيته ووزراءه، وقال له بعض وزراءه ياأمير المؤمنين إن الأموال التي قد صارت إلى يزيد ليست بقليلة، ومن صارت إليه مثل هذه الأموال أمكنه أن يتغلب على البلاد، والرأي في ذلك أن يوجّه أمير المؤمنين إلى يزيد ابن المهلب برجل من أهل بيته، أو بعض إخوته حتى يأخذ ما عنده من الأموال، فإذا فعل به ذلك يكون قد قصّ جناحه، فإن رام العصيان لم يقدر على ذلك. قال سليمان: هذا هو الرأي بعينه (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٨/٧).

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٩٦/٧.

تبين أن يزيد بن المهلب طلب من المقاتلين - وكان فيهم من يحسن البناء - أن يقوموا ببناء تلك المساجد، ثم طلب منهم أن يعمروها بالصلاة ليكونوا قدوة لإخوانهم من أهل جرجان - حديثي العهد بالإسلام - وفي نفس الوقت حرص على إقامة حلقات لتعليم الناس أصول الدين الإسلامي، وكان لكل ذلك الأثر العظيم في تخريج العلماء من المفسرين والمحدّثين... والذين نرى جهودهم العلمية من خلال مؤلفاتهم التي بين أيدينا.

- كذلك أثّر هذا الفتح في قلوب المجاورين لتلك البلاد، فقد فكّروا في أنفسهم ومصيرهم، واختاروا اللحاق بركب إخوانهم الجرجانيين ودخلوا معهم في الإسلام، وشكلوا جميعاً صفاً واحداً لخدمة الإسلام وأهله.

المبحث الثالث

(يزيد بن المهلب في عهد عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك)

ويشتمل على الآتي:

- موقف عدّي من أبي أرطاة من يزيد سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م.
- موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز من يزيد بن المهلب.
- خروج يزيد من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز
- موقف والي البصرة من يزيد بن المهلب سنة ١٠١هـ/٧١٩م.
- بين يزيد بن المهلب وأهل البصرة.
- وقعة العَقْر سنة ١٠٢هـ ٧٢٠م.

أولاً: مرحلة الاستعداد للطرفين ذي الحجة سنة ١٠١هـ /٧١٩م.

ثانياً: مراحل اللقاء:

المرحلة الأولى: (الأسبوع الثاني من محرم سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠ م):

الاستعداد للمرحلة الثانية: (نهاية شهر المحرم سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠ م)

المرحلة الثانية: (١٤ صفر سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م (حرق الجسر):

المرحلة الثالثة والأخيرة:

- نهاية يزيد بن المهلب (آخر شهر صفر سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)
- المفضل بن المهلب وسياسة الانسحاب.
- موقف الدولة الأموية من آل المهلب بعد مقتل يزيد.

يزيد بن المهلب في خلافة عمر بن عبد العزيز

٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧١٩م

موقف عدي بن أبي أرطاة من يزيد:

توفي سليمان بن عبد الملك وكان ذلك بعد أن ملك سنتين وثمانية أشهر[١] بمرج دابق[٢].. يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة٩٩هـ/٧١٧م[٣]، وكان عمره حين وفاته ثلاثاً وأربعين سنة[٤].ومن بعده صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز.

وحين وصل نبأ وفاة سليمان إلى يزيد بن المهلب - وكان يومئذ مقيماً في جرجان - ذهب ظنه إلى أن ابنه أيوب هو الذي سيملك الأمر من بعده - لعدم علمه بوفاته في حياة والده - وعليه ستبقى الخلافة وراثية في بقية إخوانه، حتى أنه قال لمن حضره من أصحابه معبّراً عن استيائه من ذلك " إن معاوية بن أبي سفيان إنما كان له ولد واحد، فملك الخلافة هو وابنه بضعاً وعشرين سنة[٥]، وسليمان بن عبد الملك له

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠، وقيل كانت ولايته ثلاث سنين (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٤٦).

(٢) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزار، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب ذا نزهـــة، كان ينزله بنو مروان، إذا غزوا الصائفة إلى ثغر مصيصة، لذلك أطلق عليه مرج دابق (ياقوت: معجم البلدان ٢/٤١٦).

(٣) المسعودي: مروج الذهب ٣/٢١٢، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٣/٣٣.

(٤) ابن خياط:تاريخ ابن خياط ص ٣١٦، وفي رواية ابن خمس وأربعين سنة (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٣٠٦) وقيل هلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة (المسعودي: مروج الذهب ٣/٢١٢).

(٥) ملك معاوية بن أبي سفيان تسع عشرة سنة، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، بينما ملك ابنه يزيد ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً (ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص٢٢٦ - ٢٢٧.

سبع بنين فمتى يخرج هذا الملك منهم، إنه لا يخرج إلى يوم القيامة، ولنبايعن الأطفال من ولد سليمان [1].

لكن حين علم أن أيوب بن سليمان قد مات - في حياة والده - نادى في أصحابه بالرحيل إلى نيسابور [2]، فسار بين يديه راجزٌ يقول له:

إن كان أيوب مضى لشأنه   فـــإن داود لفـــي مكانـــه
يقيم ما قد زال من سلطـــانه   كــذا يكـــون الملك في أوانـــه

وبعد أن نزل نيسابور كتب إلى عماله يأمرهم بالقدوم عليه، فجاءه أخوه مدرك بن المهلب من بلخ ومعه هدايا كثيرة، وقدم ابنه مخلد من طخارستان [3] ومعه مائة دابّة من دوابها، وبقي هناك مجتمعا بهم حتى بلغه أن الأمر صار إلى عمر بن عبد العزيز [4].

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٣٠٧.

(٢) هكذا تنطق بالعربية، وفي الفارسية الحديثة: نيشابور، وهو مشتق من نيوشاه بور في الفارسية القديمة، ومعناه (شيء أو عمل أو موضع) سابور الطيب، وإنما سميت المدينة بذلك نسبة إلى الملك سابور الثاني الذي جدّد بناءها في المئة الرابعة للميلاد، إذ أن مؤسس نيسابور كان سابور الأول بن أردشير بابكان، وفي صدر العهد الإسلامي كان يقال لها. أبرشهر (أي مدينة الغيم في الفارسية). وتعتبر عاصمة إقليم خراسان عند الأمراء الطاهريين، إذ أنها كانت أحد المدن الأربع الكبرى وهي (نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ). وتقع إلى جنوب ريوند وإلى غرب طوس(كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٢٤، وانظر خريطة رقم ٨ في المرجع نفسه).

(٣) تقع إلى شرق بلخ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان، وتحدها من الجنوب الجبال التي في شمال الباميان وبنجهير، وكانت تنقسم إلى قسمين: طخارستان العليا، وهي في شرق بلخ في محاذاة نهر جيحون، وطخارستان السفلى وهي في جنوبها الشرقي على حدود بدخشان، ويسميها ابن حوقل طخيرستان، وذكر أن مدنها: خلم، وسمنجان، وبغلان، وسكلكند، وورواليز، وأرهن وراون، والطالقان، وسكيمشت، وروا، وسراي عاصم، وخشب أنراب، ومذروكة (ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٧٣، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٦٩).

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٣٠٧.

ولزم يزيد مكانه - نيسابور - انتظاراً لأوامر الخليفة الجديد، إما بالاستمرار على ولاية خراسان أو العزل عنها، وكما هو معروف عند ولاية كل خليفة جديد أن يبعث بكتاب إلى كل إقليم يشرح فيه تطورات الموقف في حاضرة الخلافة وتوابعها، وبيعة الناس له، ويطلب فيه البيعة له، فكان ممن بعث إليهم يزيد بن المهلب، وقال له: ((بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى يزيد بن المهلب، أما بعد يايزيد فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله أنعم عليه ثم قبضه إليه، وقد كان استخلفني واستخلف أخاه يزيد من بعدي، وإن الذي ولاني الله تبارك وتعالى من ذلك وقلدني ليس بهيّن عليّ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقال أموال كان الله تبارك وتعالى قد أعطاني من ذلك، وبلغ بي أفضل ما بلغه بأحد من خلقه، وإني لخائف فيما ابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة إلا ما عافى الله ورحم، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك))(١).

وأمام هذا الكتاب لم يتردد يزيد بن المهلب في إجابته، حيث أعلن البيعة وبعث بها في كتاب إلى الخليفة، ثم توجه بدوره إلى أرض العراق بعدما استخلف ابنه مخلداً على خراسان، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولّى على العراق عدي بن أرطاة الفزاري وبعث به إليها (٢)، وما إن وصل

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٦٧/٦، وزاد ابن أعثم الكوفي في روايته.. فيما ابتليت به من أمر هذه الأمة حساباً شديداً وسؤالاً حفياً، وقد بايعني الناس أجمعون، فبايع رحمك الله، ومر من قبلك بالبيعة.. والسلام (الفتوح ٣١١/٧).

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٠١/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣١٦/٤، محمد زنيبر: الإسلام منذ الانطلاقة الأولى ص ١٠٧.

عدي إلى واسط حتى بعث برجل يقال له موسى بن الوجيه الحميري في طلب يزيد بن المهلب وسلمه كتاباً فيه أن عمر بن عبد العزيز ولاّه العراقين (البصرة والكوفة) وما والاهما من البلاد ويطلب منه أن يعود إلى واسط، فأخذ موسى بن الوجيه هذا الكتاب وتوجه به إلى يزيد الذي كان قد وصل إلى موضع يقال له نهر معقل [1] (أي قبل أن يدخل البصرة) فسلّمه إليه: فقرأه ورجع مع موسى إلى بلاد واسط من غير تردد [2].

وحين دخل على عديّ بن أبي أرطاة وسلّم عليه سأله - مباشرة - عن الأموال التي حصل عليها من بلاد خراسان وجرجان وطبرستان، فأفاده يزيد أنه كانت لديه أموال لكنه لم يدّخرها لنفسه، بل أنفقها في جنده؛ ليتقووا بها على جهاد عدوهم، إلاّ أن عدّيا لم يصدقه وهدده بحمله إلى عمر بن عبد العزيز حتى يرى فيه رأيه.

ولما كان يزيد نزيهاً وبعيداً عن هذه التهم الباطلة لم يلق بالاً لذلك، ولم يخش مقابلة أمير المؤمنين،فأمر عدي بحبسه في واسط استعداداً لحمله إلى عمر بن عبد العزيز [3]، وحاول عدي التأكد من براءة يزيد من أهل خراسان أنفسهم، خاصة وقد قدم إليه وفدٌ منهم إلى مدينة

---

(١) نسبة إلى معقل بن يسار بن عبد الله بن معبّر بن حرّاق... بن أدّ المزني، وهو نهر معروف بالبصرة فمه عند فم الاجانة (ياقوت: معجم البلدان ٣٢٣/٥ - ٣٢٤).

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٠١/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣١٩/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٥/٣.

(٣) قال يزيد لعدّي: أيها الأمير إذا شئت ذلك فافعل، فإني ماأكره المسير إلى أمير المؤمنين (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣١٣/٧).

واسط، وقدّم شكوى في يزيد تفيد: أنه ظلمهم وانتهك محارمهم واستحل العظائم، ويطلبون منه أن ينصفهم منه، وكانوا قد أعدوا للأمر عدته، ورتّبوا للكلام في يزيد الشيء الكثير، واتفقوا على أن يقدموا زعيمهم وكيع بن أبي سود التميمي، للتحدث باسمهم، حيث قال لعديّ ابن أبي أرطاه بعد السلام عليه: "قدمت أيها الأمير خير مقدم للفضل والمغنم وجزيل القسم وفوائد النعم، فأنت أيها الأمير من كان إليه هوانا وغايتنا ورغبتنا ومنتهانا، فالحمد لله الذي أرانا هذا اليوم، وأراحنا من إمارة هؤلاء القوم فإذا جاء الحق وزهق الباطل، وجاءنا الله بالأمير الفاصل، أيها الأمير أصلحك الله! أعذنا من هذا العماني يزيد بن المهلب، الذي انتهك المحارم واستحل العظائم، يأخذ هذه الأموال من غير حلّها ويضعها في غير موضعها وحقها والسلام"[1].

تلاه في اتهام يزيد رجل آخر من تميم يقال له: هريم بن أبي طحمة التميمي[2]. قائلاً: "أيها الأمير ! أتمَ الله عليك النعمة وهنأك الكرامة وختم لك بالسعادة والسلامة والنجاة من أهوال يوم القيامة، فإن الأمير أسعده الله أبعد العرب همّة، وأوفاها ذمة، إن حكم عدل وإن قال فعل، ولي حقوق يجب على الأمير حفظها، وقد كانت من يزيد بن المهلب إلينا

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣١٣/٧، ٣١٤.

(٢) هريم بن عدي بن أبي طحمة، واسم أبي طحمة (حارثه بن عدي) كان شجاعاً كيّساً، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في قتال الازارقة، ولما كان يوم سورا أخذ اللواء ثم أقحم في خمسة فوارس،فانهزم يزيد بن المهلب، ثم كبرّ هريم، فحول اسمه في أعوان الديوان ليعفى من الغزو وكان أميّاً، فقيل له إنك لا تحسن أن تكتب، فقال: إن لم أكتب فإني أمحو الصحف.. (ابن قتيبه: المعارف ص ٤١٧، جمهرة الأنساب ٢١٩، ٢٢٠).

سيرة استحل بها حرمنا، واستطال بها علينا، فأنصفنا منه أيها الأمير وأعدنا عليه، وإلا ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - والسلام"[1].

ثم قام ثالثهم وهو عمر بن يزيد [2]، وقال: "أسأل الله للأمير أتم النعماء وأحسن البلاء وأفضل العطاء، فإن الأمير أيدّه الله تعالى غياث المظلوم وفراج الهموم، وقد فزعنا إليه في أمور ملمّة مقطعة مهمة آتاها إلينا يزيد بن المهلب، واجتربها لدينا، لم يفعل ذلك بعزّ عشيرته ولا بشرف إمرته، ولكن بقسوة قلبه وجرأته على ربه، وبسلطان أمير المؤمنين الماضي سليمان بن عبد الملك، فأنصفنا منه أيها الأمير وأعدنا عليه، وإلاّ ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر".

وحين همّ رابعهم (محمد بن مسلم الباهلي) أن يتكلم، قال له عديّ: ياهذا أربع قليلاً، فإنكم قد تكلمتم فأكثرتم،... وأراد أن يجمع بينهم وبين صاحبهم يزيد فإما أن يكون الحق لهم أو ليزيد، فوافقوا على ذلك وأرسل إليه يطلبه من حبسه، فجاءه وجلس أمامهم وكان ذلك على رؤوس الأشهاد، وطلب منهم - أي من الوفد - عدي أن يكلموه بما يريدون.

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣١٤/٧.

(٢) عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي من تميم، أحد الشجعان الرؤساء المقدمين في أيام بني مروان، قال فيه يزيد بن عبد الملك " هذا رجل العراق " فأغاظ ذلك خالد القسري، فأوحى إلى من يقتله بالسياط ضرباً (الطبري: تاريخ الأمم ٤٦/٧، الزركلي: الأعلام ٦٩/٥).

فبدأ الكلام - كعادته - وكيع بن أبي سود - وكان مما قاله "... إنما فتحت خراسان فتح الخونة، وقد كانت قبل ذلك مكنونة، ثم تشكو نعماي إليك، ولأحسن بلائي لديك، فاردد عليّ ياعدو نفسه، ما لم تكسبه أنت ولا أباؤك من قبلك، وإلا ركبت فيك إلى أمير المؤمنين عمر والسلام".

ثم قام هريم بن أبي طحمة، وقال: "ياابن المهلب......أردد الآن ما أخذت من أموالنا بغير حقها وإلا ركبت فيك إلى أمير المؤمنين عمر".

وتحدث عمر بن يزيد فقال: "ياابن المهلب أخذت أموالنا وانهكت محارمنا، وقد أقام الله عز وجلّ إماما عادلاً لا تأخذه في الله لومة لائم، والله ياعدو نفسه أن لولا حق الله تبارك وتعالى وسلطان أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك لما كنت أنت وقومك بالذين يغلبوننا ولا ينثروننا.... "[1].

وقال محمد بن مسلم الباهلي: "يا ابن المهلب أنا الذي لم آل لك عملاً قط، ولم تطلبني بنيل كان مني إليك ولا دخل، فكيف بك إذا حَتوتُ راكباً فاحمل السيف على عداوتك فاسقيك بما سقيت وأجزيك بما أسديت لا أنام إذا هجعت، ولا أراعيك إذا خضعت مع ركوبي فيك إلى أمير المؤمنين عمر"[2].

---

(١) النثر هو نترك الشيء بيدك، أي ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز والسكر (ابن منظور: لسان العرب ١٩١/٥) مادة (نثر).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣١٥/٧، ٣١٦.

وكان يزيد بن المهلب قد لزم الصمت أثناء حديث القوم، حتى إذا فرغوا من حديثهم، وأذن له عديّ بالكلام قام إليهم جميعاً، فأجابهم قائلاً: ((الحمد لله على سراء أمره وضرائه، وما قدم إلينا من كثير نعمائه، الذي كان من سرور فمنه وما كان من غير ذلك فمن آلآئه وحسن بلائه، فأمّا ما وصفتم من عدل الأمير أيده الله فهو المحمود فهمه، العظيم حلمه، ثم إن أمور العباد بيد الله فمسئ ومذنب ومعاقب ومعطب))[1].

((فأما أنت ياوكيع بن أبي سود / فإنك وكيل باطل، لست في أمرك بشيء من طائل، إن دعيت لغيّ كنت له منقاداً، وإن دعيت إلى خير ازددت منه بعاداً... ثمّ ما ادعيت عليّ ثكلتك أمك بعد العدم ! أن فتحت خراسان فتح الخونة، وكانت قبل فتحي لها مكنونة، إنه لو علم أهل خراسان أن رجلاًهو أشهى وأهفى منك رأياً لقلدوه أمورهم، ولكنك أنت بمنزلة الحاضنة على بيض أخرى، فالمؤنة عليها والفراخ لغيرها)).

((وأما أنت ياهريم بن أبي طحمة الذاكر للرحمة! للأمة اللخناء[2]، الموصوفة بالشنعاء، المعروفة بالسؤاء[3].... لئن أظفرني الله بك فيما

(١) العطب: الهلاك يكون في الناس وغيرهم (الزبيدي: تاج العروس ٣٨٧/١).
(٢) اللخن قبح ريح الفرج، وأمة لخناء التي لم تختن، والألخن الذي لم يختن (الزبيدي: تاج العروس ٣٣٣/٩).
(٣) ساء الشيء يسوءه سوءاً فهو سيء إذا قبح، ورجل أسوأ قبيح، وأنثى سؤاء أي قبيحة (ابن منظور: لسان العرب ٩٦/١).

يكون من الجديدين[1]، لأقطعن منك أعزَّ الوصلتين، ثم لأبينها إبانة الشعري من الفرقدين[2]، إلا أن تراجع، وما أرى أن ذلك لك شافع)).

((وأما أنت ياعمر بن يزيد ! فوالله إنك لفي ضحضاح[3] من اللوم أقيح،.... وأيم الله ما أظن إنك قمت هذا المقام، مجترئاً عليّ هذا الكلام، حتى مزجت خمرة ذات سورة فملأت منها بطنك...)).

((وأما أنت ياباهلة... لو كنت ثائراً من أحد لاستثرت من هذا القاعد إلى جنبك وكيع بن أبي سود المتقرب إليّ بقتل أخيك قتيبة بن مسلم وأصحابه، وإنما تهدّدكم إيّاي بأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - أعزه الله - وأيدّه فمن طلب شيئاً فليركب))، ثم وثب يزيد بن المهلب فنفض ثوبه في وجوه القوم، وخرج، فالتفت عدي بن أبي أرطاة، وقال لهم: كيف رأيتم مصادر الكلام، والله لقد أفحمكم. حتى رأيت وجوهكم قد ارتدت، وما رأيت أحداً منكم يقدر على إجابته، ثم اتجه عدي إلى أهل مجلسه فقال: هذا والله رجل أهل العراق وعميدها، فلله دره ودرّ أبيه ![4]

(١) الأجدّان والجديدان هما الليل والنهار، وذلك لأنهما لا يبليان أبداً (ابن منظور: لسان العرب ١١١/٣).

(٢) الفرقدان نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي ويقال أنهما قريبان من القطب (الزبيدي: تاج العروس ٤٥١/٢).

(٣) ضحضح الأمر إذا تبين، والضحضاح الماء القليل يكون في الغدير وغيره والضحل مثله (ابن منظور: لسان العرب ٥٢٤/٢، ٥٢٥).

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣١٦/٧ - ٣١٨، اليعقوبي: البلدان ص ٦٥.

إن التحقيق فيماسبق يبرز لنا بوضوح العصبية القبلية ودورها السلبي، فقد كان هؤلاء القوم وجوه خراسان وساداتها من بني تميم - عدا محمد الباهلي - وتجلت عصبيتهم من خلال مقولتهم لعدي بن أبي أرطاة ((أعذنا من هذا العماني يزيد بن المهلب)) وكانوا قبل ذلك يريدون أن تكون ولاية خراسان فيهم، فقد سبق أن أحدهم - وكيع - مهّد لذلك، فاحتوى على خراسان بعد مقتل قتيبة بن مسلم، وأقام بها تسعة أشهر يوليّ ويجبي ويعزل.

- ويبدو - والله أعلم - أن العصبية ذاتها هي التي دفعت بهم إلى التحالف مع الترك كي يبعدوا يزيدَ عن ولاية خراسان، وذلك حين توفي أخوه المغيرة، فقد سبق أنهم خرجوا ضدّه سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م، وكادوا يسيطرون عليه بأعدادهم الكبيرة لولا لطف الله تعالى وصبر المسلمين [١].

ومما يؤكد أن التحامل جاء من طرف واحد - بني تميم -، وأن النقمة على يزيد جاءت منهم، أنه لم تشاركهم القبائل الأخرى لعدم وجود الدليل الكافي لاتهام يزيد بانتهاك المحارم واستحلال العظائم وأخذ الأموال من غير حلها، إذ إن معاملة يزيد الطيبة لهم تركت الأثر العظيم في نفوسهم سنة ٨٥هـ / ٧٠٤ م حينما تم عزله من قبل الحجاج عن بلادهم، حتى قال شاعرهم:

أبا خالد بادت خراسان بعدكم   وقال ذوو الحاجات أين يزيد.. [٢]

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣٥١/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٦/٤.

(٢) الفرزدق: ديوان الفرزدق ١٣٧/١.

ومن الأمور الظاهرة في ذلك أن القوم أنفسهم - من بني تميم - كانوا يهدفون - بلا شك - إلى التشفي من يزيد بن المهلب والانتقام العاجل منه، فهم لما عجزوا عن تحقيق أهدافهم المنشودة في أرض خراسان، لتأييد الخراسانيين له ووقوفهم إلى صفه، ولرغبة الخليفة سليمان بن عبد الملك فيه، ولكون خططهم مكشوفة، أرادوا تكرار المحاولة، خاصة وأن الخليفة لم يعد نفس الخليفة، كما أنه أصبح ذلك الحين بعيداً عن خراسان، ولعلمهم بموقف عدي بن أبي أرطاة السلبي منه [(١)]، وهذا بلاريب سيخدم مصالحهم، وقد اجتمع مع ذلك الحسد لشخص يزيد، فقد كان الرجل محسوداً من قبلهم؛ لما حباه الله من الشجاعة والكرم والصبر [(٢)].

وعن وكيع التميمي فلا غرابة أن يضمر الحقد والبغض ليزيد، فقد تحداه قبل ذلك حينما علم أنه شخص من العراق إلى خراسان، وكتب إليه كتاباً بدأ فيه باسمه قبل اسم يزيد، وقال: أما بعد يايزيد فإن أعطيتني ما أريد وإلاّ فعلت وفعلت، مما دفع بيزيد إلى حبسه وحبس عماله وتعذيبهم جزاءً على فعلهم بأهل خراسان، ثم لا ننسى أن يزيد هو الذي آلت إليه ولاية خراسان بعد ماكان وكيع عقد الآمال العريضة عليها، ثم طلبها لنفسه من الخليفة سليمان بن عبد الملك كما أسلفنا.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٨٠.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ص ٢٩٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/٢٨٠ - ٢٨٤.

أما عن هريم التميمي فقد كان واضحاً أنه يسير في ركاب وكيع، فقد شاركه في سرائه وضرائه، وبالتالي لابد أن يحب هريم ما أحب وكيع وأن يكره ما يكرهه. أما محمد بن مسلم الباهلي، فقد كان على شاكلة أخيه قتيبة بن مسلم، لا يحب يزيد بن المهلب.

لكن العجب العجاب أن يكون "محمدٌ" عضواً في وفد فيهم قاتل أخيه قتيبة بن مسلم - أي وكيع - وهذا مالمسه يزيد بن المهلب وانتقده عليه حين قال "وأيم الله إن لو كنت ثائراً من أحد لاستثأرت من هذا القاعد إلى جنبك (وكيع بن أبي سود) الذي تقرب إليّ بقتل أخيك...

أما عمر بن يزيد فقد كان من صنائع آل تميم، إلاّ أنه - فيما يظهر - كان يرغب أن تكون ثمرة جهود هذه الوفادة لصالحه: يعني يحل محلّ يزيد بن المهلب في خراسان، خاصة وأن هناك ما يبرر وجوده في ذلك المكان، فهو الموصوف بالشجاعة، ورجل العراق الأول، ومن الرؤساء المقدمين أيام بني مروان.. "(١).

ويلاحظ شدة التذمر من عدي بن أبي أرطاة على هؤلاء القوم، إذ لم يترك الفرصة للأخير (عمر بن يزيد) أن يكمل حديثه، بل رغب في عرضهم على خصمهم ليقولوا ما لديهم أمامه.

الجدير بالذكر أن مجابهة يزيد بن المهلب لخصومه وردّه عليهم واحداً تلو الآخر، ثم تهديده لهم والتزامهم الصمت وطأطأة رؤوسهم بعد ذلك أطلعنا على أمور لعل من أهمها:

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٦/٧، الزركلي: الأعلام ٦٩/٥.

- كذب مقالة هؤلاء القوم وتواطؤهم على كيل تهم ملفقّة توجه إلى شخص يزيد بن المهلب أمام عديّ بن أبي أرطاة ولا أشك في أن القوم كانوا يملكون القدرة الكلامية بدليل ما ورد في حديثهم من النثر المنمق والترتيب الحسن، ولكن الذي أسكتهم حين مناظرتهم ليزيد هو كذبهم، فالمعروف أن الكذب مهما كان منمقاً لا بقاء له، والحقائق مهما كانت بعيدة لابد من قربها وظهورها، فالحقائق لا تغيب أبداً.
- جعلت عدي بن أبي أرطاة يعرف حقيقة يزيد بن المهلب، فنجده أصدر حكمه عليه أمام جلسائه وقال: "هذا والله رجل أهل العراق وعميدها" وكان قبل ذلك قد أشهر انتصاره أمام خصومه.
- وأخيراً نلحظ المبالغة العظيمة لابن أعثم الكوفي في ذكر تفاصيل ما دار بين الجانبين، وهذا لا يخلو من التحامل المعروف من هذا المؤرخ. على يزيد بن المهلب الذي يعتبر من القادة الأفذاذ الذين بذلوا التضحيات في سبيل خدمة الإسلام وأهله.

موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز من يزيد بن المهلب

إن الحكم الذي جرى على لسان عدي بن أبي أرطاة لم يكن ليشفع ليزيد بن المهلب عند الخليفة العادل، وتنصل عديّ من حكمه السابق على يزيد، ورجع القوم إلى أرض خراسان، في الوقت الذي حمل فيه يزيد مقيدا إلى الخليفة، وقيل: إن عدياً سلّمه إلى وكيع التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ليوصله إلى عين التمر[١] حتى يحمل إلى عمر بن عبد العزيز، وأثناء ذلك عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه فأخذ سيفه وقطع قَلْسَ[٢] السفينة، ثم هددهم بقتل يزيد إن لم يتفرقوا عنه، فتفرقوا عنه ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر، فحمله الجند إلى عمر فحبسه[٣].

ونستبعد احتمال تسليم يزيد لوكيع، لأنه لو سُلمّ له لكان من الممكن أن يقتله لما نعرفه من أن الرجل كان يضمر الحقد والبغض ليزيد، وأنه كان يتحين الفرصة للانتقام منه، ومن المعقول أن يكون عديّ بعث به مع البريد في حراسة مشددة، ثم سُلِمّ إلى الخليفة ليضعه في الحبس، وهذا ما جرت عليه العادة مع مثل هؤلاء.

---

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، ومنهما يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢هـ (ياقوت: معجم البلدان ٤/١٧٦).

(٢) حبل ضخم من ليف أو خوص وهو من حبال السفن (ابن منظور: لسان العرب ٦/١٨٠).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٥٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/٣٠٠.

وكان عمر بن عبد العزيز يدرك بعض التجاوزات المالية في عهد من سبقوه من خلفاء بني أمية، لذا قطع عهداً على نفسه أن يلتزم في هذه الأموال الحق والعدل ورأى أنه لابد أن يبدأ بنفسه أولاً حتى يصبح قدوة ومثلاً يحتذي به الآخرون، لذلك شدّد في حرصه على مال المسلمين حتى بلغ به الأمر أنه أمر ببيع ركاب الخليفة ليحصل ثمنها وينفق على الفقراء[١].

ثم ردّ المال الذي منحه إياه الخلفاء السابقون من بيت مال المسلمين[٢] مع علمه أنها منحة تعطيه الحق في امتلاك هذه الأموال، واضطر زوجته (فاطمة بنت عبد الملك بن مروان)[٣] أن تردّ حليها التي أهداها إياها والدها إلى بيت المال[٤]، وكان في غاية السعادة حين علم أن ابنه عبد الملك وأولاده الآخرين قد فهموا غايته، فاستبقوا إلى ما استبق إليه، حيث قال له ابنه عبد الملك حين عزم أن يعيد بعد أيام إلى بيت المال ما منحه منه: وهل تضمن أن تعيش أياماً أخرى؟ فأعاد الأموال من ساعته[٥].

(١) وأعرض عن ركوب مراكب الخليفة والإكتفاء بمركوبه الذي كان يركبه، وسكن منزله رغبة عن منزل الخليفة (ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٩٢).

(٢) وكان قد صعد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها، وما كان ينبغي لهم أن يعطونها، وإني رأيت ذلك ليس علي فيه دون الله محاسب، وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي.. (الأصفهاني: حلية الأولياء ٥/٣٥٥).

(٣) من فواضل نساء عصرها تزوجها عمر بن عبد العزيز، ولما مات عنها تزوجها بعده داود ابن سليمان بن مروان.. التفاصيل في (عمر كحاله: أعلام النساء ٤/٧٥، ٧٦).

(٤) قال لها: اختاري إما أن تردّي حليّك إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد. قالت: لا. بل أختارك ياأمير المؤمنين عليه وعلى أضعافه لو كان لي، فحمل إلى بيت مال المسلمين (ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٨).

(٥) الأصفهاني: حلية الأولياء ٥/٣٥٥، ٣٥٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٢٩، ابن كثير:=

وما يعنينا في هذا الجانب هو موقفه من واليه على بلاد خراسان، فقد وصلت إليه الاتهامات السالفة الذكر في يزيد، وأنه احتوى خراسان، وحصّل منها أموالاً كثيرة أثناء ولايته عليها، وأنه بعث بكتاب إلى الخليفه السابق (سليمان بن عبد الملك) يذكر فيه قيمة هذه الأموال وعظمها.

وهذا بلا شك أقلقه وجعله يحاول استجلاء حقيقته من كذبه، وكيف لا وهو الذي قطع على نفسه عهداً أن يعيد كل الأموال إلى أهلها، فقد أعادها قبل ذلك إلى أصحابها حينما كانت مع أهله.

فلا غرابة بعد ذلك أن يأمر بحبسه بعد وصوله إليه، ثم يعجل في اليوم التالي بمحاسبته، وحين سأله عن الأموال التي آلت إليه، وكتب بها إلى سليمان بن عبد الملك أجابه قائلاً: ((كنت من سليمان بالمكان الذي رأيت، وإنما كتبت إليه لأُسمع الناس به، وقد علمت أنه لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت به ولا بأمر أكرهه))(١).

الواقع أن يزيداً صارت اليه أموالٌ كثيرة (٢) بعد حروبه وفتوحاته السالفة الذكر، إلا أنه سخرها في إصلاح جيوشه ووزع بعضها على جنده (٣).

=البداية والنهاية ٢٢١/٩.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٥٧/٦، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٥/٣.

(٢) وقيمتها ستة آلاف ألف درهم (ستة ملايين): (الطبري: تاريخ الأمم ٥٤٤/٦، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١).

(٣) قال له حين سأله عنها " دعني أجمعها ! قال: أين ؟ قال: أسعى إلى الناس، قال: تأخذها =

أما الغرض من الكتابة بها إلى الخليفة سليمان فهو نوع من التعظيم والتفخيم لحجم هذه الغنائم والأموال حتى يُسمع الناس بها ويعرفوا مدى ما بذله والمسلمون من جهود مضنية في سبيل فتح هذه البلاد المتعدده التي كانت قد استعصت على من قبله من الأمراء والولاة.

وكان يزيد قبل كتابته لسليمان عنها مطمئناً إلى أنه سيفهم المقصود من ذكرها، وبالتالي لن يطالبه بما كتبه، ولن يأخذه بأمر يكرهه، لكن عمر بن عبد العزيز دعاه حرصه الشديد على هذه الأموال إلى عدم الالتفات إلى مقالة يزيد وتبريره لذلك فرأى أن يبقي عليه في حبسه حتى يقوم بدفع هذه الأموال كامله. وقال له: ((لا أجد في أمرك إلاّ حبسك، فاتق الله وأدّ الأمانه فيما قبلك من المال، فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها)) [1].

هكذا كان عمر بن عبد العزيز حريصاً كل الحرص على الأموال العامة للمسلمين.

ولم يكتف بهذا ! بل أخذ يوّجه الضغوط عليه كي يعّجل بإرجاعها، فقد ذكر أنه ألبسه جبّة من صوف وحمله علىجمل، وطلب من حرسه أن يذهبوا به إلى دهلك [2]، فلما انطلقوا به وهو على هذا الوضع أخذ

= منهم مرة أخرى ؟ لا ولا نعمى عين (اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠١، ٣٠٢). محمد زنيبر: الإسلام منذ الانطلاقة الأولى ص ١٠٧.

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٥٧؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣١، ابن الجوزي:المنتظم ٧/ ٥٦.

(٢) جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، ضيّقة حرجة حارّة، كان بنو أميةإذ سخطوا على أحد نفوه إليها (ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٩٢).

ينادي في الناس: كيف يذهب بي إلى دهلك وهي مكان خاص بكل فاسق مريب! أليس لي عشيرة ؟فدخل على عمر بن عبد العزيز - سلامة بن نعيم الخولاني وقال له: ياأمير المؤمنين أردد يزيد إلى محبسه فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فإني قد رأيت قومه غضبوا له، فردّه إلى محبسه [1].

لكن ما هو موقف أبناء يزيد مما حدث لأبيهم ؟

ذكر عن ابنه مخلد - الذي كان قد ولّاه أبوه خراسان قبل خروجه عنها -أنه ما إن علم بسجن والده حتى قدم من خراسان إلى دمشق، ومثُلَ بين يدي الخليفة وسلم عليه، ودار بينهما حوار - بشأن والده - تضمن سؤال مخلد الخليفة عن سبب سجن والده ؟ فأخبره أن ذلك بسبب المال الذي أخذه من خراسان، وكتب به إلى سليمان بن عبد الملك.فعرض على الخليفة أن يردّ جزءاً من هذه الأموال - مع اطمئنانه على نظافة يد والده منها - فرفض الخليفة ذلك إلاّ أن يردّ ما عليه من المال كله [2]، ثم استفسر مخلد عما إذا كانت هناك بيّنه تدين والده ؟ فعلم أنه لا توجد بينّه تدل على ذلك، فخيّره بعدها إما أن يصدق مقالته أو يستحلفه ! فأبى عمر أن يستحلفه كما رفض أن يسمح له بالخروج من حبسه [3] حتى يؤدي ما عليه [4] فاكتفى مخلد بذلك وشكره الخليفة على فعله [5].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٠/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٥/٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٥٧/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٠/٤).

(٣) قيل كان حبسه في حصن حلب (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٥/٣).

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٥٥٧/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٠/٤.

(٥) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٥/٣.

ويمكننا أن نستنتج مما دار بين مخلد وخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز، أن مخلداً كان واثقاً من نظافة يد والده، ولهذا استنكر حبسه قائلاً للخليفة: علام تحبس هذا الشيخ ! [1]

وهل يمكن أن نتصور لرجل مثل يزيد يموت ابنه مخلد[2] - ويدعوه الخليفة إلى الخروج من السجن ليقوم بالإشراف على تغسيله وتكفينه ثم الصلاة عليه ودفنه. ويرفض ذلك حتى يرضى عنه الخليفه ويبرئه مما ألصق به من التهم [3].بالطبع لا يمكن وقوع ذلك إلا إذا كان على يقين كامل بأنه برئ مما نسب إليه. والله أعلم.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٥٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٢٠.

(٢) مات مخلد بن يزيد في حدود سنة ١٠٠هـ / ٧١٨ م بالطاعون، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز بدابق، ورثاه حمزة بن بيض بقوله:

وعطلت الأسرة منك إلاّ ... سريرك يوم تحجب بالثياب
وآخر عهدنا بـك يوم يحـثى ... عليك بدابق سهل التــــراب

(ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٧/٣١٩، ٣٢٠.

خروج يزيد بن المهلب من سجن الخليفة عمر بن عبد العزيز

بداية يرد في هذا المقام سؤال يطرح نفسه:

كيف يفكر يزيد في الخروج من حبس عمر بن عبد العزيز وقد رفضه من قبل حين عرضه عليه إلاّ أن يرضى عنه؟

لابد أن هناك دوافع قوية ألجأته إلى التفكير في مثل هذا الأمر، فما هي ؟

لعل أرجحها أنه علم بمرض الخليفة عمر بن عبد العزيز، وهذا يعني أنه في حالة وفاته ستنتقل الخلافة مباشرة إلى يزيد بن عبد الملك، طبقاً لوصية سليمان بن عبد الملك - والمتضمنه أن يكون أخوه يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، ومن الممكن أن ينكّل يزيد ابن عبد الملك بيزيد بن المهلب، وينتقم منه؛ لأنه كان قد أهان أصهاره[1] (وهم آل أبي عقيل) أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان سلّمهم إلى يزيد بغرض تخليص الأموال التي عليهم، ونقلهم إلى البلقاء[2] حين أمره سليمان بن عبد الملك بالتوجه إليها، ويذكر أنه كان فيمن أتي به زوجة يزيد بن عبد الملك (أم الحجاج) وقيل أخت

---

(١) يطلق على أهل بيت المرأة (الزوجة) أصهار، وأهل بيت الرجل أختان (الزبيدي: تاج العروس ٣/٣٤٤).

(٢) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان، ومنها مدينة الشراة وفيها الحميمة، ومنها مآب، والصّلت.. التفاصيل (ياقوت: معجم البلدان ١/٤٨٩، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص ١٨٨، ١٨٩).

لها، فعذبهّا يزيد بن المهلب... فجاء يزيد بن عبد الملك إلى منزل يزيد ابن المهلب وقال له: لئن وليت من الأمر شيئاً لأقطعنّك عضوًا عضوًا... فكان يخشى ذلك في كل مرة [(١)].

وكانت خطة يزيد للهرب أنه أمر مواليه الذين كانوا معه بالشام أن يعدوّا له إبلاً يهرب عليها وضرب لهم موعداً حدّده لهم، فلما أثقل المرض عمر بن عبد العزيز قرر الهروب بعد أن صانع الحراس بألف دينار، وتوجه إلى أتباعه في المكان، الذي ضربه لهم، فوجد الرواحل في انتظاره، فركبها ومعه زوجته عاتكة[(٢)] - إلى بلاد العراق [(٣)].

ومما يجب التنويه إليه أنه حين بَعُد يزيد بن المهلب عن السجن متجهاً إلى بلاد العراق أحسّ بالندم، إلاّ أنه لم يرغب في العودة إلى دمشق مرة ثانية، ورأى أن يكتب إلى الخليفة يبين له أنه لم يخرج من حبسه كراهية له أو لتخوفه منه، وأنه لو كان يعلم أنه سيبقى على قيد الحياة لبقي في محبسه حتى يخرجه الخليفة بنفسه، لكنه لم يأمن على نفسه من يزيد بن عبد الملك، فقال عمر بن عبد العزيز: ((اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شَرَاً فأكفهم شرّه، واردد كيده في نحره))[(٤)].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٦٤/٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٥/٤، ووردت مختصرة في (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٦/٣).

(٢) هي عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي - وبنو البكاء بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية... ومن منازلهم فلجة ودار الحكيم - انظر التفاصيل في: (ياقوت: معجم البلدان ٤١٩/٢، ٢٧٢/٤ - السيوطي: لبّ الألباب في تحرير الأنساب ١٣٩/١ - كحالة: معجم قبائل العرب ٩٠/١).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٥٦٤/٦، ٥٦٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٥٦٤/٦، وفي رواية: " اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه وهضه فقد هاضني " (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٥/٤، ٣٢٦، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٧/٣).

بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب

موقف والي البصرة من يزيد بن المهلب

ما أن نمى إلى أسماع يزيد بن عبد الملك خروج ابن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز - قرب وفاته -[1] حتى ذهب ظنه إلى أن الرجل سيقاتله، مما دفع به إلى التعجيل بمكاتبة والي البصرة - عدي ابن أبي أرطاة - يخبره بوفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتوليه الخلافة، ويعلمه بخروج ابن المهلب من حبسه، ويحذّره منه. ويبدو أن عدّياً فهم كلام الخليفة على أن يقوم بطلب يزيد وإخوته - وعلى رأسهم المفضل وحبيب ومروان وحماد - وإلقاء القبض عليهم[2].

ولا شك أن هذه الأخبار وصلت يزيد بن المهلب، لذلك لزم الحذر الشديد في كل تحركاته، وكان لا يرغب في الدخول في مواجهة مع خليفة المسلمين، بل كان يطمع في أمان منه ينهي أسباب الخلاف بينهما، خاصة وأنه كان كارهاً لدخول الحرب أصلاً، فكيف إذا كانت هذه الحرب مع الخليفة نفسه؟!

إنه فعلاً كان يتحاشى ذلك لأن هذا يعني المخالفة الصريحة لخليفة المسلمين، الذي تم عقد البيعة له من الجميع، ويعني أيضا الصدام

(١) توفي بدير سمعان لعشر ليالٍ بقين من رجب سنة ١٠١ هـ / ٧١٩م، وله من العمر تسعة وثلاثين سنة وأشهر، وكانت خلافته سنتين وخمسه أشهر.. التفاصيل (المزي: تهذيب الكمال ٢١/٤٣٣، الجوزي: صفوة الصفوة ١/٧٤).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/١.

المسلح مع الأمويين، وربما كان العامل العسكرى له أثر كبير في عدم التفكير في الحرب في هذا الوقت. يقول ابن أعثم الكوفي[1] ((إن يزيد بن المهلب قدم من حبسه إلى العراق ومعه عدد لا يتجاوز مائة أو أقل من ذلك)).

ولنا أن نستعرض المحاولات التي قام بها ابن المهلب للتقرب إلى عدّي من أجل اطلاق سراح أهله وذويه من الحبس، حتى يكون ذلك باباً يسهل الولوج منه إلى الأمان، الذي يعدّ الركيزة الأساسية لحل مشكلاته مع الخليفة، فقد رفض في البداية التعرض لسعيد بن عبد الملك بن مروان وأصحابه[2] - وكانوا في مدخل البصرة، كما لم يحارب هشام ابن المساحق، وكان قد بعثه عامل الكوفة(عبد الحميد بن عبد الرحمن) ليقاتل ابن المهلب، حين مرّ بهم عند جهة العذيّب[3]، ولم يحاربهم، كما أنهم تردّدوا في قتاله، وخافوا منه، حتى أنه قال أحد الشعراء - لم توضح المصادر اسمه -:

وسار ابن المهلب لم يعّرج وعرّس ذو القطيفة من كنانة

وياسر والتياسر كان حزماً ولم يقرب قصور القطقطانة[4،5]

(١) الفتوح: ٨/٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٧٨/٦.

(٣) العذيب موضع بالبصرة (ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنه والبقاع٩٢٥/٢).

(٤) القطقطانة: موضع قرب الكوفه من جهة البرّية بالطفّ به كان سجن النعمان بن المنذر، وكان قد وصل إليها يزيد ثم تركها متجهاً نحو البصرة (ياقوت: معجم البلدان ٣٧٤/٤).

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٥٧٩/٦ وذكر في رواية أخرى:

وسار ابن المهلب في نفير وأحجم عنه شيخ بني كنانة

وعرّس والبنان كان حازماً ولم يعرف قصور القطقطانة

(ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣٥٢/٨).

لكن عدّياً في المقابل كان حريصاً على إعلان الحرب الصريحة ضد ابن المهلب، فقد دعا أهل البصرة، ولما اجتمعوا إليه بعث على كل خمس من أخماسها رجلا، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد العتكي، وعلى خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي (من بني منقر) وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع (من بني قيس بن ثعلبة) ثم نقلها إلى نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع، وعلى خمس عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود، وعلى أهل العالية [1] عبد الأعلى بن عبد الله القرشي [2].

أمام هذه التطورات كان المتوقع أن يستعد ابن المهلب ويثير الجانب اليمني معه - والذين يشكلون في العراق نسبة كبيرة - إلاّ أنه آثر السلامة، وأحسن الظن في الخليفة يزيد، وعدّ أن هذا التصرف جاء من تدبير عدّي، ولو علم به الخليفة لم يكن ليوافقه عليه، وبناءً على ذلك اجتهد وأهل بيته في إجراء محاولات للوصول إلى صلح مع عديّ الذي أعدّ عدته للقتال والمواجهة.

ووجدت بعد ذلك أمور تدل على أن آل المهلب آثروا السلامة، منها:

أن محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حبس - قد انضم إلى أخيه يزيد برجاله وأهل بيته ومواليه وهذا وضع طبيعي في مثل هذه الظروف الصعبة، إلاّ أنه رفض أن يقاتل من مرّ عليهم من تلك القبائل التي

(١) وهي قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٣٤).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٠.

جمعها له عديّ، كما رفضوا هم كذلك التعرض له حينما رأوه قد آثر العافية والسلامة، وحينما حاول المغيرة بن عبد الله الثقفي التعرض ليزيد بن المهلب وأتباعه تجنبوا الاصطدام به، خاصة حينما خوّفهم محمد بن المهلب بخيله [١].

ومنها ما قام به عبد الملك بن المهلب الذي طلب من عدي بن أبي أرطاة أن يأخذ ابنه حميداً مكانه في السجن ليقوم هو بدور الوساطة، فيضمن له رجوع أخيه يزيد عن البصرة، فرفض عدي ذلك [٢].

ومنها: الجهود الفردية التي قام بها حميد بن عبد الملك بن المهلب، فقد رأى أنه من الخير له ولأسرته أن ينطلق إلى الخليفة ليطلب منه الأمان لعمه يزيد بن المهلب ولأهل بيته [٣].

ومما يذكر في هذا الصدد أيضاً أن يزيد بن المهلب أرسل إلى عدي ابن أبي أرطاة يقول له: «أيها الأمير إنك حبست إخوتي ومالي وأهل بيتي بلا ذنب كان منهم إليك، وذلك أني أنا المطلوب، فأخرجهم من حبسك، وأنا أصالحك على: أني لا أدخل البصرة ولا أقربها، وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي الأمان من أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك» فرفض ذلك عدي [٤]. خوفاً منه أن يكون وراء ذلك خديعة وتغرير به.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٧٩/٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٧٩/٦، ٥٨٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٦٧/٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٤/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٧/٣.

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣/٨، ابن الجوزي: المنتظم ٦٧/٧.

وباءت كل هذه المحاولات من أجل الصلح بالفشل وانتهت إلى طريق مسدود، لذا لا نعجب بعد ذلك إذا علمنا أن ابن المهلب اجتهد لإخراج نفسه وأهل بيته من المأزق الذي وضعوا فيه، فرأى أن ذلك لن يتحقق له إلا بأناس يعمل على استمالتهم إليه بشتى الطرق والوسائل، خاصة وأنه أصبح في نظر الناس خارجاً عن الطاعة، ولن يسانده أحد مهما كانت الحال، فنجده أخذ يعطي من أتاه من الناس أموالاً كثيرة- قيل: إنها كانت قطعاً من الذهب والفضة - حتى مال بعض الناس إليه كعمران ابن عامر بن مسمع، وربيعة، وبقية تميم وقيس، وناس فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع، ومعهم ناس من أهل الشام، حتى اجتمع له ثلاثة آلاف [1]، في حين قدّر عدد جيش عدي بعشرين ألفاً [2]، وهم من قيس عيلان وبني تميم، إلا أنه - أي عدي - رفض أن يعطي من انضم إليه سوى الدرهمين [3]،وهذا تصرف حكيم من عدي ويثاب عليه، فأمانته على بيت المال بلغت به الحدّ الذي لا يخرج منه شيئاً إلاّ بإذن الخليفة.

ويقول: ((لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلا بأمر يزيد ابن عبد الملك، ولكن تبلّغوا بهذا حتى يأتي الأمر في ذلك)) [4].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٠.

(٢) غالبا ولاة العراق لا يقل عدد جيشهم عن ذلك إن لم تزد، وكانت أقل مرة في العصر الأموي تقريبا اثني عشر ألفا، خاصة وأنها منطقة مشاكل للخلافة الأموية منذ وصول علي ﷺ، واستشهاد الحسين بها: والخوارج والشيعة، فكانت الخلافة تحرص على بقاء قوات كبيرة بها.

(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/٣، ٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٣٥، وذكر أنه قال:" اعلموا أنه ليس يتهيأ لي أن أفتح لكم بيت المال في وقتي هذا، ولا أن أعطيكم منه شيئاً إلا بإذن أمير المؤمنين، ولكني أمرت لكم بنفقة من مالي فخذوها، وتوزعوها بينكم، فإذا أنا فرغت من يزيد بن المهلب كتبت إلى أمير المؤمنين=

يقول الفرزدق[1] في ذلك:

أظن رجال الدرهمين تسوقهم   إلى قدر آجالهم ومصارع
وأحزمهم من قرّ في قَعْربيتــه   وأيقن أن العزم لابدّ واقــــع

وإذا كان ابن المهلب قد أهمه كثيراً التفكير في الوصول إلى قصر البصرة، وإخراج من فيه من أهله وذويه من غير إراقة دماء، وعلم أن ذلك لن يتأتي له دون صدام مباشر بأتباع عديّ الذين يقفون له بالمرصاد، فعليه إذاً أن يعجلّ بالمسير إليهم؛ فالانتظار ليس في صالحه، وهذا ما دفع به إلى التحرك في شهر رمضان المبارك سنة ١٠١هـ/٧١٩م[2] فكان لزاماً أن يلتقى بقوى عديدة من أهمها:

أولاً: بنو عمر بن تميم بالمربد[3] حيث تصدى لهم مولى له[4] يدعى دارس، وكان فارساً بطلاً فجعل يرتجز ويقول:

أنا غلام الأزد اسمي دارس   ليث غضوض هرت خنابس
إن تميما ساء مــا يمــارس   إذا التقينا فــارس وفارس[5]

فحمل عليهم وفرّقهم يمنة ويسرة وقتل منهم جماعة، وجرح منهم خلقاً كثيراً، فقال الفرزدق:

= بذلك، ثم إني أضع لكم الأرزاق، فأعطي كل رجل منكم على قدر ما أرى منه فيما قد عزمت عليه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/٤).

(١) ديوان الفرزدق ١/٤٢١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٠.

(٣) من أشهر محال البصرة، وكان سوقاً قديما للإبل، ثم صار محلّة عظيمة سكنها الناس،وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء – التفاصيل (ياقوت: معجم البلدان ٥/٩٨)

(٤) وقيل غلام لحبيب بن المهلب (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/٥).

(٥) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/ ٥.

تصدعت الجعراء إذ صاح دارس ... ولم يصبروا عند السيوف الصوارم

جزى الله قيسا عن عدي ملامة ... وخص بها الأدنين أهل الملاوم

هم قتلوا مولاهم وأميرهم ... ولم يصبروا للموت عند الملاحم[1]

ثانيا: حربه لبني تميم وقيس وأهل الشام في جبانة بني يشكر - وهي في المنتصف فيما بينه وبين القصر - فحمل عليهم محمد بن المهلب حملة شديدة، ومما يذكر في هذا المجال أنه أغار على مسور بن عباد الحبطي بسيفه فقطع أنف البيضة[2]، ثم أسرع السيف في أنفه، كما بادر هريم بن أبي طحمة بن أبي نهشل بن دارم، فرماه عن فرسه، فوقع فيما بينه وبين الفرس، وقال: هيهات هيهات! عمك أثقل من ذلك[3].

ثالثا: مواجهته لعدي بن أبي أرطاة الذي أغاظه اقتراب ابن المهلب من القصر، وبالفعل دار بينهما قتال شديد تمكن فيه يزيد من إحراز النصر على عديّ، وقتل عدداً كبيراً من أصحابه، وعلى رأسهم موسى ابن الوجيه[4]، فبادر بعض أصحابه - عبد الله بن دينار، وكان على رأس حرس عديّ - مسرعاً إلى السجن الذي به إخوة يزيد وأهله

(١) ديوان الفرزدق: ٢/٢٢٤.

(٢) لباس للرأس من حديد، وهي الخوذة يلبسها المقاتل وقاية من ضربات السيوف ونحوها، وسميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام. (ابن منظور: لسان العرب ٧/١٢٥).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٣٥.

ليقتلهم، لكنهم سبقوه - حينما سمعوا وقع النشاب تقرب من القصر[1] - وأغلقوا الباب دونه، فلم يستطع فتحه عليهم، وظلوا على تلك الحال حتى انقذهم أنصار أخيهم يزيد وأخرجوهم.

وكان ابن المهلب قد وصل إلى دار سلم بن زياد بن أبي سفيان - وهي إلى جانب القصر - وأتي بالسلالم، وتمكن بعض أصحابه من تسلق بعض أنحاء سور القصر وفتح أبوابه، فدخل يزيد وأخرج من كان في الحبس من إخوته وأهله، وقبض على عديّ بن أبي أرطاة، ودار بينهما حديث هو في غاية الأهمية، فهو يطلعنا على مدى ما وصلت إليه العلاقه بينهما: دخل عديّ على يزيد بن المهلب وهو يبتسم، فقال له يزيد: لم تضحك ؟ فوالله إنه لينبغي أن يمنعك من الضحك خصلتان، إحداهما: الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها، والأخرى: إني أتيت بك تجّر كما يجرّ العبد الآبق إلى أربابه، وليس معك مني عهد ولا عقد، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدي: أما أنت فقد قدرت عليّ، ولكني أعلم أن بقائي بقاؤك، وأن هلاكي مطلوب به من جرّته يده؛ إنك قد رأيت جنود الله، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر والنكث، فتدارك فلتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة، قبل أن يرمي إليك البحر بأمواجه، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تُقل، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم

(١) قال عبد الملك بن المهلب حين سمع صوت النشاب تقرب من القصر - إني أرى النشاب تقع في القصر وأرى الأصوات تدنو ولا أرى يزيد إلاّ قد ظهر، وإني لا آمن مَنْ مع عديّ من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل يزيد إلى الدار، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً. (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٢).

إليك وجدتهم لك مباعدين، وما لم يشخص القوم إليك فلم يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك [1]..

فردّ عليه يزيد بن المهلب: أما قولك إن بقاؤك بقائي، فلا أبقاني الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقيني إلاّ بقاؤك؛ وأما قولك: إن هلاكك مطلوب به من جرّته يده؛ فوالله لو كان في يدي من أهل الشام عشرة الآف إنسان ليس فيهم رجل إلاّ أعظم منزلة منك فيهم ثم ضربت أعناقهم في صعيد واحد لكان فراقي إياهم وخلافي عليهم أَهْوَنَ عندهم وأعظم في صدورهم من قتل أولئك، ثم لو شئت أن تهدر لي دماءهم، وأن أحكّم في بيوت أموالهم وأن يجوّزوا لي عظيما من سلطانهم، على أن أضع الحرب فيما بيني وبينهم لفعلوا؛ فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخيارنا إليهم، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلاّ لأنفسهم، لا يذكرونك ولا يحلفون بك. وأما قولك: تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل، فوالله ما استشرتك ولا أنت عندي بوادّ ولا نصيح، فما كان ذلك منك إلاّ عجزاً وفضلاً، ثم أمر بحبسه.

كان عدي ينظر إلى ابن المهلب وأهل بيته نظرة استحقار واستهجان، فنراه قد أصرّ على عدم إطلاق سراحهم من ذلك السجن الذي وضعوا فيه حينما طلب منه يزيد بن المهلب ذلك، مقابل ألاّ يتعرض للبصرة، وطلب آخرون - من آل المهلب - أن تتاح لهم فرصة الصلح فأبى كذلك، وها هو - بعد أن وقع في أسر يزيد يضحك استهتاراً بشأن من قبض

(١) تاريخ الأمم والملوك ٦/٥٨٢، ٥٨٣، ورواية ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/ ٦ - ٨ قريباً من هذه الرواية.

عليه، ويهدد يزيد بالقتل إن فكر في قتله، كما خوّفه بجنود الشام وأنها ستقذف بأمواجها عليه، وعرض عليه أخيراً أن يعلن توبته بعد زلاته ويسلم نفسه إلى الخليفة صاغراً.

مما دفع بابن المهلب إلى أن يذكر له أنه أعظم وأكبر من أن يهدده شخص مثل عدي، وأن أهل الشام أو غيرهم لا يهمهم بقاء عدي أو ذهابه، ومع هذا كله رفض يزيد قتله، لا خوفاً منه ولكن لأنه لم يسيء إليه، وعامله بنفس المعاملة التي عامل بها إخوته وأهل بيته، حيث أمر بحبسه، وقال له: ((إن حبسي إياك ليس إلاّ لحبسك بني المهلب وتضييقك عليهم، فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم، فلم تكن تألوا ما عسّرت وضيّقت وخالفت)) [(1)] وهذا يعني أنه لولا حبسه لهؤلاء لما أمر يزيد بن المهلب بحبسه، فسرّ عديّ بهذا الخبر وأمن على نفسه بعد ما كان يجول بخاطره الموت المحقق، حتى يقال: إنه أخذ يحدث كل من دخل عليه الحبس لشدة فرحه بذلك.

ولعل السبب في حبس يزيد عديّاً دون الإقدام على قتله، أنه لم يتعرض لأهله بسوء، وكذلك لعله لا يريد تصعيد الأمور إلى درجة لا تحمد عقباها - بقتله لوالٍ أموي - وقد يكون في هذا خيط يوصل للأمان الذي يطلبه.

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٣.

بين يزيد بن المهلب وأهل البصرة

بعد أن ظهر يزيد بن المهلب على عديّ بن أبي أرطاة انقسم أهل البصرة إلى ثلاثة أقسام:

قسم انضم إلى ابن المهلب ومنهم السميدع الكندي[1]، وأصبح الاعتقاد السائد لدى هؤلاء أن يزيداً أصبح الخليفة بدلاً من يزيد بن عبد الملك، حتى إن إحدى حظاياه جاءت إليه وقالت له: السلام عليك ياأمير المؤمنين، فقال لها بشر بن قطية الأسدي:

رويدك حتى تنظري عمّ تنجلي عماية هذا العارض المتألق[2]

وقسم لحق بعامل الكوفة - عبد الحميد بن عبد الرحمن - وفي مقدمتهم رءوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر وأعلنوا أنهم مازالوا على بيعتهم ليزيد بن عبد الملك، ورفضوا الانضمام لابن المهلب،.

والقسم الثالث: رغب في الاتجاه إلى بلاد الشام مركز الخلافة، ومنهم المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي[3]، وفيهم قال الفرزدق:

فدىً لرؤوس من تميم تتابعوا إلى الشام لم يرضوا بحكم السميدع

أحكم حروري مـن الديـن مارق أضلّ وأغـوى مـن حمار مجدع[4]

فأجابه خليفة الأقطع:

---

(١) من بني مالك بن ربيعة من ساكني عمان... (الطبري: تاريخ الأمم ٥٨٣/٦).

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠٣/٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٥/٤.

(٤) ديوان الفرزدق: ٤٠٩/١.

وما وجهوها نحوه عن وفادة ولا نهزةٍ يرجى بها خير مطمع
ولكنهم راحوا إليها وأدلجوا بأقرع أستاه ترى يوم مقرع
وهم من حذار القوم أن يلحقوا بهم لهم نزلة في كل خمس وأربع[1]

وبعد أن استجاب ليزيد عدد من أهل البصرة والتفوا حوله رأى أن يخطب فيهم، ليتقرب منهم ويبين لهم أنه على رأي أهل السنة والجماعة، والدليل على ذلك أنه بدأ يدعو المخالفين إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وبلغهم أنه لا يطمع في الخلافة وقال: ((ولست أقول بأني خليفة أو أطلبها)) [2]. ثم بيّن لهم أنه رجل مثلهم يعاني ما يعانون، وأخيراً طلب منهم أن يقفوا إلى جانب الحق، ويقاتلوا معه أهل الفتن والنزعات من أهل الشام لاجهاد أهل الشام أنفسهم كما يزعم ابن أعثم الكوفي [3]، فأهل الشام والعراق مسلمون، ولكن بينهم أصحاب نزعات وثورات لابد من مقاومتهم.

وحدث أثناء اجتماع يزيد بأهل البصرة لبس شديد، مما دعاهم إلى الانقسام، فمنهم من أحسن الظن في يزيد، وحمل كلامه على ظاهره ! نظراً لأن المتكلم لم يكن جديداً عليهم فهو القائد الذي كانت له صولات وجولات في قتال الخوارج الأزارقة، فمن المؤكد أنه يهمّه أمر المسلمين جميعاً، سواءً كانوا من أهل البصرة أو من خارجها، وكان في

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٤.
(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/ ٨، ٩.
(٣) الفتوح: ٨/ ٨.

مقدمة هؤلاء النضر بن أنس[١]، فقد تكلم وقال للناس: ((ياهؤلاء إنكم تسمعون الرجل يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فأجيبوا الرجل ولا تخذ لوه))[٢].

والقسم الآخر: أحسّ أنها مؤشرات واضحة لفتنة ستقع بين أهل العراق وأهل الشام، ويبدو أن حادثتي صفين والجمل وماجرّت كل واحدة منهما من ويلات على المسلمين لم تغب عن بالهم ونتيجة لذلك نصح هؤلاء - وفي مقدمتهم الحسن البصري[٣] - الناس بألا ينساقوا إلى تلك الفتنة، لأنها مهلكة لهم ولغيرهم[٤].

وأخيراً مال الخليفة إلى مصالحة ابن المهلب، فقد ذكر أنه أصدر موافقته على دفع الأمان له[٥] مع خالد بن عبد الله القسري[٦]، وعمرو بن يزيد الحكمي[٧].

---

(١) ابن النضر بن ضمضم بن زيد... بن عديّ بن النجار، وكان ثقة وله أحاديث، روى عن أبيه أنس، وبشير بن نهيك. التفاصيل في (ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩١/٧، المـزي: تهذيـب الكمال ٣٧٥/٢٩، ٣٧٦).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/ص ٨، ٩.

(٣) أبو سعيد مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .. التفاصيل في (ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢٤٣/٢، ٢٤٤).

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨ / ص ١٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٤/٤.

(٦) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أبو القاسم، ولاّه الوليد بن عبد الملك مكة وعزله عنها سليمان بن عبد الملك، وولي العراق سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤ م من قبل هشام بن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م.. وقتل سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣ م وهو ابن ستين سنة (ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩٣/٣، الزركلي: الأعلام ٢٩٧/٢).

(٧) أبو بريد الجرمي البصري... التفاصيل (المزي: تهذيب الكمال ٣٠١/٢٢، ٣٠٠).

وحدث تطور خطير، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يلتقي خالد القسري وعمرو الحكمي برجل يدعى الحواري بن زياد العتكي [(١)]- وكان هو وأهل بيته ممن يكنّون العداء ليزيد وآل المهلب لذا عمل على تثبيط عزيمة هؤلاء الرجال وطلب منهم أن يعودوا من حيث أتوا، وأخبرهم بأنه ليس هناك فائدة تذكر من ذلك الأمان الذي جئتم به من خليفة المسلمين، فقد ظهر ابن المهلب على عديّ وسجنه، إلاّ أن حميدَ بن عبد الملك بن المهلب - وكان قد صحبهما - بذل جهوداً مضنية مع الرجلين، وطلب منهما ألاّ يسمعا كلام الحواري باعتباره عدواً لعمه يزيد ولأسرته، ونصحهما بمواصلة الطريق، وتبليغ الأمان لصاحبه حسب أمر الخليفة، وذكر لهما أن ابن المهلب على استعداد أن يقبل ذلك منهما [(٢)]، فلم يقبلا كلامه، وعادا إلى الخليفة، وأبلغاه بما سمعا من الحواريّ، فأمر بالاستعداد لمواجهة يزيد على الفور.

قيل: إنه جهّز أخاه مسلمة، وابن أخيه العباس بن الوليد في سبعين أو ثمانين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة[(٣)]، فقدموا الكوفة ونزلوا النخيلة [(٤)].

---

(١) الحواري بن زياد العتكي، كان وأهل بيته ممن يكنون العداء ليزيد بن المهلب، لذلك أوقعوا بينه وبين الخليفة يزيد بن عبد الملك، مما ترتب عليه قتل ابن المهلب سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م (الطبري: تاريخ الأمم ٥٨٤/٦، الذهبي: العبر في خبر من غبر ٩٣/١، ابن العماد: شذرات الذهب ١٢٤/١).

(٢) قال حميد لهما: أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بعثتما به ! فإن يزيد قابل منكما، وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا أعداءً، فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته (الطبري: تاريخ الأمم ٥٨٤/٦).

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٨/٣.

(٤) موضع قرب الكوفة على سمت الشام (ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ١٣٦٦/٣).

يستنتج مما سبق أن أسباب الخلاف وتصعيده بين الفريقين كانت:

الحذر القائم بين كل من الخليفة يزيد ويزيد بن المهلب، فمنذ أن أدخل ابن المهلب سجن عمر بن عبد العزيز - بتهمة احتوائه لأموال خراسان - وهو يفكر في اليوم الذي سيتولى الخلافة فيه يزيد بن عبد الملك، لاحسداً منه على ما سيؤتيه الله تعالى من الجاه والسلطان، ولكن خوفاً من القتل، باعتباره هدّده قبل ذلك أيام سليمان بن عبد الملك.

كراهية بعض الناس ليزيد بن المهلب وأهل بيته، وفي مقدمة هؤلاء الحواري العتكي الذي أشعل نار الخلاف بين الفريقين بإشاعته أخباراً مكذوبة عن البصرة ويزيد بن المهلب ...

وربما كان للعصبية القبلية دور في تصعيد الخلاف بين الجانبين، فالمعروف أن العناصر اليمنية حين علمت بالموقف تحركت عصبيتهم ليزيد - باعتباره من سكان عمان - فانساق إليه من كان في البصرة منهم، وشاركهم القسم الآخر الذي يقطن خراسان، فقد بعثوا إليه بكتب يحرضونه في بعضها على حرب الأمويين، ويسطرون في بعضها الآخر أبياتاً من الشعر التي تشحذ همم آل المهلب ضدّ الأمويين، يقول ثابت بن كعب الأزدي (١) ليزيد بن المهلب:

أيزيد كن في الحرب إن هيجتها ... كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا
أثر المجرب في الحروب ولم تزل ... ناراً تسعر للعداة جديداً

(١) ويكنى أبا العلاء، ولقب ثابت قطنة ! لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه، فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة... التفاصيل (الأصفهاني: الأغاني ١٤/٢٥٥).

ما كان في أبويك قادح هجنـة فيكون زندك في الزنود صلـودا
ياليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا لأمرك بالعراق شهودا
فترى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشرفية يوقـدون وقـودا[1]

وأشك أن يكون الخوارج سببا في إيقاد الحرب بين الجانبين، حتى مع وجود بعض من يرى رأي الخوارج فيهم - كالسميدع الكندي[2] فيزيد ابن المهلب يعلم خطورة هؤلاء وفساد عقيدتهم، فكيف يستعين بهم، حتى ولو أَقنعوه بالتوبة والرجوع إلى الإسلام تقية منهم، فمعروف أنهم من أشدّ الناس تمسكاً بمبادئهم لا يحيدون عنها، وغالباً يرفضون التقية ولا يجيزونها كالشيعة والإسماعيلية وغيرهما.

(١) ..... التكملة في (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/ص ١١، ١٢، وللاستزادة راجع الأصفهاني: الأغاني ١٤/٢٦٨، ٢٦٩).
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٣.

وقعة العَقْر[1] سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م

ترتب على ما سبق أن كلاً من يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب أصبح مقتنعاً بعدم الوصول إلى صلح يحقن دماء الطرفين، خاصة أن الرسولين لما عادا إلى يزيد بن عبد الملك، وأخبراه أمر يزيد واحتوائه على البصرة لم يكتفيا بذلك؛ بل أضافا أن يزيد بن المهلب رفض الأمان الذي أعطاه إياه الخليفة، وأنهما تركا أهل البصرة يستعدون لحربه.

مرحلة الاستعداد للطرفين(شهر ذي الحجة سنة ١٠١هـ / ٧١٩م)

اكتفى الخليفة بتصديق الأخبار التي وصلته عن يزيد بن المهلب وأهل البصرة على لسان الوفد الذي كان قد بعثه بالأمان إليه، وحاول أن يكسب الوقت لخوفه الشديد من أهل العراق الذين عُرف عنهم حبّ المخالفة والخروج عن الطاعة، فلابد من التعجيل إذاً لقتالهم، ولكن حاول أن يستميل أهل الكوفة إلى جانبه أولاً لأمور منها:

أن نفوسهم تميل إلى ولاية يزيد بن المهلب على أي رجل من أهل الشام من قبل الأمويين، كما أن فيها رؤوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر، وهؤلاء قد فرّوا من وجه يزيد بن المهلب حين احتوى البصرة بما فيها، ويخشى أن يفكروا في العودة إليه مرة أخرى إذا لم يجدوا من يستميلهم ويمنّيهم، وفي عودتهم خطر عظيم يهدد جيوش الدولة الأموية القادمة إلى هذه المنطقة، فبعث إليهم رجالاً من

---

(١) وهي المقصودة بعقر بابل قرب كربلاء من الكوفة وهي قرية تعوّذ منها الحسين بن علي رضي الله عنه حين أحاطت به خيل عبيد الله بن زياد.. التفاصيل في (ياقوت: معجم البلدان ٤/١٣٦).

أهل الشام يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم للخليفة، ويعدونهم الزيادة في وقت قريب، خاصة وأن عديّ بن أبي أرطاه لم يعطهم سوى درهمين درهمين، بينما أعطى ابن المهلب من جاءه قطعاً من الذهب والفضة. وكان لهذا العمل من الخليفة أثره الكبير في نفوسهم، حيث أخذوا يستعدون لدخول حرب فاصلة ضدّ يزيد بن المهلب وأتباعه [1].

وسيّر العباس بن الوليد بن عبد الملك في عشرين ألفا من أهل الشام، فاتجهوا ناحية الحيرة حذاء أهل الكوفة، وسيّر أخاه مسلمة بن عبد الملك في ثلاثين ألفا باتجاه الأنبار [2] وهذا العدد (أي خمسين ألفا) لا يتعارض مع ما حدده بعضهم - سلفاً - بسبعين أو ثمانين ألفاً تقدموا من بلاد الشام والجزيرة صوب النخيلة بالكوفة [3] ! فالذين قدموا من بلاد الشام خمسون ألفا، وانضم إليهم من أهل الجزيرة عشرون أو ثلاثون ألفاً، فيصبح العدد جميعه ثمانين ألفا على أكثر تقدير.

ولا أشك في أن يزيد بن المهلب كان يعلم يقيناً منذ هروبه من السجن أنه ستأتي اللحظة التي يواجه فيها قوات الخلافة، لكنه قد استبعد قدوم مثل هذه الأعداد، وقد رفض ما أشار به عليه أخوه حبيب من آراء عديدة. حيث نصحه أن يترك البصرة ويتجه إلى شعاب

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٨٥، ٥٨٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/١٢.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٧٨، وفي رواية: وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بن المهلب بها (ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٢٢٨).

خراسان للاستعانة بأهلها فأبى، لأن ذلك يعدّ فراراً من الميدان "ويبقى صاحبه كأنه طائر على رأس جبل" على حدّ تعبيره [1].

ثم طلب منه أن يسرّح خيلاً كثيرة إلى أرض الجزيرة، لتقوم بحجز جنود أهل الشام القادمة نحو البصرة، وبعدها يسير يزيد إليهم وبصحبته أهل الموصل وأهل العراق والثغور فيقاتلهم في تلك الأرض الرخيصة السعر، فرفض ذلك أيضاً لأن فيه تمزيقاً واضحاً لجيشه[2]، وفضل لقاء أهل الشام دفعة واحدة ووجهاً لوجه [3] مع علمه الكامل بالفارق بين جنده وجند أهل الشام، في حين يرى بعض المؤرخين أن العكس هو الصحيح، ويقدر عدد عسكر ابن المهلب بمائة وعشرين ألفاً [4]، وهذا لا شك فيه مبالغة واضحة لا يمكن إخفاؤها، فمن أين له هذا العدد وقد انقسم أهل البصرة إلى ثلاثة أقسام سار معه أحدها فقط، وحتى لو افترضنا وقوف العناصر اليمنية معه فهذا لن يمكّنه من الوصول إلى العدد المذكور، لكن في تقديري أن ابن المهلب لم يتجاوز عدد من سار معه ثلث ذلك فقط، (أي أربعين ألفاً) على أكثر تقدير.

وبينما كان مروان بن المهلب - وكان قد استخلفه يزيد على البصرة قبل خروجه منها - يحرض الناس في البصرة على الخروج مع أخيه يزيد استعداداً للقتال معه، كان الحسن البصري - يرحمه الله تعالى -

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٨٨/٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٨/٤.

(٣) وكان يقول والرأي عندي هو مصادمة القوم لي كانت أم عليّ (ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٢/٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٩/٩، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٨/٣.

في المقابل يبذل جهوداً جبارة في الدعوة إلى عدم الخروج لهذه الحرب، ويطلب منهم أن يلزموا رحالهم، ويكفوا أيديهم، ويتقوا الله في أنفسهم، ثم نهاهم عن أن يقتل بعضهم بعضاً لأنهم جميعاً مسلمون، وبين لهم أنها لا تعدو أن تكون فتنة كبقية الفتن التي سبقتها، وكان مما قال في هذا المجال: إنها لم تكن فتنة إلاّ كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي، فمن كان خفياً فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً، وكفى له بها من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفاً شريفاً فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك فواهاً لهذا ! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله، فهذا غداً - يعني يوم القيامة - القرير عيناً الكريم عند الله مآباً » [1].

وكره مروان بن المهلب ما يقوم به الحسن البصري، وانتقده، وعدّه محاولة للمطالبة بالحق وإنكار المظالم، وحاول إسكات الحسن البصري [2]، لكن الذي يعرف عن الأخير أنه لا يخاف في الله لومة لائم، مما جعله يستمر فيما يدعو إليه الناس من منعهم من الخروج مع يزيد، لئلا تكون

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٤.

(٢) وكان مما قاله له: والله لو أن جاره نزع من خصّ داره قصبة لظلّ يرعف أنفه، أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا وأن ننكر مظلمتنا.. (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٤).

فتنة يذهب في تيارها المسلمون من الطرفين، فكفّ مروان عنه لعلمه أنه على الحق[1].

وسار يزيد بن المهلب بمن معه من الناس حتى نزلوا بواسط العراق، فأقام بها أياماً يسيرة، وكان ممن جاءه فيها يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وقال له:

إن بني مروان قـد باد ملكهم فإن كنـت لـم تشعر بذلك فاشعر

فرد عليه ابن المهلب: ما شعرت، فقال يزيد بن الحكم:

فعش ملكاً أو مت كريماً وإن تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال ابن المهلب أما هذا فعسى[2].

وبعد أن تكامل عسكره ودخل شهر محرم من سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠ م[3]. دعا بابنه معاوية، فاستخلفه على واسط[4]، وجعل عنده الأموال والخزائن، ثم خطب في أتباعه قبل مغادرته تلك البلاد، وكان مما قال:" ياأهل العراق، ياأهل السّبق والسّباق، ومكارم الأخلاق إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة زبّبت لها الأشداق[5]، وقاموا لها على ساق، وهم

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٤/٦.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٦/٦.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٨/٤.
(٤) وقيل استخلفه على البصرة (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠٣/٦).
(٥) مفرده شدق وهو: طفطفة الفم من باطن الخدين، والمعنى اجتمع الريق في جوانبها (الزبيدي: تاج العروس ٣٩١/٦)..

غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور (أي أظهروا لهم الغضب)[1].

ثم اتجه نحو الغرب حتى مرّ بفم النيل، ونزل عند العقر من أرض بابل، وعزم على لقاء الأمويين، وما أن علم مسلمة بن عبد الملك - قائد جيوش الأمويين - بموقع نزوله، حتى أمر بعقد جسر على نهر الفرات وعبر الناس معه من قبل قرية يقال لها فارط[2]، ثم أقبل حتى نزل قريباً من عسكر ابن المهلب، وسمع العباس بن الوليد بذلك، فاتجه هو أيضا ليعبر الجسر ويساند عمه مسلمة ويقف إلى جانبه[3].

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٤١٠.

(٢) لم أجد لها ذكراً في المعاجم، ويظهر أنها قريه صغيرة جداً، وقريبة من الفرات.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٣٩.

مراحل اللقاء

المرحلة الأولى: (الأسبوع الثاني من محرم سنة ١٠٢هـ /٧٢٠م):

لم تكن هذه الوقعة الأولى التي تلتقي فيها سيوف المسلمين بعضها ببعض. فلطالما التقت قبل ذلك في صفين والجمل.. إلاّ أن هذه الموقعة - فيما يظهر - لها طابع مستقل، فلقد جاء اللقاء فيها على مراحل عدة -حسب تقديري -.

ففي المرحلة الأولى: رأى يزيد بن المهلب أن أتباعه قد استاءوا من نبأ وصول العباس بن الوليد ومسلمة بن عبد الملك وأهل الشام إلى الميدان، فكان من الضرورة بمكان أن يقوم بشحذ هممهم وشدّ عزائمهم. وتورد لنا المصادر التاريخية والأدبية[١] نصاً لخطبة ألقاها ابن المهلب في قومه، ولعل من المفيد إيرادها لأنها تبرز فوائد جمة ونصها: " أيها الناس إنيّ قد سمعت الناس في عسكري هذا قولهم بأنه قد جاء مسلمة بن عبد الملك، وقد جاء العباس بن الوليد وجاء أهل الشام، فخبروني عن مسلمة فوالله ما مسلمة عندي إلا جرادة صفراء...، وما أهل الشام إلا سبعة أسياف خمسة منها لي واثنان عليّ[٢]،وإنما أتاكم مسلمة والعباس في أناس... زراعون، وفلاحون أوباش وأخناش فلا

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٢/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٥/٨، الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٢٩٢ ٢٩٣ ، المسعودي: مروج الذهب ٢٤٣/٣.

(٢) وفي رواية أخرى وما أهل الشام إلا تسعة أسياف سبعة منها معي واثنان منها علي. (الجاحظ: البيان والتبيين ٢٩٢/١).

يهولنكم أمرهم، فوالله ما لقوا مثل جدّكم وإني لأرجو أنهم ما جاء وا إلا لهلاكهم ولحلول النقمة بهم، وليس يردعهم عن غيهّم إلاّ الطعن في نحورهم، والضرب بالمشرفية على قممهم، فأعيروني سواعدكم ساعة يصطفقون بها هامهم وخراطيمهم[1]، فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بينكم وبين القوم الظالمين ((وزاد الطبري[2]) ((والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلاّ أنا ما برحت العرصة (الميدان) حتى تكون لي أولهم)).

أعطتنا هذه الخطبة تصوراً كاملاً عن وضع جيش أهل الشام، ومتابعة النقاط الهامة فيه من قبل يزيد بن المهلب، ويلاحظ أن ابن المهلب عني بالتقليل من شأن خصمه في الجانب المقابل بهدف رفع معنويات أتباعه، فقال حين سمع تهيبهم من قوى الطرف الآخر: ما مسلمة عندي إلا جرادة صفراء، وفعلاً كان الرجل يلقب بذلك[3] لصفرة كانت تعلوه[4]، لكن يبدو أن يزيد قصد منها في هذا المقام الإنقاص من قدره وقوته، لكن في الواقع هي تستخدم على العكس من ذلك، فقد أشار محمود خطاب[5] إلى أن الجرادة الصفراء تعني

---

(١) جمع خرطوم وهو مقدم الأنف (ابن منظور: لسان العرب ١٢ /١٧٣).

(٢) تاريخ الأمم ٥٩٢/٦.

(٣) الزبيري: نسب قريش ص ١٦٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٤٤/١٠.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٣٥٨، الجاحظ: عظماء من ذوي العاهات ص ٩٩ وفيه " كان مسلمه أصفر الجلد كأنه جرادة صفراء "

(٥) مسلمة بن عبد الملك (مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد - المجلد الثلاثون. ١٩٧٩م. ص ١٤٩).

أنْهم الجراد في اكتساح المزارع، فإذا ألّمت بزرع أو نبات أتت عليه ولم تبق على شيء منه، وهذا يرمز لضراوة مسلمة في الحروب وشدة وطأته على الأعداء.

أما ما قاله عن أهل الشام وسيوفهم فيقصد أن الفوز - لا محالة - حاصل له ولأتباعه.

ويلاحظ أيضا أنه طلب منهم ألا يهولنهم كثرة من جاء، لأنهم خليط من أجناس شتى لا تؤلف بينهم وحدةٌ ولا هدف مشترك.

وطالبهم أن يقاتلوا بطريقة الطعن في النحور والضرب بالمشرفية على القمم ! لأثرهما الواضح في الردع.

وأوصاهم بالصبر والاجتهاد ساعة من الزمن فقط كي يحرزوا النصر على الطرف المقابل.

وأخيراً أقسم بأنه لو انتهى الجيش كله ولم يبق إلا هو في ميدان القتال فلن يفكر قط في الفرار، وهدفه من ذلك مضاعفة الحماس والجدّ في القتال حتى آخر لحظة.

لكن نستبعد أن يعدّ يزيد نفسه من القوم الصالحين والطرف الآخر - وإن كان خصمه - من القوم الظالمين كما أشار بذلك المسعودي[1]. فما نعرفه جميعاً أن الطرفين على الإسلام، ولكن أراد الله أن تكون هذه الفتنة ليمحصهم.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٣/٢٤٣.

وكانت نتيجة هذه الخطبة رفع الروح المعنوية لدى أصحاب يزيد بن المهلب، حيث حمل عبد الملك - أخوه - وأصحابه على العباس بن الوليد مع من انضم إليه من تميم وقيس - الذين كانوا فروا من وجه يزيد بعد دخوله البصرة - ولحقوهم حتى ألجأوهم إلى النهر، إلاّ أن سياسة هريم بن أبي طحمة المجاشعي - الذي كان يكره يزيد بن المهلب ويبغضه - كان لها أثر عظيم في أهل الشام، إذناداهم وطالبهم بالرجوع فأخذتهم الحمّية، فكرّوا على من خلفهم، وهزموهم[1]،فاضطر عبد الملك إلى التراجع مع من بقي معه، حتى لا يتعرض للقتل، وليفكر في طريقة أخرى يهاجم بها خصمه؛ وكان ممن قتل منهم: المنتوف بن بكر ابن وائل مولى لهم، فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل:

تبكيّ على المنتوف بكر بن وائل ... وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما
غلامين شبا في الحروب وأدركا ... كرام المساعي قبل وصل لحاهما
ولو كان حيّا مالك وابن مالك ... إذا أوقدوا نارين يعلوا سناهما

فردّ عليه الجعد بن درهم - مولى سويد بن غفلة:

تبكيّ على المنتوف في نصر قومه ... ولسنا نبكيّ الشائدين أباهما
أراد فناء الحي بكر بن وائل ... فعز تميم لو أصيب فناهما
فلا لقيا روحا من الله ساعة ... ولا رقأت عينا شجيّ بكاهما
أفي الغش نبكي إن بكينا عليهما ... وقد لقيا بالغش فينا رداهما[2]

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٣٩/٤.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩١/٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٩/٩.

الاستعداد للمرحلة الثانية (نهاية شهر المحرم سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م):

وضح ليزيد بن المهلب أن أهل الكوفة قد يميلون إلى جانبه -وبخاصة عند عدم تغيير شيء بعد المرحلة الأولى مما يدل على رجحان كفة الأمويين -؛ لذا حاول انتهاز هذه الفرصة، ولكن عامل الكوفة - عبد الحميد بن عبد الرحمن - أخذ بالاحتياطات اللازمة، فجعل عليهم الأرصاد وعسكر بالنخيلة، وشق بعض الحواجز المائية لمنعهم [(١)].

وفي المقابل كان يزيد يعدّ نفسه جيداً للمرحلة الثانية، فعيّن على كل قبيلة رجلاً منهم، فجعل على أهل الثغور: عبد الله بن سفيان الأزدي، وعلى ربع مذحج وأسد: النعمان بن إبراهيم بن الأشتر، وعلى كندة وربيعة: محمد بن إسحاق بن الأشعث، وعلى تميم وهمذان حنظلة بن عتاب التميمي، ثم جعلهم جميعاً مع أخيه المفضل بن المهلب [(٢)]، واستعفى أخاه عبد الملك الذي لم يحالفه التوفيق في المرحلة الأولى.

ورغب ابن المهلب في هذه المرحلة في تطبيق سياسة جديدة يعجّل فيها بحرب خصمه، وإنهائها في فترة وجيزة ومفهوم هذه السياسة أن يبعث أخاه محمد بن المهلب مع اثني عشر ألفاً من الرجال - وقيل ثمانية الآف [(٣)] - ويقوموا بردم خندق مسلمة بن عبد الملك، ويباغتونه ليلاً، ثم يأتي أخوه في الصباح بمن بقي معه ليساعده في قتالهم [(٤)].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨ / ١٥.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤/٣٣٩، ٣٤٠.

إلاّ أن جماعة ممن كانت تشارك في صفوف يزيد - وهم من أهل العراق وقد نقموا على الأمويين - رفضت تطبيق تلك السياسة، إذ كانت لديها رغبة أكيدة في تمديد فترة القتال بقصد إرهاق نفوس الأمويين، ولأجل أن تنتهي الحرب بقتلهم جميعاً، والدليل على ذلك أنهم أخذوا في تشويه صورة الدولة الأموية (والتي تمثل خلافة المسلمين). فاتهموها بأنها ستظل تعمل بالمكر والغدر والخديعة وغير ذلك، ثم أخذوا بالحطّ من شأن قادتها، وفي مقدمتهم مسلمة بن عبد الملك الذي يواجه يزيد بن المهلب.

لكن الغريب في الأمر أن تذكر الروايات أن يزيدَ هو صاحب هذه التهم [(١)]، وهذا أمر مستبعد جداً، فابن المهلب كان يعرف قدر مسلمة ابن عبد الملك - وإن كان خصمه في الميدان - ويعلم أنه مخلص لأبعد الحدود للبيت الذي جاء منه، ولعل هذه الأبيات من شعره تدل على هذا، قال:

قد كنت أبكي على ما فات من سلفي ... وأهل ودّي جميعاً غير أشتات
فما حياة امرئ أضحت مدامعه ... نوى بكيت على أهل المودات
فالآن إذ فرقـت بينـي وبينهـم ... مقسومة بين أحيـاء وأموات [(٢)]

كما كان يزيد يعرف قدر الدولة الأموية، وأنها تمثل الخلافة الإسلامية، وإن كانت لا تخلو من بعض العلاّت التي لا تكاد أي دولة لا تسلم منها.

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٠.

(٢) ابن شاكر: عيون التواريخ. مخطوط رقم ١٤٩ حوادث سنة ١٢٩. ورقة رقم ٢٠٥.

الجدير بالذكر أن ما تقدم لا يعدو أن يكون دراسة - من يزيد - لأفضل الطرق التي يمكنه من خلالها أن يحارب خصمه بها، وانتهى الأمر إلى أنه عدل عن هذه السياسة وآثر الانتظار، عسى أن يقع الصلح بين الجانبين.

المرحلة الثانية - ١٤ من صفر سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠م. (حرق الجسر):

أما عن مسلمة بن عبد الملك ففي يوم الجمعة الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م[١]. عبأ جيشه، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي، بينما جعل العباس بن الوليد على ميمنته: سيف بن هانئ الهمداني، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي.

كما عمل مسلمة على هدم وحرق الجسر الخشبي الذي أقامه على نهر الفرات للعبور بواسطته إلى ابن المهلب، لأنه يمثل الشريان الرئيسي لخطوط انسحاب قوات ابن المهلب، ويظهر أن مسلمة لم يفكر في عملية الحرق إلاّ بعد أن انتهت المبارزة بين محمد بن المهلب وحيان النبطي بتغلب محمد[٢].

وفي المقابل عبأ يزيد بن المهلب جيشه أيضاً، وجعل على ميمنته حبيب، وعلى ميسرته المفضل ابنا المهلب[٣].

وبالفعل أرسل مسلمة فرقه من جيشه - بقيادة الوضاح - أحرقت الجسر، ولما تصاعد دخانه، وعلم أصحاب يزيد بخبر الحريق ضعفت معنوياتهم، ودار قتال بين الجانبين هزم فيه أصحاب يزيد.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٨٠/٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠٥/٦، الذهبي: العبر في خبر من غبر ٩٣/١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٨/٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٥/٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٠/٤.

ولا شك أن يزيد بن المهلب حين بلغته تلك الأخبار، وعلم أنه لم يبق في الميدان إلاّ فئة قليلة، استاء جداً وقال: ((قبّحهم الله بقّ[1] دُخّن عليه فطار))[2] ولما حاول ردّ المنهزمين إلى مواقعهم تكاثروا عليه، فتركهم وشأنهم، وقال لمن بقي من أصحابه: ((يرحمهم الله غَنَمٌ عدا في نواحيها الذئب))[3].

ولم يبق أمام يزيد إلاّ أن دعا مسلمة إلى مبارزته وجهاً لوجه، وقال له: ((هل لك أن تبرز لي وتعفي الفريقين من القتال))[4]. ولكن مسلمة رفض مبارزته لما يعرفه عن يزيد من أنه فارس العراق قاطبة[5] ويظهر أنه سمع كلام أصحابه الذين استشارهم في لقاء يزيد من عدمه. حيث بيّنوا له سوء عاقبة اللقاء به وربما يفتّ ذلك في عضد جيش الشام.

ولم تلبث الحرب أن عادت من جديد بين الجانبين، وكان قد أثارها يزيد ومن بقي من أصحابه[6]، فاضطر أهل الشام إلى مضاعفة الجهود في القتال، حيث ركزّوا على ميمنة يزيد وقتلوا أخاه حبيب، مما كان له أثره السلبي على يزيد، حتى قال: ((لا خير في العيش بعده، قد كنت والله أبغض للحياة بعد الهزيمة، وقد ازددت لها بغضاً))[7].

---

(١) البقّ: البعوض، واحدته بقّة (ابن منظور: لسان العرب ٢٣/١٠).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٥/٦.

(٣) الطبري: نفس المصدر السابق .

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٧/٨.

(٥) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٧/٨، ١٨.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٦/٦.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤١/٤.

وانتهت هذه المرحلة بهزيمة يزيد بن المهلب، وتدهـور حالـة جيشـه -خاصة الميمنة بعد قتل صاحبها، والحقيقة أن حركة هدم الجسر وحرقه من قبل مسلمة أضعفت جداً معنويات جيش ابن المهلب، الذي رأى أن يلجأ إلى الراحة مع جيشه ليفكر في طريقة لردّ الاعتبار، وبثّ روح الحماس في جنده مرة أخرى.

المرحلة الثالثة والأخيرة:

أ) نهاية يزيد بن المهلب (آخر شهر صفر سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م)[(١)]:

في هذه المرحلة أصدر ابن المهلب أوامره لمن تبقّى من جيشه بمواصلة القتال حتى الموت[(٢)]، ولكن انقسم أصحابه - بسبب ذلك - إلى قسمين:

قسم كره مواصلة القتال، خاصة بعد مقتل حبيب، وعدم تحقيق أي نتائج ليزيد وهم الأكثرية.

وقسم واصل القتال مع ابن المهلب كما طلب وهم الأقلية، ولكن حين بدأت الحرب في هذه المرحلة بين الطرفين ورأوا أن القتل لا محالة صائر عليهم، خافوا من الموت كغيرهم: فرأو الانسحاب ولكن بطريقة تحفظ ماء الوجه، فقد عرضوا على ابن المهلب أن يتراجع إلى واسط لينزل حصنها، ثم يأتيه المدد من البصرة وعمان والبحرين[(٣)] ((فرفض يزيد ذلك، فحاولوا تخويفه بالجيوش التي سيواجهها، وقالوا له: إنها تشبه جبال الحديد، فقال: إني لا أبالي بها إن كانت جبالاً من حديد أم جبالاً من نار))[(٤)] وانسحب هؤلاء بعد أن قال لهم ((إن كنتم لا تريدون قتالاً معنا فاذهبوا عنا))[(٥)].

---

(١) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٩٣/١، ابن العماد: شذرات الذهب ١٢٤/١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٦/٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٨٠/٧.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٠٥/٦.

(٥) ابن خلكان: المصدر نفسه.

وبعد أن تخلى عن يزيد القسم الآخر وبقي في جماعة من أهله فقط اتخذ قراره النهائي بمحاولة قتل مسلمة بن عبد الملك.

ولا أشك أنه تعجّل في اتخاذ هذا القرار الفردي، إذ أنه لو استشار أهل الرأي من أهله لنصحوه - بالتأكيد - بعدم الموافقة على ما أقدم عليه، ولكن يبدو أنها كانت بداية نهايته، فقيل: إنه تقدم نحو جيش مسلمة راكباً برذوناً أشهبَ وسيفه في يده كأنه صاعقة [1]، وأخذ يزاحم الصفوف، ومعه بعض الرجال - من أهله - للوصول إلى مسلمة الذي كان محاطاً بالحرس الشديد، فاعترضته خيول الشام بكل عزم وصرامة، ولكنه أصرّ على تنفيذ ما عزم عليه، ودار بين الفريقين قتال ساعة من النهار، وتبادل فيه القحل بن عياش [2]، ويزيد بن المهلب الضربات الشديدة، ورجحت كفة القحل، الذي لاحق يزيد بعدّة ضربات كانت فيها نهايته [3].

وذكر أن الذي قتله هو: الهذيل بن زفر الكلابي، وأنه لم ينزل ليأخذ رأسه أنفة من ذلك [4]، لكن الرأي الأول هو الأرجح، ففضلاً عن إجماع المصادر عليه [5] تمّ اعتراف القحل بقتله ليزيد، فحين جاءوا إليه وهو

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٨/٨.

(٢) القحل بن عياش بن جابر بن زهير بن جناب الكلبي، قاتل مع مسلمة بن عبد الملك،فتقدم مع أصحابه حتى جاءوا مكان يزيد بن المهلب، وقتل القحل يزيد بن المهلب ثم قتل وكان ذلك سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م (الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٧/٦، ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١٧/٨).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٧/٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٢/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٩/٣.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٧/٦، الأصفهاني: الأغاني ٣٤/١٩، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٧٤/٣.

ملقى على الأرض من أثر ضربة تلقاها من سيف ابن المهلب، دلّهم على مكان يزيد، وقال: أنا قتلته وهو قتلني [١].

ب) المفضل بن المهلب وسياسة الانسحاب:

وبعد مقتل يزيد ظلت بعض قواته تقاتل في ميدان المعركة، وخاصة الميسرة التي يشرف على قيادتها أخوه المفضل، حتى أنه لما انكشفت خيل ربيعة أخذ المفضل يبعث فيهم الحماس من جديد، وهو - بالطبع - لا يدري بانهزام أخيه في الطرف الآخر، فقال لهم: أي معشر ربيعة الكرة الكرة، والله ما كنتم بكشف ولالئام، ولا هذه لكم بعادة، فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم، أي ربيعة فدتكم نفسي! اصبروا ساعة من النهار، فصبرت ربيعة، وواصلت القتال [٢].

لكن بعد قليل جاء إلى المفضل من يخبره بقتل أخيه يزيد وإخوته وانهزام الناس، وذكر بعض المؤرخين أن أخاه عبد الملك هو الذي قدم عليه، إلا أنه لم يبلغه نبأ قتل يزيد لشدة محبته له وخشية أن يزج بنفسه إلى الموت كما فعل يزيد من قبل، وأنه قام باستدراجه بحيلة مفادها أن يزيد قرّ قراره على الاتجاه إلى واسط للاستعداد من جديد، فصدقه المفضل ورجع إلى واسط مع من بقي من جيشه [٣]. لكن الرأي الصحيح - فيما يبدو لي - هو ما أشار إليه الطبري [٤]، أن الناس

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٢.

(٤) تاريخ الأمم: ٦/٥٩٨.

الذين مع المفضل وصلهم خبر قتل يزيد وهزيمة جيشه تلقائيا، فانسحبوا بعد ذلك، وهذا هوالوضع الطبيعي، إذ إن الخبر وإن كان قد خفي على المفضل فلا يمكن أن يخفى بأي حال من الأحوال على من معه، لاقتراب الجميع في منطقة واحدة.

ومن المؤكد أن حركة الانسحاب إلى واسط جاءت بتوجيه من المفضل نفسه، فهو حين رأى أن الوضع يحتم عليه ذلك - بسبب الهزيمة ومقتل أخيه - لم يتردد في تطبيق تلك السياسة حفاظاً على أرواح من بقي معه من الجند.

ج) موقف الدولة الأموية من آل المهلب بعد مقتل يزيد:

يرى بعض المؤرخين أن الخليفة ما إن وصله رأس يزيد ورؤوس بعض إخوته، حتى أمر أن يطاف بهذه الرؤوس في مدائن الشام، لينظر إليها الناس، وأنه بعد ذلك نصبها على باب توما بدمشق[١].

ويذكر بعضهم أنه لما قتل يزيد بن المهلب بعث الخليفة في طلب الشعراء، فلما اجتمعوا لديه طلب منهم هجاء يزيد، فقال له الفرزدق: لقد امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحدًا، وإنه لقبيح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن، فليعفني أمير المؤمنين. فأعفاه، وقال كُثيّر عزّة: إني أكره أن أعرّض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوت بني المهلب... وهكذا[٢].

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/٢٢، ٢٣.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٤/٢٥٢، ٢٥٣.

وما يجب التنويه عليه في هذا الخصوص أنه لا يعقل لخليفة مسلم أن يقدم على مثل ماذكره ابن أعثم الكوفي، لأن في هذا مخالفة صريحة للإسلام الحنيف الذي ينهى عن المثلة بالأعداء من المشركين وغيرهم، فكيف بالمسلمين ! ثم إن الخليفة يعلم علم اليقين أن يزيد بن المهلب من القادة المسلمين المتميزين الذين تركوا بصمات شاهدة على كفاءتهم القيادية في أرض المشرق، فلايعقل أن يشوّه صورته بعد ذلك، لذا أستبعد تماماً رأي ابن أعثم.

أما بالنسبة للشعراء الذين طُلب منهم هجاء يزيد، فأرى أنه كان يختبرهم فقط، والدليل على ذلك أنه لم يتعرض لهم لما رفضوا هجاء يزيد.

وأن كراهية هؤلاء الشعراء لهجاء يزيد فيه دلالة قوية على أنه كانت له مكانة عظيمة في النفوس، حتى عند الشعراء الذين عرفوا بعدم استقرارهم على رأي واحد في المدح أو الذم.

ذكرت المصادر أن هناك الكثير من المراثي التي قيلت في يزيد بعد مقتله - يرحمه الله - فقد قال فيه ثابت قطنة:

ألا ياهند طال عليّ ليلي ... وعاد قصيره ليلا تماما
كأني حين حلّقت الثريا ... سقيت لعاب أسود أو سماما
أمرّ عليّ حلو العيش يومًا ... من الأيام شيّبني غلاماً
مصاب بني أبيك وغبت عنهم ... فلم أشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيداً ... ولا القتلى التي قتلت حراما

فعلي أن أبـو بأخيك يومـا يزيـداً أو أبوء بـه هشـاماً
وعليّ أن أقود الخيـل شعثاً شوازب ضمّراً تقص الإكاما
فأصبحـن حميـر من قريـب وعكّـا أو أرع بهمـا جذامـا
ونسقي مذحجاً والحيّ كلباً من الذيفان أنفاساً قوامـا
عشائرنا التي تبغي علينا تَجُرّ بنا زَكا عاماً فعامـاً
ولولاهم وما جلبـوا علينـا لأصبح وسطنا مِلكـاً همامـا

وقال أيضا:

أبى طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهمّ الفؤاد المتيما
أرقت ولم تأرق معي أم خالد وقد ارقت عيناي حولاً مجرّما
على هالك هدّ العشيرة فقده دعته المنايا فاستجاب وسلما
على ملك ياصاح بالعقرجُبّنت كتائبه واستورد الموت معلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهداً تسلّيت إن لم يجمع الحيّ مأتما
وفي غِيَرِ الأيام ياهند فاعلمي لطالب وترٍ نظرة إن تلّوما
فعلّي إن مالت بي الريح ميلة على ابن ابي ذبّان أن يتندما
أمسلم إن يقدر عليك رماحنا نذقك بها قئ الأساود معلما
وإن تلق للعباس في الدهر عثرة نكافئه باليوم الذي كان قدّما
قصاصاً ولا يغدو الذي كان قد أتى إلينا وإن كان ابن مروان أظلما.[1]

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/ ٦٠٣، ٦٠٤، وانظر رثاؤه كذلك في الأصفهاني: الأغاني ١٤/٢٧٠.

أما بالنسبة لآل المهلب الذين نجوا من هذه الموقعة، فالمعروف أنهم كانوا يتخوفون على أنفسهم أهل الشام وأسرة آل مروان لما يوجد بينهم من جفوة كبيرة، ولذلك لما هزموا في العُقر زاد الاضطراب والقلق النفسي، فرغبوا في الخروج - جميعاً - من بلاد العراق إلى قندابيل[1] والسبب في اختيارهم لها دون غيرها : أن يزيد بن المهلب - يرحمه الله - قبل أن يتوجه إلى أرض العراق - بعد عزل عمر بن عبد العزيز له - كان قد أمّر على تلك البلاد رجلاً اسمه: وداع بن حميد الأزدي، ثم أبلغه أنه متجه إلى بني مروان، فإن لم يصبه شيء أكرمه وأبقاه على إمارتها، وإن كانت الأخرى بقي في مكانه حتى يلحق به آل المهلب ويتحصنوا عنده، ويأخذوا لأنفسهم أماناً، وأوصاه بأن يكون عند حسن ظنه فيه، وأخذ عليه أيمانا غليظة بذلك[2].

فاجتمعوا في البصرة أولاً وجعلوا عليهم المفضل بن المهلب باعتباره سيدهم وأكبرهم سناً، وقالوا لمعاوية بن يزيد بن المهلب - وكان قد طلب الإمارة عليهم - إنما أنت غلام حدث كبعض فتيان أهلك[3]، فقدّر رأيهم وتنازل عما كان يطالب به، ثم تحرك الجميع بعدتهم وأموالهم وذراريهم في السفن البحرية عن طريق الخليج العربي، وحين

---

(١) هي قصبه الأرض المعروفة بالبدَهة، وتقع إلى شمال توران، والمتحقق من قندابيل يجدها أنها قندوة الحالية، وهي مدينة كبيرة وليس بها نخيل وهي في بريّة مفردة بذاتها، ومن أعمالها مدينة: كيزكانان أو كيكان (ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢٨٠، كي لسترنج: خريطه رقم ٧ في كتاب بلدان الخلافة الشرقية بعد صفحة ٣٦٠).

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٣/٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم ٦٠١/٦.

توقفت سفنهم في البحرين - وكانوا قد أرادوا النزول فيها للراحة ثم مواصلة الطريق - نصحهم العامل عليها من قبل يزيد بن المهلب (الهرم بن قرار العبدي) بألا ينزلوا من سفنهم وأن يكملوا سيرهم حتى لا يتخطفهم الناس ويتقربوا بهم إلى بني مروان، فاستجابوا لنصحه، وواصلوا سيرهم حتى وصلوا جهة الساحل المقابل لجبال كرمان، عندها حطوا رحالهم وركبوا الدواب التي قد أُعدّت لهم، واتجهوا ناحية كرمان، وكانت بها فلول كثيرة [1] - وكانت تابعة لهم - فاجتمعوا كلهم إلى المفضل بن المهلب.

وحاول مسلمة بن عبد الملك استغلال فرصة انهزام آل المهلب، فأرسل إليهم من يتتبعهم - وهو مدرك بن ضبّ الكلبي - وبالفعل تمكن من ملاحقتهم وقتل منهم بشراً عظيماً على رأسهم المفضل أخي يزيد والنعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ومحمد بن اسحاق بن محمد ابن الأشعث [2].

وانقسم آل المهلب إلى قسمين، قسم أدرك أن القتل لا مفرّ منه، لذا اجتهد في طلب الأمان لنفسه قبل أن تدور الدائرة عليه[3]. والآخر واصل الطريق إلى قندابيل.

---

(١) الطبري: المصدر السابق ٦/٦٠٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٦/٦٠١.

(٣) ومن هؤلاء: مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله السعدي (الطبري: تاريخ الأمم ٦/٦٠١).

وأصيب آل المهلب بخيبة أمل حين رأوا أن الرجل - ودّاع الأزدي - الذي أخذت عليه الأيمان المؤكدة على أن ينصح لهم ويحفظهم إذ لجأوا إليه، يقف ضدهم ويمنعهم من دخول قندابيل.

ولا أشك في أن مسلمة بعث إليه بكتاب يهدده فيه إن فكّر في مساعدة آل المهلب، الأمر الذي دفع به إلى أن يتنكر لهم بالرغم مما أخذ عليه من عهود ومواثيق، وهذا يدل على أن مسلمه بن عبد الملك كان على اطلاع بتحركاتهم، وزيادة في حرصه على تلك المتابعة الدقيقة رأى أن يغيّر مدرك الكلبي، وذلك لما وجد فيه من الضعف والتأخر عن الاجتهاد في طلبهم، وعين بدلاً منه: هلال بن أحوز التميمي [(١)]، وزوّده بجيش قدّرته بعض المصادر بعشرة الآف [(٢)].

وكان متوقعاً أن ينضم ودّاع الأزدي (عامل قندابيل من قبل يزيد بن المهلب سابقاً) إلى ذلك الجيش وانتهى الأمر إلى أن تفرق الناس عن آل المهلب، فبادر مروان بن المهلب إلى نساء آل المهلب ليقتلهن خوفاً عليهن من الوقوع أسيرات في يد ذلك الجيش، فنهاه بعضهم عن ذلك وقال: لا تخف عليهن من هؤلاء[(٣)]، لأنهم على الإسلام مثلنا ولن يضروا أخواتهم المسلمات مهما بلغ الأمر.

---

(١) وبقي والياً على السند من سنة ١٠١هـ / ٧١٩م حتى ١٠٦هـ / ٧٢٤م. حيث عزله الخليفة هشام بن عبد الملك (الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب ١/٢٣١).

(٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٨/٢٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٣، ٣٤٤.

وقيل: بل أغلقن الباب دونه حتى لا يقتلهن[1]، وأخيراً دار قتال بين بقية آل المهلب وابن أحوز التميمي، تمكن فيه ابن أحوز من هزيمتهم وقتل منهم عدداً كبيراً[2].

أما بالنسبة للأسرى الذين تمّ أسرهم بعد نهاية وقعة العقر، والذين قدّروا بنحو ثلاثمائة[3]، وقيل أربعمائة[4]، في حين جعلهم بعض المؤرخين ألفين وثمانمائة[5]، والرأي الأول أقرب إلى الصواب من غيره.

فقد ذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك أصدر أمره بقتلهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين، وقيل بل مسلمة هو الذي أمر بذلك، والجدير بالذكر أن بعض هؤلاء الأسرى - وهم جماعة من تميم - حينما علموا أن مصيرهم القتل أرادوا أن يعجّل بهم قبل غيرهم[6] لذلك اضطر صاحب الشرطة - العريان بن الهيثم - أن ينفذ فيهم ذلك، ولو أنهم انتظروا قليلاً لشملهم العفو والصفح كغيرهم، إذ إنه ما إن انتهى العريان من قتلهم حتى جاء كتاب مسلمة فيه قرار بالعفو العام عن

---

(١) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٧٤/٣.

(٢) تذكر المصادر أن أسماء الذين قُتلوا هم: المفضل، وعبد الملك، وزياد، ومروان، بنو المهلب، والمهال بن أبي عيينة بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب... انظر التفاصيل في (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٤٤/٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٩/٣، مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٧٤/٣).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٩/٩، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٧٩/٣.

(٤) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٢٠/٨.

(٥) مؤلف مجهول: العيون والحدائق ٧٤/٣.

(٦) وقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فاتقوا الله وابدأوا بنا. أخرجونا قبل الناس (أي إلى المصطبة) (الطبري: تاريخ الأمم ٥٩٩/٦).

جميع الأسرى[1]، وهذا يفيد أنهم كانوا في منطقة منعزلة عن الجيش. إلاّ أن قتل التميميين أحدث ردّ فعل لدى معاوية بن يزيد بن المهلب - الموجود بواسط - فما أن بلغه خبر قتلهم حتى بادر إلى من بيده من أسرى الشام - وعددهم اثنان وثلاثون[2]، وقيل ثلاثون أسيراً[3] - فقتلهم جميعاً[4]. عدا ربيع بن زياد بن الربيع؛ لأنه شيخ في قومه وله شرف عظيم، ولم يَشُكّ في ودّه ولا يخاف بغيه[5].

وأما بالنسبة للأسرى الذين بعث بهم من قندابيل بعد نهاية اللقاء الذي دار بين آل المهلب وجيوش هلال التميمي التي بعث بها يزيد بن عبد الملك والذين بلغوا ثلاثة عشر رجلاً[6]، فقد بعث بهم إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك - وكان عنده كثيّر عزة - فأنشده شعراً يستعطفه فيه ويطلب منه العفو عنهم، فقال له:

حليمٌ إذا ما نال عاقب مجملاً   أشدّ العقاب أو عفا لم يثرّب
فعفوا أمير المؤمنين وحُسْبَة   فما تأته من صالح لك يكتب
أساؤوا فإن تصفح فإنك قادر   وأفضل حلم حسبة حلم مغضب[7]

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٥٩٩.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٦٠٠.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٢٣٠.
(٤) ومنهم: عدي بن أبي أرطاة، وابنه محمد، ومالك وعبد الملك ابني مسمع، والقاسم بن مسلم وعبد الله بن عمر النصري (ابن خياط: تاريخ ابن خياط ص ٣٢٥، ٣٢٦).
(٥) الطبري: تاريخ الأمم ٦/٦٠٠.
(٦) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ ٣/٧٩.
(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٤.

إلاّ أن الخليفة لم يأبه بذلك، ورفض العفو عنهم خشية أن يكون من بينهم من يخرج عليه إذا أتيحت له الظروف، وأمر بهـم فقتلـوا جميعاً[1].

(١) وهم: المعارك، وعبد الله، والمغيرة، ومنجاب (أولاد يزيد بن المهلب) ودريد والحجاج، وغسان وشبيب والفضل (أولاد المفضل بن المهلب) والمفضل بن قبيصة بن المهلب... التكملة في (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/٣٤٤).

خاتمة البحث

الحمد للّه متمّ النعم، والشكر له على ما تفضّل به وأتمّ، أما بعد:

فلقد انتهى هذا البحث المتواضع الذي رأينا فيه شجاعة يزيد بن المهلب، وإقدامه، وصبره، وهذا يعود - بعد الله تعالى - إلى احتكاكه بالقادة الآخرين، مما دفع بالعرب إلى أن يوجهوا أنظارهم إليه في فترة مبكرة من العمر، كما شجّع والده أن يوليه (مرو) قبل وفاته سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م.

ولما كان الحجاج بن يوسف الثقفي يسعى لإخضاع آل المهلب لسلطانه، رأى عزل يزيد عن خراسان سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م بدعوى إخفائه أموالاً من خراسان، وهي في الحقيقة من حاصل ضياعه وأملاكه في بلاد الشرق، وبعض الهدايا التي قدّمت إليه كأيّ والٍ آخر.

وحين صار سليمان بن عبد الملك خليفة بعد أخيه الوليد جعل يزيد على خراسان - سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م - وإن كنّا لا ننكر ميوله إلى آل المهلب إلاّ أنه نظر بعين الحكمة فرأى أن يزيد هو الأصلح لهذه البلاد، ففيها عاش مع والده وإخوته وعرف مسالكها وطبائع أهلها.

ولعل من المفيد أن نستعرض أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها وهي:

- دخول عَدَدٍ كثير من الترك في الإسلام بعد انتصارات يزيد بن المهلب، وأثناء إقامته في خراسان، وعقد معاهدات مع بعضهم الآخر لأمن المسلمين.

- التحاق أعداد كثيرة من الترك وغيرهم بالجيش الإسلامي بعد دخولهم في الإسلام، فأصبحوا قوة تعين المسلمين العرب في جميع حروبهم، وقد أصبح بعضهم من خيرة المقاتلين.
- شجاعة يزيد بن المهلب؛ فقد فتح بلاداً عظيمة منها جرجان وطبرستان، وكانت قد أعيت ملوك الأعاجم وفي مقدمتهم سابور ذي الأكتاف، وخسرو، وهرمز بن أنوشروان، وقباذ بن فيروز... ولم يقدروا عليها لحصانتها وكثرة أهلها.
- حصل المسلمون على غنائم كثيرة بعد دخولهم بلاد الترك عنوة، ووّزعت على الجيش بعد أن أخذ يزيد بن المهلب والفاتحين الخمس، وكانت هذه الغنائم حافزاً قوياً - بعد الإيمان بالله تعالى - على متابعة المسيرة للفتح في جهات أخرى.
- وجود الكراهية عند بعض الناس - وفي مقدمتهم الحواري العتكي - ليزيد بن المهلب وأهل بيته، وهذا أشعل نار الخلاف بين أهل الشام وأهل العراق، حينما شيعَّ أخباراً مكذوبة عن البصرة ويزيد بن المهلب.
- المبالغة في بعض الروايات الواردة في المصادر التاريخية؛ فكيف يجتمع لابن المهلب في وقعه العَقْر مائة وعشرين ألفاً، وقد انقسم أهل البصرة إلى ثلاثة أقسام؛ سار معه أحدها فقط، إنه لا يمكن أن يصل العدد إلى ذلك حتىلو افترضنا وقوف العناصر اليمنية معه.

- نشر الإسلام في خراسان وما جاورها، حيث أقيمت المساجد الكثيرة، وارتفع التكبير فيها من بنائها إلى يومنا هذا.
- نشر العلوم الإسلامية في أرجاء تلك البلاد، وأصبحت المساجد مدارس يعلمّ فيها القرآن والتفسير والحديث والفقه... وتخرج منها علماء مسلمون من العرب وغيرهم ألّفوا وبَرَعوا في تلك التخصصات المذكورة.
- نشر اللغة العربية بين أوساط الترك والفرس باعتبارها لغة القرآن الكريم - لغة الإسلام - فغدت من اللغات المهمّة بالنسبة لسكان تلك البلاد بجانب اللغات الأخرى.
- ارتفاع شأن الإسلام والمسلمين في نفوس السكان حتى من غير المسلمين، حيث علموا أنه دين الحق والعزّة والمنعة، بسبب الانتصارات المتكررة لأهله.
- الوصول إلى بلاد ما وراء النهر أصبح أمراً يسيراً على يد يزيد بن المهلب، حيث حطمّ عقبات كثيرة كانت تعترض الفاتحين من القادة.
- إبطال بعض مزاعم المؤرخين بالحجة حول حكمهم على يزيد بن المهلب بالآتي:
  - موالاته لبعض الخوارج، فيزيد يعلم خطورة هؤلاء، وفساد معتقدهم، فكيف يستعين بهم ويواليهم.
  - أنه حط من شأن الدولة الأموية ممثلة في قاداتها وفي مقدمتهم مسلمة بن عبدالملك؛ فابن المهلب كان يعرف قدر هذا القائد -

وإن كان خصمه في الميدان- ويعلم أنه مخلص لأبعد الحدود للبيت الذي جاء منه.

ونود في هذا المقام أن ننوه إلى أن القادة الذين كان لهم دور في الفتوحات الإسلامية، غالباً ما أثيرت حولهم بعض الشبهات، كخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، والواجب على المؤرخين التصدي لمثل هذه الروايات وتفنيدها؛ حتى لا تكون مجالاً للمستشرقين يأخذونها على تاريخنا الإسلامي الخالد.

وقد يكون من المآخذ التي رأيناها على هذا القائد أنه استعجل في اتخاذ بعض القرارات، وخاصة حينما عقد عزمه على مصادمة مسلمة ابن عبد الملك بنفسه، ولم يستشر في ذلك أهل الرأي من ذويه وخاصته، فكان ذلك بداية نهايته.

وفي نهاية هذه الخاتمة أعترف بأن ما قدمته لا يعدو أن يكون مفتاحاً لهذا الموضوع، ولعل الباحثين الآخرين يصلون إلى ما عجزت عن الوصول إليه، فالكمال للّه وحده، وأرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم.

● ابن الأثير (أبو الحسن عزّ الدين علي بن محمد الشيباني الجزري. ت ٦٣٠هـ):

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة. طبعة بيروت - لبنان.

٣- الكامل في التاريخ - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٠٧هـ.

● الأزدي (محمد بن عبد الله الأزدي البصري. ت نحو ١٦٥ هـ):

٤- تاريخ فتوح الشام - تحقيق عبد المنعم عامر - القاهرة - د. ت.

● الأزرقي (محمد بن عبد الله الأزرقي):

٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تحقيق رشدي ملحس. بيروت. ١٣٨٥ هـ

● الأصفهاني (أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ):

٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - طبعة بيروت ١٤٠٩ هـ.

● الأصفهاني (علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ):

٧- الأغاني - شرحه وكتب هوامشه على المهنا وآخر - الطبعة الثانية - ١٤١٢هـ.

● ابن أعثم الكوفي (أبي محمد بن أحمد ت ٣١٤ هـ):

٨- الفتوح - الطبعة الأولى - الهند - ١٣٩٥ هـ.

● الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن حزم):

٩- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة - ١٣٨٢ هـ.

● بارتولد:

١٠- تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي - الكويت - الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ.

● البغدادي (عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ):

١١- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، الطبعة الأولى ١٩٨١ م. مكتبة الخانجي - مصر.

● البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني التميمي ت ٤٢٩هـ):

١٢- الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ.

● البغدادي (محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ):

١٣- المحبر - طبعة بيروت.

● البغدادي (محمد أمين):

١٤- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - بغداد - ١٢٨٠ هـ.

● البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت. ٤٨٧ هـ):

١٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - تحقيق مصطفى السقا - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٣ هـ.

● البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي ت. ٢٧٩ هـ):

١٦- فتوح البلدان - بيروت. ١٤٠٣ هـ.

● بيضون (إبراهيم):

١٧- من دولة عُمر إلى دولة عبد الملك. بيروت. ١٤١١ هـ.

● ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف. ٨٧٤ هـ):

١٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤١٣هـ.

● الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد. ت ٤٢٩ هـ):

١٩- غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم - طهران - ١٩٦٣ م.

● الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ):

٢٠- البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الرابعة - ١٣٩٥ هـ.

٢١- عظماء من ذوي العاهات خلدّهم التاريخ - القاهرة - ١٣٩٢ هـ.

● الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ):

٢٢- الوزراء والكتاب - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٣٥٧ هـ.

● ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. ت ٥٩٧ هـ):

٢٣- سيرة عمر بن عبد العزيز - دار الفكر - بيروت.

٢٤- صفة الصفوة - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤١٣هـ.

٢٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا وأخيه - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤١٢هـ.

● ابن حجر (أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢ هـ):

٢٦- الإصابة في تمييز الصحابة - طبعة القاهرة - ١٤١٤ هـ.

٢٧- تهذيب التهذيب - تحقيق مصطفى عطا - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤١٥هـ.

٢٨- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام - بدون تاريخ.

● ابن حسام الدين الهندي (علاء الدين علي البرهان. ت ٩٥٧ هـ):

٢٩- كنز العمال - صحّحه ووضع فهارسه: صفوت السقا. مؤسسة الرسالة.

● حمزة (فؤاد):

٣٠- قلب جزيرة العرب - المطبعة السلفية - ١٣٥٢ هـ.

● حميد الله (محمد):

٣١- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - الطبعة السادسة- بيروت - ١٤٠٧ هـ.

● الحميري (محمد بن عبد المنعم: ت ٩٠٠هـ):

٣٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د / إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

● ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي. ت. ٣٨٠ هـ):

٣٣- صورة الأرض - طبعة القاهرة.

● ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبد الله):

٣٤- المسالك والممالك - طبعة ليدن ١٨٨٩ م.

● خطاب (محمود شيت):

٣٥- الجراح بن عبد الله الحكمي. مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء الرابع من المجلد الخامس والخمسين - ١٩٨٠ م.

٣٦- مسلمة بن عبد الملك مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الثلاثون - بغداد. ١٩٧٩ م.

● ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد. ت ٨٠٨ هـ):

٣٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر.. طبعة بيروت. ١٣٩٩ هـ.

● ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ):

٣٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - طبعة بيروت:

● ابن خياط (أبو عمرو خليفة ت ٢٢٢هـ):

٣٩- تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق د. أكرم ضياء العمري - الطبعة الثانية - الرياض - ١٤٠٥هـ.

- دحلان (زيني):

٤٠- الفتوحات الإسلامية - المطبعة الحسينية - مصر.

- دروزة (محمد عزة):

٤١- تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار - الطبعة الأولى- بيروت - ١٣٨١ هـ.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد. ت ٧٤٨ هـ):

٤٢- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - القاهرة - ١٣٦٨ هـ.

٤٣- سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرناؤوط - الطبعة الثامنة - ١٤١٢ هـ.

٤٤- العبر في خبر من غبر - تحقيق محمد زغلول - بيروت.

- الزبيدي (السيد محمد مرتضى):

٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس - دار الفكر - بيروت.

- الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله ت ٢٣٦ هـ):

٤٦- نسب قريش - تعليق ليفي بروفنسال - الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٩٥١ م.

- الزركلي (خير الدين):

٤٧- الأعلام - الطبعة السابعة - بيروت - ١٩٨٦ م.

- زنيبر (محمد):

٤٨- الإسلام منذ الانطلاقة الأولى إلى نهاية الدولة الأموية - الرباط - ١٣٩٣ هـ.

- ابن سعد (محمد. ت ٢٣٠ هـ):

٤٩- الطبقات الكبرى - بيروت ١٣٨٠ هـ.

- السهمي....(. ت ٤٢٧ هـ):

٥٠- تاريخ جرجان - الطبعة الأولى - الدكن - ١٣٦٩ هـ.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن. ت ٩١١ هـ):

٥١- لبّ الألباب في تحرير الأنساب - تحقيق محمد أحمد وأخيه - الطبعة الأولى- بيروت - ١٤١١هـ.

- ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر):

٥٢- عيون التواريخ - مخطوط في دار الكتب بالقاهرة - رقمه ١٤٩.

٥٣- فوات الوفيات - تحقيق إحسان عباس - بيروت ١٩٧٣ م.

- شعبان (محمد):

٥٤- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية - بيروت ١٩٨٣ م.

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير. ت ٣١٠ هـ):

٥٥- تاريخ الأمم والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت - ١٣٨٤هـ.

- الطرازي (عبد الله):

٥٦- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب - الطبعة الأولى - جدة - ١٤٠٣ هـ.

- ابن عبد البّر (أبو عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣ هـ):

٥٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق محمد البجاوي - القاهرة.

- ابن عبد الحق (عبد المؤمن بن عبد الحق. ت ٧٣٩ هـ):

٥٨- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق علي محمد البجاوي - الطبعة الأولى - بيروت - ١٣٧٤ هـ.

- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٨ هـ):

٥٩- العقد الفريد - طبعة بيروت ١٤٠٦ هـ.

● ابن العماد (عبد الحي الحنبلي ت. ١٠٨٩ هـ):

٦٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - طبعة بيروت.

● العمري (أبو العباس أحمد بن يحى. ت ٧٤٩ هـ):

٦١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - تحقيق كرافولسكي - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٠٧ هـ.

● (فامبري):

٦٢- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر - ترجمة أحمد الساداتي- ١٨٧٢ م.

● الفرزدق (همام بن غالب. ت ١١٤ هـ):

٦٣- ديوان الفرزدق - بيروت - ١٣٨٥ هـ.

● فلهاوزن (يوليوس):

٦٤- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية - القاهرة - ١٩٥٨ م.

● الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت. ٨١٧هـ):

٦٥- القاموس المحيط - طبعة بيروت.

● القالي (اسماعيل بن القاسم):

٦٦- الأمالي - طبعة بيروت.

● ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم. ت ٢٧٦ هـ):

٦٧- الشعر والشعراء - مطبعة بريل ١٩٠٢ م.

٦٨- عيون الأخبار - طبعة بيروت.

٦٩- المعارف - تحقيق ثروت عكاشة - الطبعة الرابعة - القاهرة.

● القزويني (أبو زكريا محمد بن محمود. ت ٦٨٢ هـ):

٧٠- آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت - ١٣٨٠ هـ.

● القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي. ت ٨٢١ هـ):

٧١- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - طبعة بيروت.

● ابن كثير (عماد الدين إسماعيل. ت ٧٧٤ هـ):

٧٢- البداية والنهاية - تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون - طبعة بيروت.

● كحالة (عمر رضا):

٧٣- أعلام النساء - الطبعة العاشرة - بيروت - ١٤١٢ هـ.

٧٤- معجم قبائل العرب - الطبعة الخامسة - بيروت - ١٤٠٥ هـ.

● كمال (أحمد عادل):

٧٥- سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية - الطبعة الخامسة - بيروت - ١٤٠٧ هـ.

● (كي لسترنج):

٧٦- بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة بشير فرنسيس - الطبعة الثانية - بيروت - ١٤٠٥ هـ.

● المباركفوري (أظهر):

٧٧- العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد من الصحابة والتابعين - الطبعة الثانية- بومباي - ١٣٩٩ هـ.

● المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):

٧٨- الكامل - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - طبعة القاهرة.

● المزيّ (أبو الحجاج يوسف. ت ٧٤٢ هـ):

٧٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - تحقيق بشار عواد - الطبعة السادسة - بيروت - ١٤١٥هـ.

● المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين. ت ٣٤٦ هـ):

٨٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر - شرحه مفيد قميحة - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٦ هـ.

● ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم. ت ٧١١ هـ):

٨١- لسان العرب - دار صادر بيروت - ١٣٧٤ هـ.

● ابن نباته المصري (جمال الدين. ت ٧٦٨ هـ):

٨٢- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة - ١٣٨٣ هـ.

● النجار (عامر):

٨٣- الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٠٦ هـ.

● ابن النديم (محمد بن اسحاق ٤٣٨ هـ):

٨٤- الفهرست - الطبعة الثالثة - ١٩٨٨ م.

● أبو النصر (عمر):

٨٥- سيوف أمية في الحرب والإدارة - بيروت - ١٩٦٣ م.

● نصير بك (محمود):

٨٦- أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك - الطبعة الثانية - مصر - ١٩٤٤م.

● الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب. ت ٣٣٤ هـ):

٨٧- صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد الأكوع - ١٣٩٤ هـ.

● ابن الوردي (زين الدين عمر):

٨٨- تتمة المختصر في أخبار البشر - تحقيق أحمد البدراوي - الطبعة الأولى - بيروت - ١٣٨٩ هـ.

- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي. ت ٦٢٦هـ):

٨٩- معجم البلدان - بيروت - ١٤٠٤ هـ.

- اليعقوبي (أحمد بن اسحق - ت ٢٩٢ هـ):

٩٠- البلدان - طبعة العراق - ١٣٣٧ هـ.

٩١- تاريخ اليعقوبي - طبعة بيروت - ١٣٧٩ هـ.

- مؤلف مجهول:

٩٢- العيون والحدائق في أخبار الحقائق. بغداد - ١٩٧١ م.

- الدوريات:

٩٣- دائرة المعارف الإسلامية - الشنتناوي وآخرون - طبعة بيروت.

محتوى البحث

الصفحة	الموضـــــوع


الإمام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مطابع الجامعة

طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية